
كتاب
الجمهورية
عودة وطن
مصر تهزم المؤامرة
أحمد البرديسى




يونيـو ٢٠١٧

www.gombook.net.eg

كتاب الجمهورية

عودة وطـن

مصر تهزم المؤامرة

أحمـد البرديسى

دار الجمهورية للصحافة

١١١ ــ ١١٥ ش رمسيس
ت : ٢٥٧٨٣٣٣٣

يونيـو ٢٠١٧



الإشراف الفنى وتصميم الغلاف

سيد عبد الحفيظ

سكرتيرا التحرير

شريف فاروق
هبة راغب

المراجعة اللغوية

محمد كمال
وليد عباس

أسعار البيع فى الخارج

سوريا	٣٠٠ ل.س
لبنان	١٢٠٠ ل.ل
الأردن	٤٫٥ دينار
الكويت	٣ دنانير
السعودية	٣٠ ريالاً
البحرين	٣ دنانير
قطر	٣٠ ريالاً
الإمارات	٣٠ درهماً
سلطنة عُمان	٣ ريالات
تونس	٦ دنانير
المغرب	٩٠ درهماً
اليمن	٩٠٠ ريال
فلسطين	٦ دولارات
لندن	٦ جك
أمريكا	١٥ دولاراً
استراليا	١٥دولاراً استرالياً
سويسرا	١٥فرنكاً سويسرياً

الاشتراك السنوى

داخل جمهورية مصر العربية
١٨٠ جنيهًا
الدول العربية ٩٠ دولارًا أمريكياً
اتحاد البريد الافريقى وأوروبا
١١٥ دولارا أمريكيًا
أمريكا وكندا
١٣٥ دولارا أمريكيًا
باقى دول العالم
١٧٥ دولارا أمريكيًا

إذا وجدت أى مشكلة
فى الحصول على
«كتاب الجمهورية»
وإذا كان لديك أى مقترحات أو ملاحظات
فلا تتردد فى الاتصال على أرقام :
25783333 25781010

http://www.eltahrir.net

عـودة وطـن

مصـر تهـزم المؤامـرة

مقـــدمة

امتنان.. أو
ديون غير قابلة للسداد

«أنا مستطيع بغيرى».. عبارة كان يرددها دائمًا عميد الأدب العربى الدكتور طه حسين.. فى أحاديثه.. حتى فى مقدمة كتابه الجميل «الأيام» لكن الإنسان بطبيعته فى هذا الوجود.. لا يمكنه عمل شىء فى هذه الحياة دون مساعدة الآخرين من حوله بل إن الإنسان يولد فى أحضان والدين.. يقدمان له كل سبل المساعدة للبقاء والحياة حتى بعد أن يكبر.

لكن يبدو أننا لا نكبر أبدًا أحيانًا.. لأننا نظل طوال حياتنا وأعمارنا نعتمد على دعم ومساعدة الآخرين لنا.. فى أعمالنا وفى حياتنا.. وأحيانا فى حياة أسرتنا ربما كان هذا هو قانون الحياة غير المكتوب وحتى حين تشيب رءوسنا.. يزداد اعتمادنا على مساعدات ورقة قلوب من حولنا وسعة صدورهم أيضاً.

لم يكن هذا الكتاب ممكنًا دون دعم ووقوف أصدقاء ورفاق رحلةٍ صحفية طويلة كانت أياديهم بيضاء وأدين لهم بالفضل الكثير لست أنسى مطلقًا صديق العمر الزميل العزيز جلاء جاب الله رئيس مجلس إدارة الجمهورية.. الذى يشعرنى دائمًا أن لى صديقًا جاهزًا دائما لتقديم الدعم والمساندة فى كل موقف وفى كل وقت.

وكانت المفاجأة الحقيقية فى شخصية الزميل العزيز فهمى عنبه رئيس تحرير الجمهورية الذى اتسع صدره ووقته لى دائمًا بالترحيب والتشجيع.. بأسمى ما فى الأخلاق من نبل وكرم زائد ولم يكن لهذا الكتاب أن يصدر لولا تشجيع وحماس الصديق العزيز سيد حسين رئيس تحرير كتاب الجمهورية الرجل الذى يبدو هادئًا وعقله يموج بالأفكار.. والحقيقة أن الأستاذ سيد حسين قد أعطى لسلسلة كتاب الجمهورية طعما جديدًا بالثراء فى الفكر والمعرفة والتنوع الثقافى الذى نبدو فى أمس الحاجة إليه فى هذه المرحلة الفارقة من حياتنا.

يروى هذا الكتاب قصة انتصار الشعب فى ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ والملحمة الوطنية التى صنعها المصريون فى هذا اليوم الخالد.. حين قالوا كلمتهم وفرضوا إرادتهم.. وأحبطوا مؤامرة كبرى خطط لها الرئيس الأمريكى باراك أوباما طويلاً لتغيير نظم الحكم فى مصر ومختلف الدول العربية كما اعترف موقع استرافور الأمريكى مؤخرًا فقد طاشت حسابات الرئيس الأمريكى السابق أوباما وفشلت مخططاته حين تصور أن مصر أضعف من أن تقف ضد المخطط والمؤامرة الأمريكية الواسعة فى العالم العربى وذات يوم سوف يحكى التاريخ القصة الكاملة للملحمة الكبرى التى صنعها المصريون بعفوية وتلقائية وبإرادة وطنية خالصة لإحباط مخطط وهزيمة مؤامرة كانت تريد تدمير مصر ووحدتها الوطنية وحتى سلامة أراضيها ومنذ هذا اليوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ظهرت إلى الوجود «مصر الجديدة» بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى كما يقول الفرنسى «جان ماكرو» فى كتابه الذى صدر بهذا العنوان.

يقول ماكرو.. إن مصر تبهر الغرب دائمًا بتاريخها البديع وحضارتها الرائعة وما فيها من تقدم وإبداع سياسى وأخلاقى ليس له مثيل ولكن مصر مازالت تبهر العالم كله فى العصر الحديث بموقعها المركزى فى خريطة العالم ولم تتغير أهمية مصر المركزية فى خريطة العالم على مر العصور والزمن.. ببساطة لأن حقائق الجغرافيا تبقى أبدية غير قابلة للتغيير وهى التى تصنع التاريخ.. أو تقرر دائمًا مصير أحداث التاريخ أو الجغرافيا هى قوة الحسم التى يصنعها القدر وهذا هو السر وراء البعد العالمى فى أحداث ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

قد لا تكون مصر هى الأقوى أو حتى الأغنى بين دول وشعوب العالم لكنها تبقى على الأقل محور اهتمام الأقوياء ومحور أطماعهم أيضًا وهذا هو الجزء الخطير فى قصة «الصراع على مصر فى القرن ٢١» لكن القوة الأكبر فى العالم فشلت فى كسر إرادة المصريين فى ثورة ٣٠ يونيو وسرعان ما اضطر الرئيس الأمريكى السابق أوباما للتراجع عن «نصف القرار» الذى اتخذه ذات يوم بتجميد جزء من المساعدات العسكرية الأمريكية لمصر ونقول «نصف قرار» لأنه وجد نفسه عاجزًا عن اتخاذ قرار كامل بوقف المساعدات!! وقد رفضت مؤسسات صنع القرار السياسى فى واشنطن قرار أوباما لأنهم يدركون جيدا قيمة مصر الاستراتيجية فى هذا الجزء من العالم بين العالم العربى وفى إفريقيا وفى جنوب البحر المتوسط ويقول الفرنسى «جان ماكرو» إن مصر تبدو فوق صهوة حصان بين قارتى آسيا وإفريقيا وهذا هو السر وراء السياسة الخارجية المعقدة لمصر التى ترتبط دائمًا بدول وشعوب العالم العربى ويفرض عليها الموقع الحيوى فى جنوب البحر المتوسط التطلع الدائم إلى كل جديد قادم من وسائل أسباب الحضارة الحديثة القادمة من أوروبا.

لكن مياه النيل تفرض على مصر ضرورة الارتباط الدائم بالقارة السمراء.. إفريقيا.

هكذا أصبحت مصر هى أكبر دولة عربية وهى المركز التقليدى للقيادة فى العالم العربى وفى إفريقيا وقد تحدثت مراكز أبحاث عالمية مؤخرا عن قائمة القوى السبع الكبرى فى القرن الجديد خارج قائمة مجلس الأمن الدولى وتضمنت القائمة كلا من الولايات المتحدة والصين وروسيا واليابان وألمانيا والهند والمملكة السعودية.

وتدخل معايير القوة الاقتصادية فى هذا التقييم ولكن مراكز الأبحاث الاقتصادية فى العالم ترشح مصر فى هذه الأيام لتحقيق طفرة اقتصادية فى السنوات القادمة تدعم القوة الاستراتيجية لمصر وتتحول مصر من قوة موقع إلى موقع قوة حقيقية على خريطة العالم، سوف يسجل التاريخ أن ما حدث فى ثورة ٣٠ يونيو فعلاً .. عودة وطن .. أى عودة مصر للمصريين.

ويعترف المراقبون بأن مصر تمتلك القدرة على فرض التغيير الذى تريده فى الشرق الأوسط وحتى داخل المجتمع الدولى كله، كما أن زيادة طاقات وقدرات مصر الاقتصادية تزايدت تراكم الثروة وتوطين التكنولوجيا فيها يمكن أن تؤدي إلى تغيير عميق فى حقائق السياسة الإقليمية فى هذا الجزء من العالم لكننا يجب ألا ننسى أن الحلم الوطنى لمصر والمشروع القومى للرئيس عبدالفتاح السيسى يتمثلان فى ضرورة ضمان الصعود السلمى لمصر.. بين القوى الاقتصادية الصاعدة فى هذا العالم.. وكما يقول المؤرخون فإن المصريين ينظرون إلى تاريخهم لاستلهام التفاؤل بالمستقبل» رصيد مصر التاريخى يدعو للتفاؤل بقدرة المصريين على صنع المستقبل المزدهر للأجيال القادمة الأمل والتفاؤل بالمستقبل يعيدنى للحديث عن الأيادى البيضاء التى وقفت بجانبى دائمًا من أصدقاء وزملاء نبلاء تكفينى منهم أحيانًا ابتسامة ترحيب أو حتى كلمة طيبة ويجب ألا ننسى أحيانًا وجود من يساعدوننا نحن حتى لا نعرفهم لكننى فى هذا الكتاب أشعر أن ضمير الواجب والعرفان بالجميل يجعلنى أدين بالفضل إلى كل من يساعدوننى دائمًا.. وبصورة مستمرة وخصوصًا الصديق والزميل العزيز جدا والصحفى الذى اعتبره اكتشافًا جديدًا عبدالرازق توفيق مدير تحرير الجمهورية الأسبوعى والصديق المبدع السيد عبدالحفيظ.

وهكذا أكتشف دائماً «أنى مستطيع بغيرى».. وأنا أستسلم لهذا القانون غير المكتوب فى حياتى.. وفى حياة كل البشر سواء اعترفنا أم لم نعترف، ولكن دعونى أهدى هذا الكتاب إلى من تقف إلى جوارى دائمًا وأجدها قريبة منى فى كل وقت وكل موقف شريكة حياتى «نهلة» فهذا جزء من حقها عندى ودعونى اعترف أنى أشعر أنى مثقل بالديون المعنوية لكل من حولى من زملاء وأصدقاء ورفاق وأعضاء أسرتى وهذه الديون غير قابلة للسداد.

(المؤلف)

ثلاث قضايا رئيسية.. تحدد مستقبل مصر
حماية الدولة الوطنية.. بناء الاقتصاد.. مياه النيل

يرتبط بقاء الحياة فوق كوكب الأرض.. باستمرار الصراعات.. والأزمات.. وحتى الحروب بين الدول والشعوب. وربما كان هذا هو القانون الأساسى للوجود الإنسانى ذاته.. ويكاد يكون هذا هو القانون الوحيد.. غير المكتوب فى حياة البشر.. ولا يوجد له نص فى أى كتاب بأى لغة.. لكنه قانون كتبه كف القدر.. على حياة البشر!!

ويقولون.. إن الحروب والصراعات.. مثل حوادث غضب الطبيعة.. هى المصدر الرئيسى للكوارث فى حياة البشر.. لكن الحروب والصراعات هى من الدوافع الأساسية فى حياة الإنسان.. التى تصنع التقدم.. وهى أيضاً التى تجعل الدول والشعوب فى حالة صراع وتحد هائل مع ذاتها.. لصنع التاريخ والحضارة.

وربما كان الصراع العربى - الإسرائيلى فى فلسطين من أسوأ المفاجآت والمصادفات فى تاريخ العرب الحديث.. لكنه فى النهاية هو الذى دفع العديد من الدول العربية.. لإقامة جيوش قوية وحديثة.. لأننا ندرك أن إسرائيل لديها دائما من يقدمون لها كل ما هو أقوى وأحدث من الأسلحة والطائرات.

.. ولا توجد دولة فى هذا العالم.. تعيش بعيدا.. عن مخاطر وتهديدات الصراعات والأزمات.. وحتى الحروب التى يمكن أن تهدد الأمن القومى لها.. أو تهدد وجودها.. أو تهدد اقتصادها.

وبعض الدول الكبرى.. ومنها الولايات المتحدة الأمريكية.. تعتبر أن أى خطر يهدد مصالحها الاقتصادية.. من الدواعى والأسباب التى تدفعها للحرب.. كما حدث فى حرب تحرير الكويت. فلم تتحرك أمريكا لقيادة تحالف دولى هائل لتحرير الكويت.. انطلاقا من حبها للكويت أو دفاعا عنها.. بقدر ما تحركت دفاعا عن مصالحها الاقتصادية الهائلة فى بترول الخليج العربى كله.

ويقول الخبراء فى مختلف أنحاء العالم فيما يشبه الإجماع.. إن القرن الحادى

والعشرين.. يطل على حياة الدول والشعوب.. بقائمة هائلة من التهديدات والتحديات والمخاطر الهائلة.. التى تقلب موازين القوى.. وكل معادلات التاريخ والحضارة.. وربما كانت المتغيرات المناخية من أسوأ الآثار الجانبية للحضارة والتقدم.. لأنها تهدد مستقبل حياة الإنسان على الأرض.

.. وربما قلنا إنه كم توالى الليل بعد النهار.. ومصر والعرب لا يسألون أنفسهم.. أين نحن من هذا العالم.. وما فيه من مخاطر وتحديات وتهديدات كبرى.. تحيط بكل جوانب الأمن القومى العربى؟ ولكن مع تفاقم الأزمات والصراعات بعد تقلبات ومؤامرات الربيع العربى.. أصبح العديد من جوانب الأمن العربى فى مهب الريح.. بل من الخبراء من يحذرون من أن الأحداث والصراعات المتفاقمة بصورة مأساوية فى سوريا والعراق وليبيا واليمن.. تكاد تنفى الأمن القومى العربى ذاته.. وهذا هو مكمن الخطر، فقد أصبحت الجمهورية العربية السورية.. تكاد تكون دولة مؤهلة ليس فقط للسقوط.. ولكن للغياب التام من الخريطة السياسية للعرب والعالم.. ومعها العراق وليبيا.. واليمن.. وهناك من يتربصون بالجزائر.. بعد الرئيس بوتفليقة.

.. وفى الشهور الأخيرة لعام ٢٠١٥ اكتشف العرب فجأة أن سوريا بالتحديد أصبحت ساحة مفتوحة لأخطر الصراعات فى القرن الجديد.. خصوصاً بعد التدخل العسكرى الروسى هناك.. وبعد أن تحول نصف سكان سوريا إلى لاجئين ومهاجرين فى مختلف دول العالم.

أين نحن من الخطر؟!

ويطرح السؤال نفسه علينا: أين مصر من هذه المخاطر والتحديات.. والتهديدات؟! وكان الرئيس عبدالفتاح السيسى.. صريحا مع نفسه ومع الشعب.. حين أعلن بوضوح أن الحفاظ على بقاء الدولة الوطنية فى مصر.. بمؤسساتها وأعمدتها الأساسية.. هو أهم الواجبات والمسئوليات الوطنية المقدسة.. الملقاة.. على عاتق كل مواطن فى مصر.. وذلك فى عصر السقوط شبه المبرمج للدول والشعوب فى العالم العربى.. بالمؤامرات.. والعمليات السرية لحروب الجيل الرابع!!

ومن عادة وتقاليد الشعوب.. أنها تقيم دولها الوطنية.. فى إطار مشروع قومى شامل.. يصنع النهوض الاقتصادى.. ويرفع مستوى معيشة المواطنين.. ويقيم الاقتصاد المدنى الواسع.. القادر على الاستجابة لكل احتياجات المواطنين.. مع توفير الإنفاق اللازم لأجهزة الأمن القومى.. وبالذات القوات المسلحة.. فقد

أدركت مصر.. بالتجربة والتاريخ.. أن مهمة الدولة الوطنية لا تقتصر على توفير عوامل الحياة وحتى الرفاهية للمواطنين.. بل تمتد إلى ضرورة توفير الأمن. وحقا أدرك رجل الشارع فى مصر مؤخرا أنه إذا كانت تكاليف الحياة قد أصبحت باهظة الثمن.. فإن الأمن بمفهومه الواسع قد أصبح أغلى سلعة فى حياة المواطن والشعب والدولة.

مخاطر كبرى

ولا يوجد تعريف.. لهذا العصر الذى نعيش فيه فى منتصف العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين.. سوى أنه زمن المخاطر الكبرى التى تهدد وجود الدول والشعوب.. خصوصاً بعد تجربة الشعب السورى الذى أحاط به الخطر وانعدام الأمن من كل مكان.. حتى انسحب نصفه.. بالإرهاب والقهر والفوضى.. من أراضيه ومدنه وقراه وتحول إلى لاجئين ومهاجرين. وهذا يعنى المخاطر الكبرى فى العالم العربى.. لا تهدد بقاء الدول فقط.. لكنه تهدد بقاء وجود الشعوب أيضاً، وهذه سابقة لم تحدث من قبل فى تاريخنا الحديث.

.. ومن هنا ندرك أن الحفاظ على وجود الدولة الوطنية فى مصر وحمايتها فى مواجهة أى خطر.. هى مهمة المواطن والإنسان المصرى الأولى والأخيرة.. وربما حانت اللحظة التى يدرك فيها المواطن فى مصر أن الدفاع عن الدولة ومؤسساتها.. هو دفاع عن وجوده ومستقبله.. ومستقبل أسرته.. والدول والشعوب لا تدافع عن وجودها فى زمن المخاطر الكبرى.. بالقوات المسلحة وأجهزة الأمن القومى فقط.. لكن أيضاً بمبادرة المواطن البسيط للدفاع عن وطنه وبلاده.. والإحساس.. بل واليقين بأن الدولة هى المظلة التى تحمى كل مواطن من كل خطر.

الاقتصاد الوطنى

ولا يمكن لأى دولة أن تبقى على خريطة العالم دون أن تستند إلى اقتصاد وطنى.. قادر على تلبية احتياجاتها.. واحتياجات المواطنين فيها.. وربما كان الاقتصاد.. أو أزمة الاقتصاد.. أو العجز الاقتصادى.. هو أخطر ما يواجه مصر.. من تهديدات فى هذه المرحلة الفارقة من تاريخ العالم.. خصوصاً أن مصر معروف عنها أنها دولة.. ذات أعباء سكانية.. أكبر وأثقل كثيراً جداً من مواردها الطبيعية.. وإمكاناتها الصناعية والزراعية.

الخوف فى لندن

وقد صدر تقرير فى لندن منذ أيام.. يحذر من أن بريطانيا معرضة لخطر التراجع التاريخى.. والانسحاب التام من قائمة الدول العظمى.. فى أوروبا والعالم.. من الآن وحتى عام ٢٠٣٥ وذلك بسبب صعود الهند الاقتصادى المتواصل.. مع البرازيل.. وحتى إندونيسيا. ويقول التقرير الصادر عن وزارة الدفاع البريطانية.. إن بريطانيا لم تعد تملك وسائل المنافسة مع القوى الاقتصادية الصاعدة فى العالم.. خصوصاً مع دولة مثل الهند.. بإمكاناتها البشرية الرهيبة - أكثر من مليار نسمة - وبمواردها الطبيعية الكبرى.. فى حين تبقى بريطانيا.. مجرد جزيرة بين بحر المانش وبحر الشمال.. والمحيط الأطلنطى.. محدودة السكان والموارد.. وبلا مستقبل بين قائمة الدول الكبرى فى العالم.

.. ومن يتأمل واقع مصر الاقتصادى.. لابد أن يعترف بأن القوة البشرية المتزايدة لمصر.. يمكن أن تكون من أسس القوة الكبرى اللازمة لبناء الدولة الفتية الحديثة التى تستجيب للمشروع القومى للرئيس عبدالفتاح السيسى.. وهو مشروع هائل وشامل.. ولا يوجد أمام مصر أى بدائل أخرى سوى حتمية الالتزام بتنفيذ وتطبيق جميع جوانب وبنود الرئيس السيسى.. لأنه هو الضمان الوحيد لبقاء مصر فى قائمة الدول الصاعدة إقليمياً.. ودولياً فى العالم العربى والشرق الأوسط وأفريقيا.

بين تركيا وإيران

ربما وجب علينا قراءة الخريطة الاقتصادية الإقليمية جيدا.. لندرك أن تركيا.. إلى الشمال من سوريا والعراق.. تتصور أنها ضمنت الصعود الاقتصادى والاستراتيجى.. بما يكفى للتوسع والامتداد.. داخل الفراغ الجغرافى والسياسى الرهيب فى العراق وسوريا.

وإيران.. فشلت حتى الآن فى أن تكون رصيدا استراتيجيا للعالم الإسلامى.. وربما قلنا إنها صنعت من الأزمات.. أكثر مما أوجدت من حلول.. والمشهد القائم مع المملكة السعودية ودول الخليج.. أصبح يدعو إلى الفزع.

لكننا يجب ألا ننسى أن مصر.. ليست فقط فى تحدٍ مع نفسها من أجل بناء المشروع القومى الجديد للتنمية والتقدم تحت قيادة السيسى.. لكنها فى تحدٍ هائل ورهيب مع منافسيها فى الشرق الأوسط الكبير.. فى تركيا وإيران.. وأيضاً إسرائيل.

وحديث الجدية والعامة فى بداية العام الجديد.. يفرض على كل مواطن فى مصر.. ضرورة أن يدرك أنه لم يعد مقبولاً.. أن تكون مصر هى الأولى فى العالم العربى.. بتعداد سكانها.. وتعداد أعبائها.

لم يعد مقبولاً أن تكون مصر الأولى سكانياً.. والثالثة من حيث حجم الدخل القومى.. بعد المملكة العربية السعودية ودولة الإمارات!!

مضاعفة الدخل القومى

وإذا كنا فى الماضى نتحدث عن ضرورة رفع المعدل السنوى للتنمية الاقتصادية إلى أكثر من ٧٪ سنوياً.. بهدف مضاعفة الدخل القومى كل عشر سنوات.. فلابد أن ندرك.. أن هذا لم يعد ملائماً لمصر فى القرن الجديد.. عصر المخاطر والتهديد.. والمنافسة الشرسة من أجل صنع التقدم. ولابد أن تلجأ مصر إلى مضاعفة الدخل القومى ثلاث مرات على الأقل من الآن وحتى ٢٠٢٥ ليس فقط من أجل رفع مستوى المعيشة وتطوير مؤسسات التعليم والطب والبنية الأساسية.. ولكن أيضاً من أجل امتلاك وتوطين تكنولوجيا التقدم فى كل الصناعات ووسائل الإنتاج الجديدة. وهذا هو التحدى الحقيقى الذى يواجه المشروع القومى للرئيس السيسى.. خلال السنوات القادمة. لكننا ننسى فى زحام المخاطر والتهديدات.. والتحديات.. أن المشروع القومى للرئيس السيسى.. لا يخص شخص رئيس أو زعيم.. لكنه يخص كل مواطن فى مصر.. له مكان فى هذا المشروع.. وله مصلحة شخصية مباشرة فى ضرورة إتمامه وتنفيذه.. فى التوقيت الزمنى المناسب. وقد تكون قناة السويس الجديدة.. هى البداية الحقيقية للمشروع القومى لبناء مصر الجديدة فى القرن الجديد.. لكن المشروعات القومية التاريخية الكبرى.. بطبيعتها ليست لها نهاية.. وهى عملية حضارية متواصلة لصنع التقدم والرفاهية للإنسان والمواطن.

السباق مع الخطر

وتبدو مصر فى صراع مع نفسها أولاً.. لتحقيق هذا الهدف.. فقد بدأ سباق التقدم فى الشرق الأوسط.. فى أجواء خطيرة من الإرهاب والفوضى ومؤامرات الجيل الرابع من الحرب.. التى تستهدف انفراد الإمبراطورية الأمريكية - الأوروبية بالهيمنة على العالم العربى.. بالتعاون مع ثلاثى الخطر.. إسرائيل وتركيا وإيران.

ويقول الصحفى الأمريكى أندروناتسيوس إن مستقبل مصر ومصيرها سوف

يتحدد من خلال حسم ثلاث قضايا وأزمات رئيسية.. من المحتم أن تجد الحلول المناسبة لها.

الأولى.. هى ضرورة الحفاظ على الدولة الوطنية ومؤسساتها وحمايتها من أى خطر، وهذه ليست مهمة القوات المسلحة وأجهزة الأمن القومى فقط.. لكنها مهمة كل مواطن.

الثانية.. هى ضرورة الخروج الآمن من الأزمة الاقتصادية الخانقة.. فالخروج الآمن من هذه الأزمة الاقتصادية.. هو مظلة الحماية الحقيقية لمصر ودولة مصر الوطنية فى القرن الجديد.

مياه النيل

الثالثة.. هى أزمة مياه النيل.. وكيف يمكن لمصر أن تتعايش مع بوابات سد النهضة فى إثيوبيا.. التى نقلت مفاتيح تدفق المياه لأول مرة فى التاريخ من أسوان إلى منابع المياه فى إثيوبيا. وفى هذا الملف.. لا مكان فى العقل المصرى للغضب أو التفكير المتوتر.. مهما كانت الدواعى والأسباب.. التى تقف وراءها مخططات ومؤامرات كبرى بعيدا.. تعرف من وراءها فى واشنطن وتل أبيب.. لابد أن يتسع العقل المصرى للحوار الممتد الطويل مع إثيوبيا.. مع الثقة واليقين فى أن نجاح المشروع القومى الجديد لمصر فى القرن الجديد.. جدير بإحباط أية مؤامرة أو مخطط.. يستهدف مصالح مصر وحقوقها المشروعة التاريخية.. والوجودية فى مياه النيل.. شاء من شاء وأبى من أبى.

الكبرياء القومى

وهناك ما يشبه الإجماع بين المراقبين حول العالم على أن نقطة الانطلاق التى حرص عليها الرئيس السيسى فى بناء المشروع القومى لمصر.. هى استعادة الكبرياء القومى لمصر.. لأول مرة منذ عصر الرئيس جمال عبدالناصر.. لم تعد مصر.. تعتمد على الولايات المتحدة كمصدر رئيس للحصول على السلاح.. ولجأت مؤخرا.. بقوة وجسارة للحصول على السلاح من روسيا وفرنسا. ومازالت القوات المسلحة.. هى الرمز الأول للكبرياء القومى بالنسبة لأية دولة. وحقاً.. بدأ الرئيس السيسى مشروعه القومى بالحرص على تحديث القوات المسلحة.. وتزويدها بأحدث تكنولوجيا الطائرات والصواريخ.. والسفن.. بدءاً من طائرات الرافال الفرنسية الحديثة وحتى الفرقاطة المتطورة فريم.. وحاملتى الهليكوبتر من طراز ميستيرال.

لم تعد مصر تزهو بما تملك من سلاح.. وهى ليست قضية للزهو والفخار.. لأنها فى الواقع قضية أمن قومى فى عصر ملىء بالمخاطر والتهديدات.

لم يعد أعداء مصر.. على الحدود فقط.. وهم مازالوا على حدود مصر الشرقية.. بالتحديد فى إسرائيل.. حتى رغم السلام.. والالتزام الثابت بمعاهداته.

لكن أعداء مصر.. أصبحوا أيضاً فى الداخل.. حيث يكمن الخطر الإرهابى.. وعلى الحدود أيضاً.. يبدو خطر الإرهاب قائماً فى سيناء على الحدود مع غزة.. وفى الغرب على الحدود مع ليبيا.. حيث ظهر خطر تنظيم داعش الإرهابى فى سرت.. مع ميليشيات الإخوان الإرهابية فى طرابلس.. وهناك خطر آخر قائم فى اليمن.. حيث مضيق باب المندب الحيوى.. لضمان الملاحة فى قناة السويس.

ويؤكد المراقبون أن الغرب.. فى أمريكا وأوروبا.. مازال يدرك الأهمية الاستراتيجية البالغة لمصر فى هذا الجزء من العالم؛ ولذلك تحرص هذه الدول على تقديم الدعم لمصر.. على اعتبار أنها تملك الكثير من المفاتيح الرئيسية.. التى ترتبط بالانتعاش الاقتصادى فى أوروبا والولايات المتحدة، وهنا تبرز أهمية قناة السويس.. باعتبارها الممر البحرى الاستراتيجى الذى يمر من خلاله٣٠٪ من تجارة وواردات البترول فى العالم.. كما أنها الممر الحيوى لحركة التجارة البحرية الشاملة بين أوروبا وآسيا.

وقد تمكن الرئيس عبدالفتاح السيسى.. خلال عامى ٢٠١٤ و٢٠١٥ من تحقيق اختراق دبلوماسى واسع مع العديد من القوى المؤثرة فى العالم.. حين بدأ بزيارة تاريخية لموسكو.. فى أعقاب ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ حتى نجح فى إقامة علاقات شراكة شاملة مع روسيا الاتحادية.. وشراكة شخصية مع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين.. ولم يتردد السيسى فى القيام بثلاث زيارات متتالية لموسكو.. دون أن يقوم بزيارة واحدة لواشنطن حتى الآن.. ومع ذلك حرص الرئيس السيسى على التأكيد دائماً أن علاقات مصر مع روسيا.. ليست على حساب أية قوة عالمية أخرى.. وبالتحديد الولايات المتحدة.

أمريكا.. تتراجع

.. ومرة أخرى تمكن الرئيس السيسى.. من ملاحقة واشنطن.. دبلوماسيا وسياسيا.. حتى تراجعت فى قراراتها بشأن مصر.. وقررت استئناف المساعدات العسكرية لمصر.. بعد ١٨ شهرا من التعليق.

ويقول الصحفى الأمريكى سول ساندرز.. إن الرئيس السيسى تمكن بسلاسة دبلوماسية حقيقية من قيادة مصر سريعا إلى الصعود السياسى الإقليمى والدولى.. ويمكننا القول إنه الرئيس السيسى.. تجاوز الدور الأمريكى المتراجع فى عصر باراك أوباما.. الذى تصور أنه يمكن أن يقود أمريكا للزعامة العالمية.. من مكانه فى مقعد خلفى!!

.. فى البداية تصور أوباما.. أنه يمكنه تجنب الرئيس المصرى الصاعد إلى قمة الأحداث فى مصر والعالم العربى.. لكنه فوجئ بأن الرئيس السيسى.. يبتعد ببراعة وسرعة عن التحالف الشامل الذى أقامه نظام مبارك مع أمريكا.. وتعاقد مع روسيا على صفقات سلاح جديدة.. وتعاقد مع فرنسا على صفقات سلاح أكبر وشراكة استراتيجية واسعة.

النجم الصاعد

ويقول ساندرز، إنه فى الوقت الحالى.. يبدو نجم الرئيس السيسى صاعدا فى مصر والعالم العربى.. فى حين يأفل نجم أوباما.. ويتراجع فى العام الأخير له فى البيت الأبيض ويؤكد أن مشروع قناة السويس الجديدة يعتبر من الانتصارات الاقتصادية الكبرى التى حققها السيسى بالمقاييس المصرية والعالمية.. لدى الدول البحرية الكبرى فى العالم.

فى الأمم المتحدة

وفى سبتمبر٢٠١٥ وقف الرئيس السيسى فى الأمم المتحدة يطالب بالتسوية الشاملة للصراع العربى - الإسرائيلى.. وبموقف عالمى موحد من الحرب على الإرهاب.. عصاباته وميليشياته.

ولم ينس السيسى تأكيد حرصه على التمسك بالعلاقات مع الولايات المتحدة.. باعتبارها استراتيجية. لكنه أيضاً يتحسب لمخاطر تنظيم داعش فى سوريا وليبيا.

يؤكد المراقبون حول العالم أنه بعد التدخل العسكرى الروسى فى سوريا.. تبدو مصر - السيسى.. هى القوة الإقليمية الوحيدة التى تملك الإجابة عن أخطر سؤال فى تاريخ الشرق الأوسط.. وهو يتعلق بمستقبل سوريا.. وكيف يمكن إنهاء الأزمة هناك.

وربما يكون دور مصر المحورى فى الأزمة.. يأتى انطلاقا من علاقاتها الواسعة

بأطراف الأزمة.. فى واشنطن وعواصم أوروبا والخليج العربى.. بعيدا عن أصابع تركيا وإسرائيل الهدامة.

وقد تحدث الرئيس السيسى بقوة وشجاعة فى الأمم المتحدة.. حين أعلن أن العرب سوف يواجهون ورطة تاريخية كبرى.. إذا سقطت سوريا فى أيدى قوى الإرهاب والفوضى.. مثل تنظيم داعش وجبهة النصرة والميليشيات الإرهابية الأخرى العميلة.. لأمريكا وبريطانيا وإسرائيل وتركيا وقطر.

العالم يتابع مصر

ويبدو أن العالم كله يتابع عن قرب.. كل ما يجرى فوق أرض مصر.. حتى حوادث الطرق.. وحوادث القتل والعنف بين العائلات فى أعماق ريف الدلتا والصعيد.. ببساطة لأن مصر ليست مهمة فقط للمصريين الذين يعيشون فيها.. ولكن لأن مصر.. تحتل أهمية استراتيجية كبرى.. بالنسبة للأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط والعالم العربى.

ورغم إجماع الخبراء حول العالم على أن ٢٠١٦ سيكون عاما لأزمات الركود والتراجع الاقتصادى فى أوروبا وأمريكا والصين.. فإن مصر تبدو مؤهلة لتحقيق طفرة اقتصادية فى ٢٠١٦ تقلل من اعتمادها على المنح والمساعدات الأوروبية والأمريكية.. وإن كان الدعم الخليجى لمصر.. سوف يبقى حيويا لانتعاشها الاقتصادى.. خلال السنوات القادمة.

يؤكد الخبراء أن ٢٠١٦ سيكون عاما إيجابيا بالنسبة للاقتصاد المصرى.. وسوف تتحسن عوامل الاستقرار النقدى مع التحسن الذى سيطرأ على الوضع المالى.. وعودة الاستثمارات.. وتزايد الصادرات.

وكان مؤتمر شرم الشيخ الاقتصادى.. مظاهرة سياسية عالمية.. أثبتت مدى أهمية نهوض مصر الاقتصادى بالنسبة لمختلف دول العالم.. وكانت فرصة.. تمكنت مصر خلالها من توقيع عقود استثمار مؤكدة تزيد على ٣٦ مليار دولار، لكن اكتشاف شركة إينى الإيطالية لحقل "زهر" للغاز.. فى المنطقة الاقتصادية المصرية بالبحر المتوسط إلى الغرب من الإسكندرية.. استحوذ على اهتمام واسع من الخبراء حول العالم.

ويقول الخبراء إن المصريين وجدوا فى حقل الغاز الهائل الجديد.. هبة من السماء.. فى زمن صعب.. لكن فى أمريكا من يرون فى الكشف البترولى المصرى الجديد.. لعنة.. يمكن أن تؤثر على صادرات الغاز الأمريكية لأوروبا فى ٢٠٢٠.

قلق فى إسرائيل

وقد تحدث خبراء معهد الأمن القومى فى إسرائيل مؤخرا عن المتغيرات المثيرة للقلق فى العالم العربى. وقد اعترف رئيس الوزراء الإسرائيلى نتنياهو مؤخرا.. بأن قوات جيش الدفاع الإسرائيلى تعمل فى أعماق الأراضى السورية.. حتى تخدم دمشق.. كما أن الطائرات الإسرائيلية تحلق فى سماء سوريا فى دوريات شبه منتظمة.. وتوجه ضرباتها من وقت لآخر ضد أى هدف تريد تدميره.. داخل سوريا، من الواضح أن إسرائيل تسعى لاستغلال مظاهر الإرهاب والفوضى فى سوريا لصالحها، وهذا يؤكد ضرورة أن تحسم مصر معركتها ضد الإرهاب بانتصار شامل فى ٢٠١٦ حتى تحمى نفسها من أطماع.. وحتى اعتداءات الآخرين.

لكن خبراء معهد الأمن القومى فى تل أبيب يؤكدون من جانب آخر.. أن إسرائيل لا يمكن أن تتجاهل حصول جيرانها فى الشرق الأوسط على أسلحة روسية حديثة.. مثل صواريخ إس - ٣٠ المضادة للطائرات والصواريخ.. أو طائرات ميج -٣٥، التى يتردد أن مصر.. يمكن أن تحصل عليها فى ٢٠١٦، لتحل محل طائرات الميج - ٢١ العتيقة.. التى سوف تخرج من الخدمة فى سلاح الطيران المصرى لكن ما يثير القلق فى إسرائيل حقا.. هو ما أطلق عليه خبراء معهد الأمن القومى فى تل أبيب اسم "الدبلوماسية النووية الروسية فى الشرق الأوسط".

المفاعلات

يقول الخبراء الإسرائيليون.. إن الدول العربية فى مصر والسعودية ودولة الإمارات.. يسعون لبناء مفاعلات نووية لتوليد الطاقة الكهربائية، وقد وقعت المملكة السعودية فعلا على اتفاق مع روسيا للتعاون فى مجالات بناء المفاعلات النووية.. وقام الأمير محمد بن سليمان ولى ولى العهد السعودى بزيارة مهمة مؤخرا لموسكو.

كما قامت مصر بالتوقيع مؤخرا على اتفاق قيمته ٢٠ مليار دولار.. لبناء محطة الضبعة النووية.. غرب الإسكندرية.

.. ما يثير القلق فى إسرائيل.. هو مزاعمها حول احتمال أن تلجأ الدول العربية للحصول على التكنولوجيا النووية.. كغطاء لتصنيع القنابل النووية.. خصوصاً بعد أن فاجأت كوريا الشمالية العالم كله صباح أمس بإجراء أول تجربة على قنبلة هيدروجينية.. أو القنبلة إتش - الحرارية.

يعترف الخبراء الإسرائيليون بأن روسيا من جانبها حريصة على علاقاتها بإسرائيل.. وقام الرئيس الروسى بوتين شخصيا بزيارة إسرائيل.. التى ترى فى نفسها لاعبا رئيسيا فى الشرق الأوسط. ويتوقع الإسرائيليون أن تأخذ روسيا.. مصالح إسرائيل فى اعتبارها عند تنفيذ أى مشروع نووى سلمى فى العالم العربى.. بما يضمن لإسرائيل الاستمرار فى احتكار الأسلحة النووية فى الشرق الأوسط.. من الآن وإلى ما لا نهاية.

ويطالب الخبراء بضرورة أن تفرض روسيا قيودا على صادرات التكنولوجيا النووية للعرب.. بحيث لا تشمل تكنولوجيا التخصيب النووى.

لكن إسرائيل فى الوقت نفسه تتذرع بالخطر الإيرانى ولذلك طلبت من الولايات المتحدة مضاعفة مساعداتها العسكرية السنوية لإسرائيل بما يتجاوز الخمسة مليارات دولار.. مع ضرورة تزويد إسرائيل بسرب إضافى من طائرات إف - ١٥ الحديثة التى يطلقون عليها النسر الصامت - سايلنت إيجل.. لأنها تتمتع بالكثير من تكنولوجيا طائرات إف - ٣٥ الخفية.. التى تخطط إسرائيل للحصول على أربعة أسراب منها ١٠٠ طائرة من الآن وحتى ٢٠٢٠

حدود إسرائيل مؤقتة

وقال المتطرف الإسرائيلى - ميزاليل سموترتيش - وهو من حزب البيت اليهودى.. إن إسرائيل تقبل بحدودها القائمة حاليا بشكل مؤقت.. فى الجولان والضفة الغربية.. على أن تسعى لتحقيق حلم إسرائيل التوراتية.. أينما وحينما حانت الفرصة السياسية والعسكرية لتحقيق ذلك.

ويقول كارمن ميدينا نائب مدير المخابرات المركزية الأمريكية السابق.. إنه من المستحيل التنبؤ بما هو قادم فى المستقبل.. قد يكون ممكناً التنبؤ.. ببعض العوامل.. السكانية مثلا.. وهى ذات تأثير خطير.. أكبر مما يعترف به الأمريكيون أحياناً.

ولكن يمكن للمحللين والمراقبين فى أجهزة المخابرات العالمية.. بالكثير من الحظ والصدفة.. المخلوطة بدقة وسرعة الملاحظة أن يقوموا بقراءة عوامل التغيير حول العالم بصورة صحيحة.. بما يعطيهم القدرة على التنبؤ.. بما هو قادم.. أو صاعد على سطح الأحداث.. الإقليمية أو العالمية.

المستقبل.. جمع

لكن الواقع.. يؤكد أنه لا يوجد مستقبل واحد مفرد.. لأن المستقبل جمع.. وكل خطوة يتخذها إنسان ما.. أو قائد أو زعيم فى دولة.. أو حتى مسئول فى شركة.. تفتح أبوابا لأحداث جديدة.. وتغلق أبوابا أخرى أيضاً.

والحقيقة أن القرارات والسياسات.. لا تكشف النوايا فقط.. لكنها تكشف أيضاً الاختيارات التى لم تعد مطروحة.. لكننا نكتشف فى النهاية أن أفضل طريقة للتنبؤ بالمستقبل.. هى الالتزام بالملاحظة الدقيقة والدائمة لكل ما هو قائم فى الحاضر وفى اللحظة الحالية.. محلياً وإقليمياً ودولياً.

ربما أدركنا أن أسرار عام قادم.. مثل ٢٠١٦ قد تتحدى قدرة الإنسان على التنبؤ.. لكن العلامات والخطوط الرئيسية تكون واضحة.. بما يكفى للإدراك والفهم. ويقول كارمن ميدينا إن تطورات الأحداث فى سوريا.. تجعله يشعر بالفزع والقلق على مستقبل دولة مثل الأردن.. التى مازالت تتحدى أحداث الفوضى والسقوط من حولها فى العراق وسوريا فى هدوء. لكن امتداد الإرهاب والفوضى إلى الأردن.. سيجعل من الشرق الأوسط.. أرضا مستحيلة.. ومنطقة سيريالية.

بين أمريكا وروسيا

وتبدو أمريكا شديدة الحرص على عدم التورط فى صدام عسكرى مع روسيا فى الأجواء السورية.. لكن الحملة الروسية والأمريكية والأوروبية ضد داعش لن تؤدى لسقوط دولة الخلافة فى ٢٠١٦ لكن وجودها سوف يتقلص إلى حد كبير. لكن ضعف تنظيم داعش فى سوريا والعراق.. قد يدفعه إلى ارتكاب جرائم وهجمات إرهابية فى الشرق الأوسط وأوروبا.. وحتى أمريكا.. ومع تصاعد الأزمات الاقتصادية فى أمريكا وأوروبا والصين.. يبشر بحوادث وأحداث رئيسية كبرى فى عام ٢٠١٦ بما يهدد بتحويل عام ٢٠١٧ إلى عام من العواصف السياسية والعسكرية الصاعقة فوق كوكب الأرض. ويبدو أن عام ٢٠١٦ سيكون مخيفا.. أو مليئا بالمخاوف الكبرى.. لكن ٢٠١٧ سيكون عاما معقدا.. تصل فيه الأحداث العالمية إلى ذروة الصراعات الساخنة.. وربما الملتهبة.. لأن النظام العالمى.. يعاد تشكيله من جديد.. بدءا من أوكرانيا فى عمق أوروبا.. وحتى سوريا فى العالم العربى.

الصراع بين روسيا وأمريكا ممتد ومفتوح.. والصراع بين أمريكا والصين كامن..

وقادم.. والاتحاد الأوروبى يواجه عوامل الانهيار.. لكن صعود تركيا.. سيكون خطيرا جدا.. على مستقبل الأمن والاستقرار فى الشرق الأوسط.. خصوصاً أن أمريكا تقف وراء هذا الصعود الزائف لتركيا. لكن العالم يبدو فى ٢٠١٦ أكبر وأعقد من أن يتنبأ بمستقبله أحد.

.. لكن وسط هذا الصخب الإقليمى والدولى المثير للقلق الشديد.. لابد أن تجد مصر طريقا لها يضمن لها الصعود الإقليمى والدولى.. وقيادة العالم العربى إلى عصر جديد من الأمن. هل تنجح مصر مع دول الخليج العربى.. والجزائر.. فى إعادة بناء النظام العربى فى ٢٠١٦ المخاطر والتهديدات.. تبدو جسيمة.. والمهمة ثقيلة.. لكن الدور الإقليمى لمصر.. ضرورى.. ومطلوب.. عربياً وأوروبياً وعالمياً. وكل شىء يرتبط فى النهاية بالإرادة الوطنية لمصر.. وقيادتها الجديدة.. التى تبذل كل جهد ممكن من أجل نجاح المشروع القومى لمصر الجديدة.. وهو مشروع شعب مصر.. والأمة العربية كلها فى الواقع.. وهذا هو ما يقوله الخبراء ويعترفون به حول العالم.. تحيا مصر.. ويحيا مستقبل مصر.

ثورات الربيع العربى.. تعرضت لعملية اختطاف.. لصالح الهيمنة الأمريكية

الربيع العربى.. فيه من المؤامرات.. أكثر مما فيه من الثورة.. ويبدو أن أحداً لا يصدق أن الثورات.. تكون دائماً الفرصة التى تستغلها القوى الكبرى.. والأجهزة السرية العالمية.. لتدبير المؤامرات ورسم المخططات.. التى تستهدف كسر إرادة الشعوب.. وتقويض أهدافها فى السعى للحياة الحرة الكريمة.. أو فى الحياة والخبز والعدالة الاجتماعية.. كما كان شعار الثوار فى ميدان التحرير فى يناير ٢٠١١

ليس سراً.. أن أمريكا.. وآلة الدعاية الغربية سعت بكل قوة لاختطاف ثورات الربيع العربى.. فى إطار مخطط أمريكى واسع.. لتغيير وإسقاط الدول الوطنية فى العالم العربى.. بل وتصفية وجود شعوبها.. والمأساة التى يعيش فيها الشعب السورى حالياً.. تتحدث عن نفسها. كما تحولت ليبيا من دولة مزدهرة اقتصاديا.. إلى دولة فاشلة ممزقة.. بعد أن انتشرت فيها عصابات الإرهاب والفوضى الدولية من بنغازى حتى طرابلس.. لم تكن مفاجأة إذن أن يعلن الرئيس عبدالفتاح السيسى.. فى خطابه التاريخى الأول أمام مجلس النواب منذ أيام.. أننا فى مصر.. بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ قد نجحنا فى إحباط مخطط.. وتعطيل مؤامرة.. بعد أن تمكن الشعب والقوات المسلحة من استعادة مصر.. لتكون وطنا للجميع.. بدلا من أن تكون وطنا لجماعة.

ولم تكن مفاجأة أن تتحدث الصحافة العالمية.. الأمريكية والبريطانية عن جماعة الإخوان الإرهابية.. باعتبارها جماعة متطرفة وإرهابية.. صنعتها المخابرات البريطانية فى مصر.. تحت الاحتلال البريطانى.. لضرب الحركة الوطنية المصرية المطالبة بالاستقلال.

وأكدت صحيفة أمريكية كبرى منذ أيام.. أن جماعة الإخوان الإرهابية.. ليست إلا شيطانا.. أجاد صناعته "شيطان المخابرات البريطانية" فى مصر.. تحت الاحتلال فى عشرينيات القرن الماضى.

لكن المفاجأة الأكبر أن تتحدث الصحافة الأمريكية عن الدكتور أيمن الظواهرى.. باعتباره العميل المخلص للمخابرات المركزية الأمريكية.. الذى أسهم فى تخطيط وتنفيذ مؤامرة اغتيال الرئيس الراحل أنور السادات.. وتؤكد الملفات الأمريكية السرية أن جماعة الإخوان الإرهابية.. هى الشجرة الأم التى تفرعت منها كل عصابات وشبكات الإرهاب.. بدءا من تنظيم القاعدة وجبهة النصرة وحتى تنظيم داعش مؤسس ما يسمى بدولة الخلافة فى العراق وسوريا.

حاخام إسرائيلى كبير

ومن يتأمل ويتوقف أمام المأساة الدموية فى سوريا والعراق وليبيا.. واليمن.. لابد أن يدرك القيمة التاريخية الكبرى ليوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فى مصر.. لأننا فى هذا اليوم العظيم.. بالشعب والقوات المسلحة.. لم ننجح فقط فى إسقاط نظام إخوانى عميل للاستعمار الأمريكى - البريطانى.. بل نجحنا فى إحباط مخطط شيطانى رهيب.. وعطلنا مؤامرة.. كانت ومازالت تريد استنساخ السيناريو السورى فى مصر.

ومنذ ساعات.. ظهر فى تل أبيب.. حاخام إسرائيلى كبير.. يبكى نجاح مصر فى استغلال أجواء السلام لبناء قواتها المسلحة القوية القادرة.. وسط طوفان الضياع والفوضى والإرهاب فى العالم العربى.. من العراق إلى سوريا وحتى ليبيا واليمن.

ويعترفون فى واشنطن ولندن وتل أبيب حالياً وصراحة.. بأن الهدف الاستراتيجى للصهيونية العالمية والاستعمار الأمريكى.. كان استغلال موجة ثورات الربيع العربى.. فى إسقاط النظم السياسية الحاكمة.. وإسقاط الدول الوطنية.. وتصفية الشعوب.. ونشر حروب الإرهاب والفوضى فى كل مكان.. كمقدمة للتدخل العسكرى الأمريكى.. الذى يتحول إلى مطلب ترتفع الأصوات به عادة فى إسرائيل ولندن وبرلين.. وحتى فى الخليج.

ولن ننسى أصوات الغضب التى ارتفعت فى إسرائيل وواشنطن وأوروبا والخليج العربى.. حين تراجع الرئيس الأمريكى باراك أوباما ورفض التدخل العسكرى المباشر فى سوريا.. بعد أن أنفقت تركيا وقطر وأثرياء الخليج العربى أكثر من ٢٠ مليار دولار على تمويل وتسليح عصابات وشبكات الإرهاب العالمى فى سوريا.

ليبيا.. جاهزة للاحتلال

وتبدو الأرض فى ليبيا حالياً.. ممهدة جيدا.. وجاهزة لاستقبال قوات الاحتلال الأمريكى - الأوروبى.. تحت غطاء الحرب على الإرهاب.. والحرب على تنظيم داعش الإرهابى.. بعد أن رفضت واشنطن ولندن بإصرار أية محاولة لإعادة تسليح وبناء الجيش الوطنى الليبى!!

وبعد أن انتقل تنظيم داعش أو كاد.. من سوريا إلى ليبيا.. ارتفعت الأصوات فى الدوحة وتركيا وإسرائيل وأوروبا تطالب بسرعة التدخل الأمريكى الأوروبى.. بالقوة المسلحة فى ليبيا.. فى مخطط استراتيجى واضح.. ومؤامرة سابقة التجهيز.. لإعادة ليبيا لأمن الاحتلال والسيطرة على ثرواتها الوطنية الواسعة من البترول والغاز. والمخطط جاهز.. لإعادة تقسيم ليبيا إلى ثلاث أو أربع دول صغيرة على الأقل!!

الحرب.. فى زمن الأزمة

ولا أحد يدرى.. لماذا يتجه العالم إلى الحروب الكبرى.. والصراعات المسلحة الدموية الطويلة.. فى زمن الأزمات المالية والاقتصادية الطاحنة؟!

لكن من الواضح أن الخريطة القائمة للعالم حالياً.. تبعث على القلق والانزعاج البالغ فى واشنطن. ولذلك تسعى الولايات المتحدة بقوة منذ بدايات القرن الجديد.. إلى إعادة رسم خريطة العالم.. حسب المصالح الأمريكية وحسب أولويات ومعادلات الأمن القومى الأمريكى.. ودائما بالتخطيط المسبق.. والمؤامرات السرية والمعلنة.. لجأت الولايات المتحدة إلى إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط.. والعالم العربى أولاً.

.. وبالدعاية والخداع.. يتصور البعض أحياناً.. أن الهدف النهائى للسياسة الأمريكية.. هو نشر العولمة الاقتصادية والتجارية.. تحويل العالم إلى سوق واحدة موحدة.. مع أن الهدف الحقيقى للسياسة الأمريكية هو "عولمة الحرب" ونشر الصراعات والحروب المسلحة فى مختلف مناطق العالم.. مع التركيز الخاص على الشرق الأوسط والخليج العربى. ولا يوجد فى واشنطن من يسعى إلى وقف تصعيد الصراع بين العرب وإيران فى الخليج.. لأن ذلك من شأنه أن يؤدى إلى وقف صادرات الأسلحة الأمريكية لدول الخليج العربى!!

تسعى أمريكا بقوة إلى إشعال الصراعات الدينية والعرقية فى الشرق الأوسط الكبير.. وإشعال الصراعات الدموية.. حتى بين أبناء الدين الواحد.. كما يحدث حالياً بين السنة والشيعة.

كنا نتصور فى الماضى أن المخطط الأمريكى القديم.. لنشر الفوضى الخلاقة فى العالم العربى.. يستهدف مجرد تغيير أنظمة الحكم العربية التى لا ترضى عنها أمريكا.. لكن اتضح أن الهدف الأمريكى الكبير.. هو إعادة رسم خريطة الدول والشعوب العربية.. بالتفتيت والتقسيم.. والتقزيم.. لصالح المشروع الصهيونى التاريخى فى إسرائيل.. التى تدعى أنها الحليف الأكبر لأمريكا فى المنطقة.. وهى صناعة أمريكية قديمة.

.. اختفى الصراع العربى - الإسرائيلى.. وتراجع وانحسر.. لم يعد يتحدث عنه أحد.. نسينا القدس.. والرغبة فى تحرير القدس.. نسينا الشعب الفلسطينى.. بعد أن ظهرت قضية أكبر وأخطر.. هى ضرورة إسقاط النظام القائم فى دمشق.. بأى ثمن.. حتى لو اقتضى الأمر.. نفى وتشريد ٢٥ مليون مواطن سورى وتحويلهم إلى لاجئين مشردين فى جميع أنحاء العالم.. من اليابان.. حتى أوروبا وأمريكا وكندا.

.. وكانت مفاجأة أن يتحدث البعض فى تل أبيب وواشنطن عن مشروع صهيونى جديد.. لإقامة دولة استيطانية فى شمال أوروبا.. فى إطار مشروع إسرائيلى - تركى قديم.. ترعاه أمريكا بالقوة المسلحة!!

براءة الثورة

.. ربما لم نتصور منذ ٥ سنوات.. أن تتحول دول الربيع العربى إلى ساحات مفتوحة للصراعات والفوضى والحروب الأهلية.. التى تشارك فيها جماعات الإرهاب من جميع أنحاء العالم.

.. كانت الشعوب العربية مأخوذة ببراءة الثورة.. وبراءة المسلم الثورى.. ولم تدرك أن ثورات الربيع كانت فرصة استغلتها الإمبراطورية الأمريكية.. لنشر الحروب والفوضى والإرهاب والصراعات بوسائل أخرى.. ليس فقط بهدف إعادة رسم خريطة العالم العربى والنظام الإقليمى فى الشرق الأوسط.. ولكن أيضا.. بهدف إعادة بناء وتشكيل النظام العالمى كله.

ولا أحد يدرى.. لماذا تكره واشنطن.. عودة روسيا إلى الساحة العالمية.. ولا أحد يدرى لماذا تقف أمريكا ضد صعود الصين كقوة عالمية.. رغم أن الاستثمارات والتكنولوجيا الأمريكية أسهمت بقوة فى صنع معجزة الصين الاقتصادية؟.

ولكن منذ سقوط الاتحاد السوفييتى فى١٩٩٠، ظلت الولايات المتحدة الأمريكية.. تبحث فى كل مكان.. عن عدو جديد.. تدخل أمريكا فى صراع كونى

جديد معه.. وفى النهاية لم تجد سوى صدام حسين فى العراق.. وكانت مغامرة احتلال الكويت.. نقطة البداية التى استغلتها أمريكا جيدا.. لبدء حروبها الطويلة فى العالم العربى. ويتحدثون الآن بصراحة فى واشنطن.. عن سيناريو طويل وممتد للحرب فى سوريا والعراق وليبيا.. ومختلف بلدان العالم العربى يمتد لثلاثين عاما مقبلة على الأقل.

حرب إقليمية واسعة

ويقول الأمريكى مايكل تسوسودفيسكى إن الولايات المتحدة تخطط حالياً لحرب إقليمية أوسع فى سوريا.. بتحفيز تركيا وإسرائيل ودفعهما للقيام بالجزء القذر من هذه الحرب.. بالتعاون مع شبكات وعصابات الإرهاب المنتشرة فى سوريا.

وينسى الخبراء فى زحام الأحداث أن شركات الأمن الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية هى التى تتولى توريد المتطوعين للحرب فى صفوف داعش وجبهة النصرة وتنظيم القاعدة وأحرار الشام وجيش الفتح.. تحت الإدارة المباشرة للتنظيم الدولى لجماعة الإخوان الإرهابية.. المسألة ليست مبادئ.. وليست إسلاما أو شريعة.. المسألة هى قصة حروب مرتزقة وإرهاب من نوع جديد فى العالم العربى.

ويبقى السؤال.. ما الهدف من انتشار وحدات القوات الخاصة الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية فى شمال سوريا.. مع القوات الخاصة التركية ووحدات المخابرات الأمريكية والإسرائيلية؟!

تمويل الحرب الشاملة

ولا يخفى الأمريكيون أهدافهم.. ويتحدثون بصراحة ويؤكدون أن وحدات القوات الخاصة الأمريكية فى سوريا.. تتولى تقديم المشورة العسكرية لجماعات الإرهاب المعادية لبشار الأسد.. ومع الاستشارات العسكرية.. يتم تقديم المال.. وأحدث الأسلحة الأمريكية لهذه العصابات.. والتمويل يأتى من مصادر عربية فى قطر والخليج.

ومن المثير أن تتحدث الصحافة العالمية عن استعداد خليجى لتمويل حرب أمريكية شاملة ضد إيران.. أو حتى روسيا فى سوريا.. أو حرب أمريكية مباشرة ضد إيران فى الخليج.. وأرقام الأموال المرصودة لهذه العملية تزيد على ألف مليار دولار!!

ورغم أنه لم تحدث مواجهات عسكرية مباشرة حتى الآن بين قوات أمريكية

وقوات سورية.. فإنه يوجد فى تركيا من يسعون إلى تشكيل تحالف دولى واسع تقوده الولايات المتحدة الأمريكية.. للقيام بالتدخل العسكرى البرى.. فى سوريا.. بدعوى القضاء على تنظيم داعش.. مع أن الهدف الحقيقى هو إسقاط بشار الأسد.. بما يؤكد من جديد أن تنظيم داعش.. ليس فقط صناعة أمريكية - قطرية - تركية.. لكنه فى الواقع التنظيم الإرهابى.. الذى فتح أبواب وحدود سوريا واسعة أمام التدخل العسكرى الخارجى فى شئونها. وهذا هو الهدف الحقيقى لمؤامرات الإرهاب والفوضى فى العالم العربى.. مهما كان الغضب الخليجى السعودى من بشار الأسد.

أردوغان.. أطماع ومخاوف

وهذا هو التحول الجديد الذى يسعى الرئيس التركى العميل رجب طيب أردوغان للقيام به فى سوريا.. ببساطة لأن تركيا.. تخشى الانفراد بالتدخل العسكرى المنفرد فى سوريا.. حتى لا تتورط فى حرب مباشرة مع روسيا.

وتتحدث أوساط فرنسية فى باريس.. عن محاولات تركيا للقيام بعملية شيطانية.. تقوم فيها تركيا باستفزاز روسيا فى سوريا.. حتى تقوم موسكو بردع تركيا عسكرياً.. فيما يتصوره حلف الناتو أنه عدوان روسى على تركيا.. من هنا تتحرك أمريكا ودول الحلف.. لدعم تركيا فى مواجهة عدوان روسيا.

وهنا يتسع الصراع فى سوريا وعلى سوريا.. ويتحول إلى ما يشبه الحرب العالمية!

هزيمة الإرهاب

ويتحدث الخبراء العسكريون حالياً.. عن هزيمة عصابات الإرهاب التى تدعمها تركيا وقطر ودول الخليج فى منطقة حلب.. محور الأطماع التركية فى أراضى سوريا.. بما يوحى بأن الحرب المزعومة على تنظيم داعش الإرهابى قد انتهت.. وبدأت الحرب الحقيقية على سوريا. ويقول المراقبون فى مجلة الإيكونوميست البريطانية إن اتفاق وقف إطلاق النار الذى توصل إليه الأمريكيون والروس مؤخرا فى فيينا.. غير قابل للتنفيذ.. بما يوحى بأنهم يتحدثون فى واشنطن عن السلام.. وهم يخططون للحرب الأكبر والأوسع فى سوريا وعلى سوريا.. لأن السيناريو الشيطانى فى وزارة الدفاع الأمريكية.. يتعلق بعولمة الحرب فى سوريا. وتبدأ سيناريوهات الحرب الأمريكية.. بنشر الفوضى ودعم عصابات الإرهاب.. وفرض الحصار الاقتصادى.. والقيام بعمليات سرية من حروب الجيل

الرابع.. بهدف تحقيق السيناريو النهائى.. وهو تغيير نظم الحكم التى تعاديها أمريكا. ومنذ شهور كان يبدو نظام بشار الأسد فى دمشق آيلا للسقوط.. لكن التدخل العسكرى الروسى المفاجئ.. أدى إلى تغيير موازين الحرب فى سوريا.. وتركيا تريد الآن إنقاذ تنظيم داعش الإرهابي.. بالدعوة إلى تحالف دولى تقوده أمريكا وحلف الناتو للتدخل بالقوات البرية فى سوريا. وبعض دول الخليج العربى تبدو أكثر حماسا لتنفيذ مخططات المخابرات المركزية الأمريكية.. أكثر من جون يرينان مدير الجهاز الأمريكى العتيد!!

لكن المثير.. أن يتحدث البعض فى واشنطن عن حروب نووية وقائية.. كوسيلة من وسائل فرض الاستسلام على الشعوب والدول الصغيرة.. بل إن أحد خبراء البنتاجون.. تحدث مؤخرا عن استراتيجية الكرملين الجديدة فى موسكو.. وأكد أن تلويح روسيا باللجوء للسلاح النووى فى أى صراع مسلح.. لم يعد يشكل رادعا.. يمنع أمريكا من الحرب.. واللجوء لقرار الحرب.

سوريا.. إلى أين؟!

.. لا أحد يدرى إلى أين يتجه الموقف فى سوريا.. وطبول الحرب البرية تدق فى تركيا.. وفى كبرى دول الخليج العربى.. لكننا ندرك جيدا أن الدول والشعوب العربية تنطلق بهذه الصورة على الطريق إلى المجهول.. لأن المخطط الأمريكى - الإسرائيلى - التركى.. لا يستهدف المصالح العربية، ولن نتحدث عن سيناريو التقسيم الأمريكى الذى يطول حتى المملكة السعودية.. درة العرب على الخليج.. وقد نشرت صحيفة وول ستريت جورنال الأمريكية خريطة تقسيم السعودية علنا منذ أسابيع، وهذه الصحيفة هى الناطق الرسمى باسم الإمبراطورية الأمريكية.

تكشف الملفات السرية الأمريكية مؤخرا أن المخابرات المركزية الأمريكية خططت منذ أمد بعيد لإعادة بعث تنظيم الإخوان العميل.. بما يدفعه لاستلام السلطة فى العالم العربى.

ولم تكن مفاجأة أن يضطر أمير قطر السابق للتنازل عن العرش لابنه تميم آل ثان.. بعد سقوط نظام الإخوان فى مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فقد كان الاتفاق الثلاثى قائماً سرا بين أمريكا وإسرائيل وتنظيم الإخوان.. على أن تتولى قطر التمويل. وحين سقط محمد مرسى فى القاهرة عادت قطر إلى حجمها الطبيعى كدويلة صغيرة بلا قيمة فى الخليج العربى.. واتضح أن الأموال السائلة لا تصنع دولة من العدم.

لكن الشيخ القرضاوى.. الزعيم الروحى لتنظيم الإخوان العميل هو الذى صنع مفاجأة حين ادعى أنه لو كان النبى محمد عليه السلام.. حيا الآن لعاش فى إسرائيل ولأيد حلف الناتو!!

إحباط مخطط وتعطيل مؤامرة

لم يبالغ الرئيس عبدالفتاح السيسى حين قال إننا نجحنا فى مصر فى إحباط مخطط وتعطيل مؤامرة.

فقد تحدث العالم كله عن فشل مؤامرة الإخوان فى مصر.. باعتبارها فشلاً لمخطط أمريكى واسع لإعادة رسم خريطة مصر والعالم العربى كله.. كان المخطط يستهدف.. ليس فقط إقامة دويلة الجماعة فى مصر.. بل تقسيم وتقزيم مصر.. فى إطار خطة شيطانية واسعة لتدمير العالم العربى.. لحماية إسرائيل وضمان الوجود والبقاء لها طويلا فى القرن الجديد.

.. لا أحد يدرى.. إلى متى تبقى سوريا فى مهب رياح الصراع العالمى الواسع.. فى لحظة فارقة من التاريخ.. يعاد فيها رسم خريطة العالم.. ويعاد بناء النظام الدولى. لكن سوريا وشعب سوريا يدفعان الثمن.. من حياة الملايين ومن أراضى شعب بكامله.

المصير المجهول

لن يتقرر مصير ومستقبل سوريا فى سوريا.. ولن يكون مستقبل سوريا فى يد أو بإرادة الشعب السورى.. لأن مستقبل سوريا يراد له أن يتقرر فى واشنطن وتل أبيب ولندن وباريس وبرلين.. وموسكو. وتتحدث الصحف العالمية عن خطة أمريكية - إسرائيلية لإقامة دولة استيطانية فى شمال سوريا.. وترفض تركيا التفريط فى أحلامها التوسعية فى إقليم حلب.. ولذلك بدأت تطالب بالاستعداد للحرب البرية فى سوريا. ويبدو الشرق الأوسط فى مهب رياح حرب.. متعددة الأطراف.. عالمية الأبعاد.. أمريكية الأهداف.. عربية التمويل.

واشنطن تعترف: مصر قوة إقليمية.. ليس لها بديل

مازال هذا العالم الذى نعيش فيه مليئاً بالأسرار.. والألغاز.. التى تستعصى على الفهم أحياناً.. لا توجد أمامنا حقائق كاملة.. أو حتى أنصاف الحقائق.. التى يمكن أن تكشف لنا أسباب ودواعى الأزمات والصراعات والفوضى والحروب الإرهابية الدموية التى تنتشر فى بعض أو معظم دول العالم العربى.

لا يوجد أمامنا فى الواقع سوى أكوام رهيبة من الأكاذيب والمغالطات الدعائية التى يرددها الإعلام الأمريكى والأوروبى ليل نهار.. التى تخفى الأهداف الحقيقية للمشروع الأمريكى فى العالم العربى.

فى واشنطن.. لا يخفى الأمريكيون رغبتهم فى الانفراد بإدارة شئون العالم كله.. حسب خريطة المصالح والأغراض الأمريكية.. ويمكن يقال إن ما بين القرن العشرين.. والقرن الجديد.. اختلف الزمن.. ولم يتغير الاستعمار ومحاولات السيطرة على دول العالم الثالث.

ربما لا تختلف أهداف الإمبراطورية الأمريكية.. عن أهداف الإمبراطورية البريطانية.. لكن الوسائل تختلف بالتأكيد.

ربما لم تلجأ الولايات المتحدة الأمريكية إلى القيام بغزو واحتلال الدول الصغيرة.. إلا فى العراق وأفغانستان.. لكنها تلجأ لفرض السيطرة والهيمنة بوسائل أخرى قوية للغاية.. وإن كانت تبدو ناعمة.. لكنها شديدة التأثير.. ويصعب حتى على قوى كبرى فى العالم الإفلات منها.. دون أن تتعرض لمخاطر جسيمة.. والأمثلة واضحة.. فى اليابان والصين.. وحتى ألمانيا.

.. وقد اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية لفرض هيمنتها على شئون العالم.. من خلال تأسيس مؤسسات مالية كبرى.. مثل البنك الدولى.. وصندوق النقد الدولى.

لكن تبقى المعجزة الأمريكية الحقيقية.. فى النظام الاقتصادى الأمريكى..

وقدرته على جذب وامتصاص فوائض الأموال العالمية.. مهما كانت قيمتها.. ومهما كان حجمها.

بالحسابات التقليدية.. كان يجب أن يتعرض الاقتصاد الأمريكى لما يشبه الانهيار.. بعد أن تصاعد حجم الديون الأمريكية إلى ما يزيد على عشرين ألف مليار دولار.

ويقول الخبراء فى واشنطن إن نصيب أى طفل أمريكى جاء إلى الحياة فى ٢٠١٦ من الديون المستحقة على أمريكا حالياً.. يزيد على ٤٢ ألف دولار.

ومن المتوقع أن يرتفع حجم الدين القومى الأمريكى إلى أكثر من ٢٤ تريليون دولار خلال السنوات الأربع المقبلة.

ورطة الموازنة

.. وأصبحت عملية صياغة الموازنة الفيدرالية لأكبر قوة فى العالم.. وهى أمريكا.. من العمليات بالغة التعقيد.. وكثيراً.. ما يجد أعضاء الكونجرس الأمريكى أنفسهم فى ورطة حقيقية.. ببساطة لأن النفقات المطلوبة للموازنة الفيدرالية الأمريكية تزيد على أربعة آلاف مليار دولار.. لا يوجد منها فى وزارة الخزانة الأمريكية سوى نحو ٢٥٠٠ مليار دولار فقط.. ويتم تمويل العجز الهائل فى الموازنة الأمريكية.. أكثر من ١٥٠٠ مليار دولار.. عبر سندات الخزانة الأمريكية.. التى يتم عرضها للبيع فى بورصات العالم الكبرى.. فى طوكيو وشنغهاى وفرانكفورت وباريس ولندن.

.. ولا أحد يدرى حتى الآن.. كيف تمكنت الولايات المتحدة من الاستحواذ على فوائض الأموال الهائلة لدى الدول الغنية.. فى اليابان والصين وكوريا وألمانيا ودول الخليج العربى.

أموال العالم فى أمريكا

وقد دفعت الصين وحدها أكثر من ٢٥٠٠ مليار دولار.. لشراء أذون الخزانة الأمريكية، ويقال إن البعض يقومون بإيداع كميات هائلة من الأموال السائلة فى بنوك سويسرا وبريطانيا وألمانيا.. وهى أموال تفوق بالتأكيد حجم ما تحتاج إليه هذه الدول من استثمارات.. وبالتالى نكتشف أن هذه الأموال تحركت تلقائياً.. عبر القنوات المصرفية الأوروبية.. وانتقلت للبنوك الأمريكية.

وحين برزت على السطح ظاهرة الصناديق السيادية للدول والحكومات الغنية

فى الصين واليابان والخليج العربى.. لم تجد هذه الأموال ملاذاً لها إلا فى أمريكا، ومنذ أوائل السبعينيات حين ارتفعت أسعار البترول العربى إلى أرقام قياسية.. لم تتردد أمريكا فى القبول بالأسعار الواقعية الجديدة للبترول العربى فى الأسواق العالمية.. مقابل ضمان واحد.. وثابت لا يتغير.. وهو أن تستقر فوائض أموال البترول العربية فى البنوك الأمريكية.. وربما البريطانية.

هكذا تحولت الولايات المتحدة الأمريكية إلى إمبراطورية كبرى.. لا مثيل لها فى التاريخ.. وتمكنت أيضاً من بناء أكبر قوة عسكرية فى تاريخ العالم.. بعد أن انفردت بأدوات السيطرة الاقتصادية والعسكرية على العالم.. خصوصاً بعد السقوط الرهيب للاتحاد السوفييتى السابق.

.. ويشعر البعض منا بالدهشة وربما بالصدمة والعالم يشهد.. الصعود الاقتصادى والتكنولوجى.. لحفنة قليلة من الدول.. مثل ألمانيا واليابان وكوريا الجنوبية.. وحتى أندونيسيا وتركيا وماليزيا.. وإسرائيل.

ويعترف الأمريكيون بلا مواربة.. بأن الولايات المتحدة.. تنفرد أيضاً.. بتوزيع الثروة والاستثمارات ونقل التكنولوجيا لمختلف دول العالم.. حسب خريطة المصالح الأمريكية حول العالم.. وربما حسب مدى خضوع مختلف الدول لجدول أعمال الهيمنة الأمريكية على العالم. لكن من الملاحظ بقوة أيضاً أن الاستثمارات الأمريكية والعالمية.. توجد بكثافة عالية جداً.. حيث توجد القواعد العسكرية الأمريكية.. كما هي الحال.. فى اليابان وكوريا الجنوبية.

ويؤكد الأمريكيون بصراحة مطلقة أن تدفق الاستثمارات والأموال والتكنولوجيا الأمريكية والعالمية على الصين.. ليس له هدف سوى تغيير النظام السياسى والاقتصادى فى الصين.. من الآن وحتى منتصف القرن الحالى.. على أبعد مدى.

الحصار.. الحصار

وتحرص الولايات المتحدة على حصار المشرق العربى.. بالأساطيل والقواعد العسكرية.. من الخليج العربى.. وحتى شرقى البحر المتوسط.. وتعمدت واشنطن أن يتم تغيير خريطة العالم العربى بالقوة المسلحة.. كما حدث حين قامت القوات الأمريكية بغزو العراق.. ثم لجأت أخيراً لإسقاط الدولة الوطنية الموحدة فى سوريا بحروب الجيل الرابع.. أى الإرهاب والفوضى.

.. وحين نجحت مصر.. بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى فى ثورة ٣٠ يونيو

٢٠١٣ فى الإفلات من مستنقع الإرهاب والفوضى.. لجأت الولايات المتحدة لأسلحة أخرى.. تستهدف تطويع وتغيير القرار السياسى الوطنى فى مصر.. حسب الأهداف الأمريكية.. وكانت نقطة البداية هى تعليق جزء من المساعدات العسكرية الأمريكية لمصر.

ثورة يونيو ٢٠١٣

.. ولكن مصر.. بوحدة الشعب والقوات المسلحة.. تمكنت من تجاوز أزمة التعليق المؤقت للمساعدات العسكرية الأمريكية.. بالحركة السريعة على اتجاهين:

الأول: اللجوء للقوى العربية الشقيقة فى الخليج العربى.. خصوصاً المملكة السعودية ودولة الإمارات العربية. وقد وقفت الدولتان بقوة مع مصر بالدعم المالى الكريم.. حتى وقفت مصر على قدميها من جديد.. وبدأت عصر إقامة المشروعات القومية الكبرى.. وكانت قناة السويس الجديدة.. هى أول بشائر الإنجازات السريعة.

.. واعتمدت مصر أيضاً على روسيا الاتحادية.. وكان قراراً وطنياً جريئاً من الرئيس السيسى أن يلجأ إلى تنويع مصادر حصول مصر على السلاح.. وكانت صفقة طائرات الرافال مع فرنسا من المفاجآت السياسية الكبرى.. التى فاقت كل التوقعات.

.. وفى النهاية.. اضطرت أمريكا للتراجع وقررت استئناف المساعدات العسكرية لمصر.. وإن كانت بشروط جديدة.

ما الذى تغير؟!

لكن من الواضح أنه توجد أشياء كثيرة تغيرت فى ملف العلاقات المصرية الأمريكية.. خصوصاً أن صانع القرار الأمريكى تعرض لصدمة حقيقية فى ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ حين اكتشف أن القوات المسلحة المصرية قد تعتمد على السلاح الأمريكى لعشرات السنين.. لكنها تبقى جيشاً مصرياً وطنياً.. ينحاز للشعب ومصالحه الوطنية.

وتعترف قيادات كبرى فى البنتاجون بأنهم تصوروا منذ منتصف السبعينيات أن فتح الأكاديميات العسكرية أمام الضباط المصريين للدراسة والتدريب.. من شأنه أن يساعد على تغيير العقول وكسب ولاء القيادات العسكرية المصرية لأمريكا.. وليس لمصالح مصر الوطنية والعربية.

.. وفى لحظة الحقيقة خلال ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فوجئ العالم كله بالشعب والقوات المسلحة كياناً واحداً وفرداً واحداً.. ضد الفاشية الدينية والإرهاب.. الذى تجسده جماعة الإخوان التى مازالت أمريكا ترى مصالحها هذه اللحظة فى ضرورة بقاء هذه الجماعة وانتشارها فى العالم العربى.. وليس فى مصر فقط.

صدمة أوباما

وكانت الصدمة داخل البيت الأبيض ولدى الرئيس الأمريكى باراك أوباما حقيقية.. وكبيرة.. واضطرت سوزان رايس مستشارة الرئيس الأمريكى لشئون الأمن القومى إلى استدعاء الأكاديمى الدكتور سعد الدين إبراهيم.. لتقديم استشاراته السياسية لصانع القرار الأمريكى أثناء إدارة أزمة اندلاع ثورة ٣٠ يونيو فى مصر.. وإسقاط حكم الإخوان البغيض.

فقد فوجئ صانع القرار الأمريكى بالروح الوطنية الطاغية للقوات المسلحة المصرية.. وأجهزة الأمن القومى.. وكانت المفاجأة الكبري فى ملايين المصريين الرافضين للمشروع الأمريكى فى مصر.

ومازالت واشنطن تعيش أجواء صدمة التغييرات الواسعة التى أحدثتها هذه الثورة فى مصر.. ولأول مرة يكتشف صانع القرار الأمريكى أن تعليق كل أو جزء من المساعدات العسكرية الأمريكية.. لا يؤثر على القرار السياسى الوطنى لمصر.

وهكذا.. لم يبق أمام أمريكا.. سوى ورقة توت واحدة هى منظمات المجتمع المدنى التى تحصل على تمويل أمريكى من أجل كتابة التقارير حول ما يسمى بالتحول الديمقراطى وحماية حقوق الإنسان فى مصر.

وارتفعت أصوات فى الإعلام الأمريكى تزعق بضرورة إعادة النظر فى معادلات العلاقات المصرية الأمريكية.

وذكرت مجلة فورين أفيرز الأمريكية مؤخراً أن العلاقات بين واشنطن والقاهرة تسير حالياً فى اتجاه واحد.. يخدم المصالح المصرية الوطنية فقط.. ولا يخدم أمريكا.

.. وارتفعت أصوات أمريكية أخرى تطالب بضرورة إعادة اختراع العلاقات المصرية الأمريكية على أسس جديدة.. تخدم مصالح الطرفين.

وكان من بين هذه الأصوات دانيل كيرتزر السفير الأمريكى الأسبق بالقاهرة.

سلاح الصحافة

من الواضح أن تلويح الصحافة الأمريكية.. بإعادة النظر فى العلاقات مع مصر.. من وقت لآخر.. ينطوى على رغبة أمريكية متجددة فى ضرورة استعادة النفوذ والتأثير فى القرار السياسى الوطنى فى مصر.. فى عصر رئيس جديد صاعد.. مثل الرئيس عبدالفتاح السيسى.

ويبدو أنه لا يوجد فى واشنطن من يصدق أن مصر تغيرت وأن الرأى العام فى مصر.. قد تغير.. خصوصاً بعد مشاهد الإرهاب والفوضى والضياع.. فى العراق وسوريا وليبيا.. والدور الأمريكى القيادى.. فى صناعة هذه المشاهد.

الصعود المزعج

كما يوجد فى واشنطن ولندن وتل أبيب من يزعجه جداً أن يكون صعود مصر القادم فى القرن الجديد.. هو الاستثناء الوحيد والفريد.. فى هذا العالم العربى الذى تأكله ذئاب الإرهاب والفوضى.

وقد اعترف السفير الأمريكى الأسبق فى مصر.. ريتشاردونى.. بأننا اكتشفنا بعد ثورات الربيع العربى أن مصر.. دولة وطنية فريدة.. غير قابلة للتقسيم.. مثل العراق أو سوريا.. وكانت هذه مفاجأة سياسية كبرى.. لم يتحسب لها.. الذين خططوا للإرهاب والفوضى.. فى أعقاب ثورات الربيع العربى.

ويقال إن وحدة مصر الوطنية بعد ثورة ٣٠ يونيو.. كانت أشبه بالصدمة العميقة لدى صانع القرار الأمريكى.. ومازالت قصة حقوق الإنسان والتحول الديمقراطى.. هى الورقة الأخيرة التى تلوح بها واشنطن فى وجه مصر.. من وقت لآخر.

ومن وراء هذه الورقة.. تفاجئنا أحداث تبدو صغيرة.. تحاصرنا من وقت لآخر.. وهى أحداث وراءها أبعاد رهيبة.

سقوط طائرة

وكانت ضربة البداية.. هى مؤامرة إسقاط طائرة الركاب الروسية.. بعد إقلاعها من شرم الشيخ.. وكان الهدف ليس فقط.. ضرب السياحة المصرية وحرمان مصر من ١٤ مليار دولار سنوياً.. هى عائد صناعة السياحة فى مصر.. بل ضرب العلاقات الدافئة بين مصر وروسيا.. قبل أن تنضج وتتحول إلى شراكة سياسية واقتصادية واسعة.

المطلوب طبعاً أن تبقى أمريكا.. هى الاختيار الوحيد المتاح أمام مصر.. بعيداً عن روسيا.. وحتى الصين.

وكانت قصة اغتيال أو مصرع الباحث السياسى الإيطالى ريجينى.. من الأحداث الصغيرة.. التى يراد لها أن تتحول إلى ما يشبه كرة الثلج.. التى يجب أن تكبر وتتضخم إلى أبعد مدى.. بما يؤدى إلى تقويض العلاقات السياسية والتجارية الواسعة بين مصر وإيطاليا.

وإيطاليا.. هى أكبر شريك تجارى لمصر.. فى أوروبا. وجاء توقيت الجريمة اللغز فى وقت اتسعت فيه العلاقات الاقتصادية بين مصر وإيطاليا إلى الحدود القصوى.. خصوصاً بعد اكتشاف حقوق بترول إنبى فى مياه البحر المتوسط شمال الإسكندرية.

وأثناء زيارة وزيرة التنمية الإيطالية لمصر.. تم اكتشاف الجريمة اللغز.. فى وقت كانت كبرى الشركات الإيطالية.. تستعد لإقامة مشروعات واسعة فى مصر تزيد قيمتها على ٢٠٠ مليار دولار.. حسب الأرقام الواردة فى الصحف الإيطالية.

أزمة ريجينى

.. والآن تجرى محاولات.. لإشعال نيران خلافات لا وجود لها بين مصر وإيطاليا.. بفتيل الجريمة اللغز.. مصرع الباحث جوليو ريجينى.. بصورة غامضة وفى توقيت مريب.. يؤكد تورط جهاز مخابرات عالمى فى هذه الجريمة.

وهذه كلها محاولات لتوجيه طعنات لمصر.. تحت الحزام.. تهدف لتطويع القرار الوطنى فى مصر.. لصالح المشروع الأمريكى الأوروبى الإسرائيلى فى العالم العربى.

لكن مازالت لدى مصر أوراق قوية.. فى مواجهة كل الضغوط.. يتحدث عنها الأمريكيون صراحة.

ومن واقع الملفات الأمريكية.. يقولون إنه لا يمكن للولايات المتحدة ضمان تدفق البترول من حقول الخليج العربى إلى أسواق العالم.. دون مصر.. القوة الإقليمية الكبرى.. القادرة على تأمين قناة السويس الموجودة بالكامل داخل الأراضى المصرية.

.. ومازالت معاهدة السلام بين مصر وإسرائيل لها الأولوية الكبرى.. لأن هذه المعاهدة هى التى وضعت حداً لمسلسل الحروب العربية الإسرائيلية.. كما أن

أمريكا ترى أن الحفاظ على بقاء وأمن إسرائيل مرهون باستمرار علاقاتها القوية مع مصر.

.. ومازالت الولايات المتحدة وقيادة البنتاجون ترى أن استمرار وجود القوات المسلحة المصرية قوية وقادرة.. من أهم عوامل استقرار الأمن الإقليمى فى الشرق الأوسط.

بل إن كبار الجنرالات فى البنتاجون يطالبون بضرورة السماح بزيادة القدرات العسكرية للقوات المسلحة المصرية.. لتكون جاهزة وقادرة على الانتشار الإقليمى فى الشرق الأوسط.. خصوصاً مع تأكيد الرئيس السيسى أن أمن الخليج العربى.. جزء من الأمن القومى لمصر.

ويلاحظ المراقبون فى واشنطن أن الأولويات الوطنية لمصر.. تحت قيادة الرئيس السيسى.. اختلفت تماماً.. مصر الآن.. تسعى بكل قوة للحفاظ على الدولة الوطنية.. مؤسساتها وكيانها.. باعتبارها مظلة الأمان الوحيدة للشعب المصرى ولملايينه التسعين فى عصر الفوضى والإرهاب.. والدول الفاشلة.

.. ومازالت مصر.. تكافح بكل قوة لاستعادة قوتها الاقتصادية.. ومواجهة الآثار الاجتماعية الصعبة لانتشار البطالة وغياب العدالة الاجتماعية.

الحاجة إلى مصر

ويدرك الأمريكيون جيداً.. مدى حاجتهم للتسهيلات اللوجيستية التى تقدمها مصر لأمريكا.. عبر قناة السويس أو فى الأجواء المصرية.. بما يخدم الانتشار العسكرى الأمريكى فى الخليج العربى.

ويعترف الأمريكيون بأن بقاء مصر.. الدولة المشغولة بالداخل الوطنى فقط.. من شأنه أن يعرض المصالح الأمريكية الإقليمية لمخاطر وتهديدات كبرى.. ولذلك اعترف جيمس بيكر وزير الخارجية الأمريكى بأن صانع القرار الأمريكى يجد نفسه دائماً فى ورطة كبرى.. حين يتعلق الأمر.. بقدرة أمريكا على التأثير فى القرار السياسى فى مصر.. فقد اتضح أن ورقة المساعدات العسكرية الأمريكية لمصر.. تخدم مصالح أمريكا.. بقدر ما تخدم مصر.. المصلحة متبادلة بقوة.. لكن ثورة ٣٠ يونيو٢٠١٣ كشفت أن الشراكة الاستراتيجية الأمريكية مع مصر.. ليس لها بديل.. ولكن انتهت تلك الأيام التى يمكن لأمريكا فيها أن تؤثر في القرار السياسى الوطنى المستقل لدولة كبرى مثل مصر.

اللعبة الصغيرة

ولذلك لم يبق إلا تلك اللعبة الصغيرة.. مثل ورقة منظمات المجتمع المدنى.. وحادثة الإيطالى ريجينى.. ومؤامرة إسقاط طائرة الركاب الروسية فى سيناء.

.. مصر.. تملك أوراقاً قوية فى مواجهة حصار الأزمات والحوادث المختلفة.. ومصر قادرة على الصمود.. من خلال الوحدة الوطنية.. والتلاحم بين الشعب والقوات المسلحة والقيادة الوطنية للرئيس السيسى.

ومصر.. قادرة على الصمود.. والإفلات من مؤامرة الحصار بالأزمات والجرائم السرية.. من خلال الانفتاح إلى أقصى مدى على الأشقاء فى الخليج العربى.. خصوصاً المملكة السعودية.. وربما كانت زيارة جلالة الملك سلمان بن عبدالعزيز - خادم الحرمين الشريفين - لمصر اليوم.. مؤشراً على أن مصر والسعودية هما محور الانطلاق العربى من جديد.. مهما كانت الأزمات والمخاطر.. حتى لو كان الهدف هو تعطيل حركة التنمية والتقدم فى مصر.. أو إجبارنا على التراجع عن تنفيذ المشروع القومى لمصر.. بقيادة الرئيس السيسى.. وإن كنا نتصور أن علاقات الصداقة التاريخية بين مصر.. ودول كبرى مثل إيطاليا وروسيا.. أكبر من عواصف الجرائم الغامضة أو حتى جرائم إسقاط طائرة ركاب، إن مصر.. تعرف كيف تحافظ على الإيقاع الصاعد للعلاقات مع روسيا.. لكن العلاقات مع فرنسا.. يمكن أن تكون منفذاً.. يمكننا من خلاله تجاوز الأزمة الطارئة فى العلاقات مع إيطاليا.

ولن ينسى هذا العالم أن مصر.. شريك إقليمى كبير.. ليس له بديل فى الشرق الأوسط وإفريقيا.. وحتى فى أروقة الأمم المتحدة.. كما يعترف الأمريكيون.

مؤامرة تدمير العالم العربى..
فى قمة أولويات واشنطن الاستراتيجية

أمـريكا.. تتطلع.. أو تطمع فـى سـرعـة توقـيع اتفـاق نووى نـهائـى مـع إيران.. من الآن وحتى ٣٠ يونيو ٢٠١٥ ومن المؤكد أن يؤدى مثل هذا الاتفاق إلى تغيير وجه منطقـة الشـرق الأوسط بالكامل.. وتسعى أمـريكا بالحـديد والنار.. إلى تغـييـر حدود وخطوط.. خـرائط دول المشـرق العـربـى من الآن.. كما يحدث فى العـراق وسوريا.. واليمن.. وليبيا.

لا أحد يدرى.. ماذا تريد الإمبـراطورية الأمـريكية من العالم العربى بالتحديد؟! لكن من الواضح أن الولايات المتحدة.. مثل كل الامبراطوريات العالمية من قبلها.. تبحث دائماً عن عدو جديد.. بمجرد انتهائها من هزيمة عدو قديم. وبمجرد.. هزيمة الاتحاد السوفيتى السابق خلال الحرب الباردة.. اقتنصت أمريكا فرصة حماقة الغزو العراقى للكويت.. وشرعت فى تنفيذ جدول أعمال أمريكى بعيد المدى.. استهدف تدمير العراق.. وإسقاط الدولة الوطنية فيه.. ومن بعد العراق.. جاءت مؤامرات ثورات الربيع العربى.. التى استهدفت تقويض وإسقاط الدول العربية الوطنية فى ليبيا وسوريا واليمن.. وهناك مؤامرات سرية.. مازالت.. قيد التنفيذ وراء الأسوار العالية لوكالة المخابرات المركزية الأمريكية.. تستهدف تقسيم وتفتيت دول عربية خليجية كبرى.. مؤامرات تقسيمها لم تكن تخطر على بال. لكن شيطان العقل الإمبـراطورى الأمـريكى.. يتصور دائماً أنه قادر على صنع المستحيلات.. السياسية والاستراتيجية والعسكرية.

من كان يتصور أن دولة مستقلة ذات سيادة.. مثل الجمهورية العربية السورية.. يمكن أن تتعرض لمثل هذا المأزق التاريخى.. وأن تتعرض لخيانة الأشقاء فى العالم العربى.. والجيران فى تركيا.. والأعداء.. فى إسرائيل وواشنطن؟!

.. لا توجد خريطة محددة للمصالح القومية للدول والشعوب العربية.. أو لم يتفق العرب يوماً على خريطة محددة وموحدة للمصالح القومية العربية.. لكن

خريطة المصالح والأطماع الأمريكية فى العالم العربى.. لا تعرف الحدود.. ولم يكن يوماً لها حدود!!

لكن خبراء كلية الحرب الأمريكية.. يبشرون باتجاه الولايات المتحدة الأمريكية.. للانفصال عن الشرق الأوسط.. وهى تتجه نحو محور آسيا.. ولاحتواء الصين.. باعتبارها العدو القادم للإمبراطورية الأمريكية ويتردد بين كبار خبراء وجنرالات كلية الحرب العليا الأمريكية.. أن ما يجرى فى الشرق الأوسط جزء من الترتيبات الأمنية والاستراتيجية التى تعمدت أمريكا فرضها على دول وشعوب العالم العربى.. قبل الاتجاه نحو آسيا.. والصين بالتحديد.

.. وكشفت عملية "عاصفة الحزم" فى اليمن.. كما يقول الخبراء الأمريكيون.. قدرة المملكة العربية السعودية.. ودولة الإمارات العربية.. على الصعود الإقليمى.. باعتبارهما قوتين عسكريتين إقليميتين.. وأصبح واضحا أن سلاح الطيران الإماراتى.. هو ثانى أكبر قوة جوية عربية.. بعد تهاوى سلاح الطيران السورى.

لكن الترتيبات الإقليمية الأمريكية.. استهدفت أيضاً تغييرات واسعة فى خريطة القوى الاقليمية العربية.. وأصبح القرار القومى العربى تجرى صياغته فى الرياض وأبو ظبى.. وليس فى القاهرة أو دمشق أو بغداد!! وهذه مفاجأة كبرى لم يدرك أحد أبعادها.. حين جرى هدم العراق بالاحتلال والتقسيم الأمريكى.. وحيث تجرى حاليا عملية أمريكية إسرائيلية تركية عربية.. لهدم سوريا.. للقضاء على الدولة الوطنية الموحدة فيها.. ويوماً بعد يوم يدرك المصريون قيمة ما جرى وحدث.. فى يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ حين أسقطت ثورة الشعب.. والجيش نظام الإخوان العميل.. وحافظت على كيان مصر الوطنى الموحد.. بعد أن كانت جزءاً من مؤامرة أمريكية.. بكافة المقاييس والمعايير.. جرى خلالها استغلال مشاعر الغضب الشعبى.. تجاه نظام مبارك.. لصالح مشروع رهيب.. لتقسيم وإسقاط الدول الوطنية فى العالم العربى.

أحاديث صحف

.. لكن كواليس واشنطن لا تخلو من مفاجآت.. خصوصاً بعد أن كشفت صحف أمريكية كبرى منذ أيام أن الولايات المتحدة ظلت تعتمد على إيران والمملكة العربية السعودية.. فى تأمين منابع وحقول البترول فى الخليج العربى. وظلت الثنائية الإيرانية السعودية هى جوهر الاستراتيجية الأمريكية فى الخليج.. حتى وقعت ثورة الخمينى فى إيران.. وأسقطت نظام الشاه السابق.

.. واليوم تسعى أمريكا من جديد لاحتواء إيران داخل.. الإمبراطورية الأمريكية.. لتكون إحدى وسائل الهيمنة الأمريكية على دول وشعوب العالم العربى.. مع تركيا وإسرائيل.

.. وتوالت المفاجآت مؤخراً.. فقد رفضت الولايات المتحدة الارتباط مع دول الخليج العربى.. باتفاقيات تحالف.. مثل حلف الناتو.. أو مثل تحالف أمريكا مع اليابان.

ورغم أن أمريكا.. مستعدة لتقديم ضمانات وتطمينات لدول الخليج خلال قمة كامب ديفيد مع باراك أوباما.. تشمل تزويد دول الخليج بكل ما تريده من أسلحة ومعدات أمريكية.. بما فى ذلك درع صاروخية مضادة للصواريخ الإيرانية.. لكن أمريكا.. ترفض أيضا تزويد دول الخليج بطائرات إف ٣٥ الخفية.. درة صناعة السلاح الأمريكية.. ويتردد فى داخل البيت الأبيض حاليا وبصراحة تامة.. أن الولايات المتحدة ترى فى إيران.. حليفاً قادماً.. وليس صديقاً.. وترى فى المملكة العربية السعودية.. صديقا دائما.. وليست حليفاً وربما كانت هذه المفاجآة الاستراتيجية هى السبب وراء غياب قمم قامات عربية خليجية.. عن قمة كامب ديفيد. ويرى جنرالات البنتاجون.. أن العالم العربى يشهد حالياً لحظة خليجية.. تصعد فيها دول الخليج العربى.. باعتبارها القوى العربية الجديدة.. التى تملأ الفراغ الناتج عن غياب سوريا والعراق.. ويعترف الأمريكيون فى واشنطن.. أن الإمبراطورية الأمريكية تدافع عن وجودها وبقائها.. فى ظل وجود الكثير من الأسباب.. التى تدفع بالإمبراطورية الأمريكية دفعاً فى طريق الانهيار.. وكانت خطط تدمير دول وشعوب العالم العربى.. إحدى وسائل أمريكا.. لضمان طول العمر والبقاء.. لإمبراطورية أمريكية آيلة للسقوط.. بعد أن تحول الحلم الأمريكى العظيم.. إلى كابوس رهيب، وهذه هى الحقائق والمفاجآت الكبرى التى يتحدث عنها الأمريكى جون مايكل جرير.. فى كتابه المذهل "تراجع وسقوط الإمبراطورية الأمريكية: الذى أحدث هزة واسعة فى واشنطن حين صدر منذ شهور قليلة.

التراجع والسقوط

وربما يدعونا مثل هذا الكتاب.. أو ربما يفرض مثل هذا الكتاب على العقل العربى.. ضرورة البحث والتفتيش عن وسائل جديدة لإدارة العلاقات العربية الأمريكية.. رغم أننا نعرف وندرك أن المصالح القومية العربية لها حدودها.. التى قد لا تتجاوز حدود العالم العربى.. من الكويت وحتى المغرب.. لكن العالم

العربى كله.. يشكل جزءاً من خريطة المصالح الأمريكية.. التى تمتد من واشنطن.. حتى أوروبا بالكامل.. وتتجاوز روسيا وآسيا بالكامل وحتى الصين واليابان.. وتبدو إفريقيا وأمريكا الجنوبية أحياناً فى ذيل قائمة المصالح والأطماع الأمريكية.

.. ويؤكد جون مايكل جرير فى كتابه الخطير.. أن الإمبراطورية الأمريكية فى حالة تراجع.. رغم كل الادعاءات الكاذبة لفريق الصقور من المحافظين الجدد.. الذين تأخذهم أوهام الأطماع الصهيونية بعيدا بعيدا.. بما قد يعرض الإمبراطورية الأمريكية لحالة سقوط وشيك.. وهذه تعد واحدة من أخطر حقائق العصر.. السياسية والاقتصادية والجغرافية.. التى قد تجد أحياناً من لا يعترفون بها فى واشنطن.

السقوط السريع

لكن يتحدث الكثير من كبار الجنرالات والساسة حاليا فى واشنطن صراحة.. عن المخاطرات والتحديات الكبرى التى سوف تهدد العالم إذا تعرضت الإمبراطورية الأمريكية للسقوط.. ويحذرون بشدة.. من أمريكا.. حيث تعانى من أعراض السقوط المتسارع.. رغم شواهد القوة والاستخدام المفرط للقوة العسكرية ضد الشعوب العربية المغلوبة على أمرها فى العراق وسوريا وليبيا. ورغم توغل القوة العسكرية الأمريكية الفاحش حول العالم.. وفى البحار والمحيطات.. لكن سقوط الإمبراطورية العالمية.. سيؤدى إلى فوضى كونية شاملة.. وكأنها زلزال يتبعه تسونامى رهيب لمياه البحار والمحيطات حول العالم.

ويؤكد الخبراء فى واشنطن وعواصم أوروبا أن حدوث انهيارمفاجىء للإمبراطورية الأمريكية.. سيؤدى إلى حدوث خلل فادح فى الموازين العالمية. ويطالب الأمريكى جون مايكل جرير فى كتابه.. بضرورة أن يستعد العالم من الآن لاحتمالات ومخاطر سقوط الإمبراطورية الأمريكية.. لأن هذا السقوط الأمريكى المحتمل.. يمكن أن يؤدى إلى تحولات كبرى خصوصاً فى أوروبا وآسيا والعالم العربى.. وسوف تتبقى زلازل هذه المتغيرات المفاجئة لعشرات السنين.

أطماع أمريكا

ويقول جون مايكل جرير فى كتابه.. إن العالم كله يتحدث يومياً عن أطماع أمريكا الواسعة فى حقول البترول والغاز الغنية فى الخليج العربى وإيران والعراق وليبيا والجزائر.. وينسى الناس فى كل الدنيا أن التعريف الحقيقى

للإمبراطورية لم يتغير.. منذ الإمبراطورية الفرعونية فى مصر فى فجر التاريخ.. وحتى الإمبراطورية الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين.

ومازال التعريف الحقيقى للإمبراطورية واحدًا.. لا يتغير.. وهو أن الإمبراطورية فى الواقع ليست إلا مضخة كبرى للثراء وصنع الثروة.. وتركيز الثروة والعمل على تراكمها فى قلب الإمبراطورية الواسع.. ليس فقط بنك الاحتياط الأمريكى.. لكن فى صناعة المال الأمريكى من نيويورك على المحيط الأطلنطى إلى لوس أنجلوس.. على المحيط الهادى الباسيفيكى.

ومن المؤكد أن احتكار أمريكا لصناعة البترول فى العالم العربى كانت إحدى أدوات مضخة صنع الثروة الهائلة فى شرايين الإمبراطورية الأمريكية، قد تكون الإمبراطورية الأمريكية.. قوة عسكرية لم يسبق لها مثل فى التاريخ.. لكنها أيضا قوة مالية واقتصادية ليس لها مثيل فى التاريخ. ربما امتلكت الولايات المتحدة الأمريكية الكثير من أسباب الثراء داخل أراضيها.. لكن تراكم الثروة داخل القلب الأمريكى تضاعف مرات عديدة.. بانفراد أمريكا بالسيطرة على حقول النفط والبترول فى الخليج العربى وحول العالم.

لكن مضخة صنع الثروة فى الإمبراطورية الأمريكية تتجاوز الانفراد بالسيطرة على حقول النفط والطاقة حول العالم.. ومازالت شركات البترول الأمريكية العملاقة.. هى الأكبر فى العالم.. وفى داخل أمريكا وبعد انهيار الاتحاد السوفييتى السابق.. حرصت الإمبراطورية الأمريكية على تغيير وجه الاقتصاد العالمى.. وفرضت على جميع دول العالم الثالث ضرورة بيع وخصخصة كل وسائل الإنتاج المملوكة للدولة.. ودعت إلى نشر السوق الحرة والتجارة الحرة بين قارات العالم. ويقول جون مايكل جرير إن التجارة الحرة هى إحدى وسائل "مضخة صنع الثروات الأمريكية" التى تستهدف تعظيم مكاسب الإمبراطورية الأمريكية وحلفائها فى أوروبا واليابان.. على حساب الدول الفقيرة المغلوبة على أمرها. ومن العجيب أن تفرض أمريكا على دول العالم الفقيرة ضرورة فتح أسواقها.. فى إطار التجارة العالمية الحرة.. رغم أنها تتعمد فرض القيود والحواجز على صادرات دول بعينها.. منها مصر فى العالم العربى. وفى النهاية تتركز الأموال وتتراكم الثروات داخل الإمبراطورية الأمريكية ولدى حلفائها فى أوروبا واليابان.. وتبقى سوريا تحت الحصار.. وتحلم أمريكا.. باستدراج الصين إلى دنيا التجارة الحرة.. بما يؤدى فى النهاية إلى إسقاط النظام الشيوعى فى الصين، هكذا تزداد الإمبراطورية الأمريكية ثراء.. مع حلفائها.. وينتشر الفقر وكل الأمراض السياسية والاجتماعية والوبائية بين شعوب الدول الفقيرة حول العالم!!

ولم يسبق أن تمكنت دولة أو إمبراطورية من زيادة ثرواتها دون إقامة قاعدة صناعية كبرى.. تحظى بنظام حماية هائل فى وجه أى منافسة خارجية. ولهذا عاشت كل الدول التى استسلمت لنظرية الاقتصاد الحر الأمريكية فى أحضان الفشل السياسى والاقتصادى.. كما يقول جون مايكل جرير.. الذى يؤكد أن التجارة الحرة.. جزء من مضخة صنع الثروة الأمريكية.. التى أدت إلى تركيز ثروات العالم بين ثلاث مدن فى أمريكا.. هى نيويورك وواشنطن ولوس أنجلوس لن نتحدث عن التحالفات الكبرى التى أقامتها الإمبراطورية الأمريكية مع الدول الكبرى والصغرى.. فى أوروبا واليابان وكوريا الجنوبية.. ولن نتحدث عن اتفاقيات القواعد العسكرية.. التى تربط الدول الحليفة والصديقة والتابعة بسلاسل من الفولاذ.. التى لا مجال للفرار منها أبداً.

مخالب ناعمة

ويقول جرير: إن العالم ينسى دائما أن للإمبراطورية الأمريكية مخالب ناعمة جدا.. تتمثل فى المنظمات الإنسانية والمنظمات غير الحكومية.. ومنظمات حقوق الإنسان.. التى تستخدمها الإمبراطورية الأمريكية فى إسقاط وتغيير نظم الحكم داخل الدول المعادية.. والصديقة والتابعة.. وقتما شاءت.. وحسب الجدول الزمنى للمصالح الأمريكية فى أى مكان حول العالم.. وقامت منظمات حقوق الإنسان الأمريكية فى مصر وتونس.. بدور مهم جداً فى صياغة شعارات ما يسمى بثورات الربيع العربى.

والإمبراطورية الأمريكية.. مثل أية امبراطورية عالمية سابقة.. لا يهمها مصالح أو رفاهية الدول والشعوب التابعة لها. ويقول جرير إن الولايات المتحدة سعت دائماً إلى تصدير قيم الديمقراطية والسوق الحرة إلى دول وشعوب العالم العربى فى الشرق الأوسط.. وقد دفعت هذه الشعوب ثمناً باهظاً مقابل أوهام الديمقراطية والسوق الحرة الأمريكية التى لم تتحقق.. ولن تتحقق أبداً.

وفى النهاية تعرضت دول وشعوب العالم العربى لصواعق الإرهاب والفوضى والحروب الأهلية.. التى ترتبت على سقوط الدولة الوطنية.. فى العراق وليبيا.. والكارثة فى سوريا رهيبة وفى مضخة صنع الثروة داخل الإمبراطورية الأمريكية.. تحولت الدول المستضعفة إلى ما يشبه الأبقار.. التى تجلب الأموال السائلة فى شرايين وقلب الإمبراطورية الأمريكية الذى لا يشبع!!

ويقول جرير.. إن الإمبراطورية الأمريكية.. تمكنت من هزيمة إسقاط امبراطورية السوفييت.. وبمجرد التخلص من العدو السوفييتى.. اتجهت سريعاً

إلى اختراع ظاهرة الإرهاب فى العالم العربى.. لتقوم بإعلان الحرب على الإرهاب.. باعتباره العدو الجديد لأمريكا.. وبعد تدمير العالم العربى.. تلوح الصين فى الأفق.. باعتبارها العدو المنتظر لأمريكا.. وكلما تخلصت الإمبراطورية من عدو.. سارعت للبحث عن عدو جديد.. ولو حتى باختراع العدو الخطير من العدم.

المضخة.. تعرضت للكسر

وفى هذا الإطار.. يمكن أن تسمح الإمبراطورية للحلفاء بصنع الثروة.. كما حدث مع حلفاء أمريكا فى أوروبا واليابان وكوريا الجنوبية، لكن يبدو أن مضخة صنع الثروة داخل الإمبراطورية الأمريكية قد تعرضت للكسر فجأة.. ربما بعد فشل مشروع الاحتلال الأمريكى للعراق وأفغانستان.. وربما بسبب تراكم الدين القومى الأمريكى.. الذى تتصاعد تكاليفه بسرعة الصاروخ.

لم يعد بإمكان الإمبراطورية الأمريكية الاتفاق على المشروعات الكبرى التى كان يتحدث عنها جون كيندى فى خطابه الشهير.. لم تعد أمريكا قادرة على تمويل مشروع عملاق.. مثل مشروع مانهاتن لإنتاج القنبلة الذرية الأولى.. الذى تكلف فى أربعينيات القرن الماضى أكثر من أربعة مليارات دولار.. ما يعادل أكثر من ٤٠ ألف مليار دولار حالياً. لم يعد بإمكان أمريكا الاتفاق حتى على مشروع جديد لغزو الفضاء مثل برنامج أبوللو للهبوط على سطح القمر.

وكلما طال العمر والبقاء بالإمبراطورية الأمريكية.. تحملت الدول المغلوبة على أمرها فى الشرق الأوسط وآسيا وإفريقيا أعباء ثقيلة أكثر وأكثر.. وتزداد فقراً وجوعاً.

وأصبح الاقتصاد الأمريكى الداخلى فى حالة انهيار وعجز.. تبتلعه النفقات العسكرية المتصاعدة.. لكن الظاهرة الخطيرة هى انهيار البنية الأساسية داخل المدن الأمريكية من طرق ومواصلات ومدارس ومستشفيات؛ لأن الإمبراطورية الأمريكية لم تعد مزدهرة.. ما بقى من الثروة الوهمية فى أمريكا.. ليست إلا ثروة من ورق.. حقيقى هى ثروة من ورق لأن البنك الفيدرالى الأمريكى يطلب من مطابع البنكنوت التابعة له يومياً طبع أطنان من الدولارات الورقية.. لتعويض العجز فى الناتج القومى الأمريكى، ولم يبق على أمريكا سوى أن تعيد اختراع الإمبراطورية الأمريكية من جديد. واختراع الحلم الأمريكى.. قبل أن يتحول إلى كابوس لا يمكن الخلاص منه.. فهل حقاً أن أمريكا إمبراطورية فى طريق الزوال؟ السؤال صعب.. والاجابة عنه للتاريخ.

حرب واشنطن على الإرهاب.. لن تنتهى أبداً.. أبداً
تنظيم داعش.. صناعة أمريكية بالوثائق!!

.. ماذا يحدث فى العالم العربى؟! ولماذا كل هذا الإرهاب وكل هذه الفوضى؟! وكيف اتسعت وتوسعت خريطة الإرهاب بهذه الصورة الوحشية؟!

وهل يمكن أن تتصاعد حروب وجرائم الإرهاب فى العالم العربى من وراء ظهر الولايات المتحدة الأمريكية خصوصاً بعد أن تحولت من قوة هيمنة كبرى إلى قوة احتلال فى العراق؟!

الصورة والأوضاع القائمة فى العالم العربى.. تشير إلى مأساة إنسانية وسياسية.. لم يسبق لها مثيل على الأقل فى تاريخنا المعاصر وفى زحام الأحداث والجرائم وانفجارات القنابل والصواريخ.. تتوه منا الحقيقة وتغيب عن عيوننا ويفوتنا دائما بالنسيان أو التناسى.. أن العالم العربى بثرواته الهائلة مازال هو الجائزة الاستراتيجية الكبرى التى ترفض الولايات المتحدة الأمريكية التنازل عنها أو التفريط فيها!

وفى سبيل تحقيق هذا الهدف.. تستعين الإمبراطورية الأمريكية علينا بأوروبا واليابان وإسرائيل وتركيا وربما كانت إيران فى الطريق!! ومازالت أمريكا ترى فى خريطة العالم العربى نوعا من الفراغ الاستراتيجى الواسع.. الذى لا يملؤه سوى القوة الأمريكية والأساطيل الأمريكية، لكن يبدو أن المشروع الأمريكى فى العالم العربى تعرض لانتكاسة كبرى حين سقط نظام الإخوان العميل فى مصر خلال ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

فقد تراجع المشروع الأمريكى للسيطرة على جميع دول وشعوب العالم العربى وتعرض لخطر الانهيار لأن الإمبراطورية الأمريكية خططت وأسست التنظيم الدولى لجماعة الإخوان ليتولى هذا التنظيم الإدارة والحكم فى مختلف الدول العربية خصوصاً بعد ثورات الربيع العربى المزعومة وهى المخطط الأمريكى القديم لتغيير أنظمة الحكم فى العالم العربى!

اليوم أصبحت مصر هى العقبة الوحيدة التى تهدد المشروع الاستعمارى الأمريكى فى العالم العربى ولا يوجد ما يفسر مظاهر الحقد على مصر فى واشنطن وبعض عواصم أوروبا بعد افتتاح قناة السويس الجديدة سوى أن أمريكا تدرك أن صعود مصر الاقتصادى يهدد المشروع الأمريكى فى العالم العربى بالفشل.. وقد تعرض مشروع قناة السويس الجديدة لانتقادات سامة فى الصحافة الأمريكية والبريطانية.. وهناك من قالوا إن القناة الجديدة تسبق كل مؤشرات انتعاش حركة التجارة العالمية بعشر سنوات على الأقل! وقد اشتعلت مداخن الحقد والحسد تجاه مصر بقسوة فى لندن وواشنطن بعد الافتتاح الناجح لقناة السويس الجديدة.

ورغم مقالات الحقد السام فى الصحافة الأمريكية والأوروبية فإن ذلك لم يمنع صحفا كبرى فى باريس وروما من التأكيد على أن مشروع قناة السويس الجديدة يفتح الأبواب واسعة أمام الانتعاش القادم لحركة التجارة العالمية وذكرت الصحفية الفرنسية إيلين سالون فى جريدة «لوموند» أن الرئيس عبدالفتاح السيسى يرسم صورة مصر الجديدة بالمشروعات القومية الكبرى ربما على طريق عبدالناصر وربما على طريق مصر الفرعونية.

مصر.. آمنة

وتوقفت صحف العالم أمام العديد من الاعتبارات والمؤشرات الأساسية فقد اتضح أن مصر آمنة بما يكفى للقيام بتخطيط وتنفيذ مشروعات كبرى للتنمية فى زمن قياسى واحتفلت مصر بافتتاح القناة الجديدة فى أجواء أسطورية شهدها زعماء العالم وكان التمثيل الأمريكى فى الاحتفال باهتا.. أو ربما غائبا!

ومرة أخرى نجح الرئيس السيسى فى إقناع العالم خصوصاً شركات ومؤسسات الاستثمار العالمية الكبرى بأن مصر دولة مستقرة.. تتمتع بالأمن والاستقرار رغم كل مخاطر وتهديدات الإرهاب والفوضى وقد اعترف المراقبون حول العالم بأن المشروع يعد بمثابة "رئة" اقتصادية جديدة لمصر وربما كان هو القوة المحركة للانتعاش الاقتصادى الذى تحلم به مصر منذ زمن.

وتؤكد الفرنسية إيلين سالون أن مشروع ازدواج قناة السويس بعد ١٤٦ عاما هو المشروع المنارة الذى يجسد لرؤية الرئيس السيسى لمصر الجديدة فى القرن العشرين.

الروح الوطنية

ويحسب للرئيس السيسى أنه نجح فى تعبئة المصريين حول مشروع قومى جديد للتنمية والتقدم لكن يبدو أن إحياء الروح الوطنية بين المصريين هى التى أصبحت مصدرا للازعاج فى واشنطن.. ببساطة لأن المشروع الأمريكى فى العالم العربى يعادى الدولة الوطنية ويرفض كل دعاوى الانتماء القومى بين مصر والعالم العربى.

ولم يخف الأمريكى ستفين كوك مشاعر الكراهية العميقة تجاه إحياء الروح الوطنية بين المصريين بعد افتتاح قناة السويس الجديدة وتساءل: لماذا كل هذا الفرح القومى بمشروع اقتصادى؟! وربما يفسر ذلك السر وراء الغياب الأمريكى الرسمى عن احتفالات القناة الجديدة ولولا طائرات إف ١٦ لكان الغياب الأمريكى عن الاحتفالات المصرية كاملا!

وفى النهاية نكتشف أنه يوجد فى واشنطن من يزعجه أن تنجح مصر.. فى أن تعطى مصر طابعا دوليا لمشروع قناة السويس الجديدة والحقيقة أن قناة السويس بموقعها الاستراتيجى اكتسبت قيمة دولية منذ افتتاحها الأول فى نوفمبر ١٨٦٩ واليوم تضاعفت الأهمية الدولية والبحرية للقناة بعدما حدث فيها من توسعات.. كانت تبدو شبه مستحيلة خصوصاً فى هذا التوقيت ربما فيه من مخاطر الفوضى والإرهاب.

بلا خجل

لكن يبدو أن الوجه القبيح للإرهاب قد انكشف تماما فى واشنطن عاصمة الفضائح الأولى فى العالم لكن الإمبراطورية الأمريكية مثل الإمبراطورية البريطانية من قبل.. لم تعد تشعر بالخجل حين يكتشف العالم أن الفوضى والإرهاب فى العالم العربى مخطط أمريكى ومؤامرة أمريكية كبرى تستهدف القضاء على الروح الوطنية وعلى كل مشاعر الانتماء القومى بين العرب والمسألة وربما الجريمة الأمريكية تبدو أفدح كثيرا من مجرد إسقاط الدولة الوطنية فى العراق وسوريا واليمن وليبيا.. الدول العربية التى قامت على نموذج الدولة الوطنية فى مصر.. الناصرية ومن وقت لآخر يظهر فى واشنطن من يحذر مصر.. من جرائم قادمة للإرهاب وأن تنظيم داعش الإرهابى يهدد بالامتداد بجرائمه الإرهابية من سيناء إلى داخل مصر وحتى القاهرة!

ويؤكد الأمريكى روشانا لورانس أن أشباح الإرهاب فى القاهرة لم تتعرض

للاختفاء بعد.. لكن خلايا وعصابات الإرهاب تعيد تنظيم صفوفها وتسعى لاختراق القاهرة بعمليات إرهابية نوعية.

ويدعى روشانا لورانس أنه ينتمى لشركة استشارية متخصصة فى المخاطر الأمنية.. مركزها فى الشرق الأوسط وشمال إفريقيا وبالطبع فإن أية شركة استشارية للمخاطر الأمنية.. ليست إلا واجهة لأجهزة المخابرات الأمريكية فى العالم العربى؟ ولماذا تتعرض مصر للتهديد والتحذير بعد افتتاح قناة السويس الجديدة؟! لكن الفضائح الأمريكية امتدت وانتشرت من واشنطن حتى العالم العربى وأخيرا فى الهند الحليف الحالم المنتظر لأمريكا.

فقد اهتزت العاصمة الهندية نيودلهى خلال الساعات الماضية بعنف بعد أن نشرت الصحف الهندية الكبرى الوثائق السرية الأمريكية الجديدة التى تؤكد باعترافات رسمية أمريكية أن تنظيم داعش الإرهابى.. المعروف باسم دولة الخلافة فى العراق وسوريا.. صناعة أمريكية وأنه ليس أول تنظيم إرهابى تؤسسه وتقيمه المخابرات الأمريكية فى العالم العربى حيث سبقه إلى الوجود تنظيم القاعدة بقيادة أسامة بن لادن وقد اضطرت مخابرات وزارة الدفاع الأمريكية للكشف عن وثيقة تأسيس تنظيم داعش فى العراق وسوريا بناء على حكم قضائى صادر من إحدى المحاكم الأمريكية!

وتكشف الوثيقة الأمريكية أن القوى الغربية فى الولايات المتحدة وأوروبا ومعها دول الخليج وتركيا يقدمون الدعم بالمال والسلاح والتدريب لفصائل وجماعات المعارضة السورية المسلحة وهناك إمكانية لإقامة إمارة إسلامية فى شرقى سوريا بالتحديد فى الحسكة ودير الزور وذكرت الوثيقة الأمريكية أن القوى المؤيدة للمعارضة المسلحة فى سوريا تريد عزل وإسقاط نظام بشار الأسد.

اعتراف.. صريح

واعترف مؤخرا الجنرال مايكل فيلين مدير وكالة المخابرات التابعة لوزارة الدفاع الأمريكية "٢٠١٢ - ٢٠١٤" بأن التنظيم الإرهابى الذى أصبح يدعى "دولة الخلافة الإسلامية" كان جزءا من سياسة أمريكا فى غرب آسيا بالعراق وسوريا.

وقال فيلين إن أمريكا وتركيا وقطر وكبار الأثرياء فى الخليج العربى قدموا المال والسلاح لهذا التنظيم الجديد وأضاف الجنرال فيلين أن التاريخ لن يكون رحيما بأمريكا.. حين يتحدث عن قصة الغزو الأمريكى للعراق وما حدث فيها من

جرائم حرب وكانت السجون الأمريكية فى العراق هى الأكاديمية الإرهابية التى أقامتها أجهزة المخابرات الأمريكية فقد كانت تقوم بتجنيد رواد هذه السجون للعمل فى صفوف مختلف التنظيمات الإرهابية وقد ظهر تنظيم داعش إلى الوجود فى أواخر ٢٠١٢ لكنه تحول إلى قوة سياسية وإرهابية بعد سقوط نظام الإخوان فى القاهرة فى منتصف ٢٠١٣ ويؤكد الجنرال مايكل فيلين أن أمريكا تعمدت إغماض عيونها عن هذا التنظيم الإرهابى الصاعد فى العراق وسوريا بقرار سياسى متعمد ورفيع المستوى فى واشنطن!!

وفى النهاية أصبحت تركيا هى السند والحاضن الرئيسى لتنظيم داعش الإرهابى بالتعاون مع أمريكا لكن دول حلف الأطلنطى قدمت أيضا المال والسلاح والتدريب بهدف إسقاط بشار الأسد وإجبار العراق على الموافقة على عودة القوات الأمريكية إلى بغداد ولو من الأبواب الخلفية!!

اللعبة التركية

ويبدو أن لعبة تركيا القذرة.. كشفت أطماعها القديمة فى سوريا فقد تعرضت سوريا لتهديدات بالغزو من جانب تركيا منذ منتصف الخمسينيات وحتى أواخر أيام الرئيس السورى السابق حافظ الأسد لكن النار التى يلعب بها الرئيس التركى رجب أردوغان بدأت تحرق أصابعه وربما احترقت تركيا كلها فيما تؤكد مصادر أمريكية وأوروبية أن تركيا أردوغان مهددة بالانهيار الداخلى والانزلاق إلى حرب أهلية ومن المثير للدهشة أن يتعرض التوازن الداخلى فى تركيا لخطر الانهيار فى وقت تعيش فيه أنقرة بلا حكومة بعد هزيمة حزب التنمية والعدالة بقيادة أردوغان فى الانتخابات البرلمانية الأخيرة.

ولأول مرة تشتعل المناطق الجنوبية الشرقية فى تركيا بأحداث العنف والهجمات بالقنابل والصواريخ وهى المناطق الناطقة بالكردية وتعانى تركيا حالياً من أعراض خطيرة للفراغ السياسى مع انعدام اليقين والثقة مما يهدد الاقتصاد التركى المتضخم مثل البالون الهائل الملىء بالهواء خصوصاً الانخفاض الحاد فى قيمة العملة الوطنية وبعد أن تراجعت الصادرات التركية يبدو أن تركيا تنطلق فى القطار السريع المؤدى إلى محطة الفوضى والانهيار!

السجلات السوداء

لكن واشنطن.. تتوقف فى هذه الأيام أمام سجلاتها السوداء مع تركيا فى تقديم الدعم بالمال والسلاح لتنظيم دولة الخلافة الإسلامية فى العراق وسوريا

وتكشف الملفات السرية الأمريكية أن أجهزة المخابرات الأمريكية والأوروبية تقوم بتجنيد وترحيل المتطوعين للقتال فى صفوف تنظيم دولة الخلافة الإرهابى من بين أبناء الجاليات العربية والإسلامية فى الولايات المتحدة ودول أوروبا.

وهناك منظمات سرية أمريكية وأوروبية تتولى ترحيل ونقل المتطوعين من أمريكا وأوروبا إلى تركيا وليبيا مباشرة حيث تتولى منظمات سرية أخرى تزويد المتطوعين بالمال والسلاح والتدريب قبل نقلهم إلى الحدود التركية مع سوريا حيث يقومون بالعبور السهل إلى داخل الأراضى السورية!!

وتكشف الملفات السرية الأمريكية أيضا.. أن دولة قطر تتعاون مع تركيا فى تزويد ميليشيات داعش بالمال والسلاح وتتولى المخابرات التركية الإشراف على عمليات نقل شحنات السلاح والصواريخ من داخل تركيا إلى داخل سوريا عبر الممرات الجبلية.

وانتعشت مؤخراً فى تركيا سياحة جديدة من نوع جديد حيث يتوافد أثرياء الخليج العربى على الفنادق الجبلية فى جنوب تركيا للإشراف بأنفسهم على عمليات تزويد تنظيم داعش بالمال والسلاح وحقاً قالت الصحافة الأمريكية إنها سياحة الإرهاب ولا يخفى الرئيس التركى أردوغان رغبته فى سرعة إسقاط الرئيس السورى بشار الأسد ولذلك يحرص على تقديم المال والسلاح لتنظيم داعش أو الدولة الإسلامية وتؤكد المصادر الأمريكية حالياً أن تركيا وافقت مؤخرا على الاشتراك فى الحملة الجوية الأمريكية ضد داعش بهدف ضرب الأكراد.

البترول من صادرات داعش

وتكشف المصادر الأمريكية أنه حين تمكن تنظيم داعش من السيطرة على حقول البترول فى سوريا قامت الحكومة التركية بشراء البترول من التنظيم حتى بلغت قيمة مبيعات داعش من البترول إلى تركيا أكثر من ٨٠٠ مليون دولار فى عام ٢٠١٤ وحده!!

وأعلن الرئيس الأمريكى باراك أوباما منذ أيام أن تركيا مازالت هى الشريك القوى للولايات المتحدة خاصة بعد أن وافقت فى فبراير ٢٠١٥ على إقامة معسكر داخل الأراضى التركية لتدريب ١٥ ألف متطوع على حمل السلاح والحرب داخل سوريا مقابل ألف دولار شهريا من المخابرات الأمريكية لكل متطوع وفى النهاية انضم الجميع بأوامر تركية إلى تنظيم داعش أو ما يسمى بدولة الخلافة.

السلاح من الجيش التركى

وقامت المخابرات التركية بتنظيم قوافل الشاحنات الكبرى التى كانت تحمل السلاح والذخائر أحيانا من مخازن الجيش التركى إلى معسكرات ميليشيات داعش داخل سوريا وقد اعترف سائقو الشاحنات الأتراك بتفاصيل القصة الكاملة وقالوا إننا كنا نقدم السلاح لجماعة إرهابية تسمى "أحرار الشام" وهى من الفصائل التابعة لجماعة الإخوان الإرهابية وتنظيم القاعدة وفى النهاية وجدنا الجميع يحاربون فى صفوف دولة الخلافة الإسلامية المعروفة باسم داعش!!

وهنا نقف كما يتوقف الأمريكيون أمام لغز تركيا الكبير وتؤكد مصادر عليا فى كواليس واشنطن أن تركيا تتطلع إلى استغلال صعودها الاقتصادى فى الهيمنة والسيطرة على أجزاء واسعة من سوريا خصوصاً فى شمال سوريا وأقصى الغرب فى لواء حلب الغنى بالبترول.

لم تعد أمريكا ترى فى العالم العربى شركاء أو حتى أصدقاء يمكن التعاون معهم لكنها ترى فى ثروات البترول والغاز العربية جوائز اقتصادية واستراتيجية لابد أن تبقى تحت سيطرة الشركات الأمريكية.

من الفائز

وأشارت صحيفة أمريكية متخصصة منذ أيام إلى حقيقة تغيب عنا فى زحام الأحداث والفوضى وهى أن الفائز الوحيد فيما يسمى الحرب الأمريكية على الإرهاب.. هو صناعة السلاح الأمريكية وهى الفائز أيضاً فى الصراع المشتعل الجديد بين السنة والشيعة فى العالم الإسلامى خصوصاً بعد الاتفاق النووى مع إيران وتستعد شركات السلاح الأمريكية الكبرى حالياً للفوز بالصفقة التاريخية الكبرى لإقامة درع صاروخية مضادة للصواريخ الباليستية الإيرانية فى السعودية ومختلف دول الخليج العربى.

لم يكن مثيرا للدهشة أن يقول الجنرال مارتن ديمبس رئيس الأركان الأمريكى إن الحرب على الإرهاب يمكن أن تمتد لجيل كامل.. فى حين قال جنرال أمريكى آخر إن الحرب ضد تنظيم داعش الذى أقامته واخترعته المخابرات الأمريكية. يمكن أن تستمر عشرين عاما.

أما أساتذة الحرب والاستراتيجية فى كلية الحرب العليا الأمريكية.. فيؤكدون بالإجماع أن الحرب الأمريكية ضد الإرهاب.. لن تنتهى أبدا.. ببساطة لأنها

تخدم أهداف وأغراض الاستراتيجية الأمريكية فى هدم وتدمير العالم العربى.. ولذلك حين نجد فى واشنطن من يحذر مصر من خطر إرهاب قادم.. لابد أن نكون على وعى وإدراك بأن الإرهاب صناعة أمريكية.. يخدم مصالح أمريكا فى العالم العربى ويبدو أن نجاح مصر فى إقامة وافتتاح قناة السويس الجديدة أشعل مداخن الحقد فى واشنطن بقسوة.. يسقط الإرهاب وصناع الإرهاب.. ودائما.. تحيا مصر.

مصر.. تواجه
حـروب الجيـل الرابـع

مصـر.. أمـة فى خطر.. ودولة مهددة بإرهاب لا يعترف بدين أو حـدود أو كما تقـول السـجلات والوثـائق الرسـمـيـة فى واشنطـن.. إنه الإرهاب العـابر للحـدود وهذا التـعـريف الأمـريكى لمعـارك الإرهاب الوحشـيـة.. التى تلتهم دول وشـعـوب العالم العربى بنيرانها الحارقة.. يكشف بوضوح أن من وضع التعريف.. هو الذى وضع الخطة الشيطانية.. وهو الذى قام بالمؤامرات الجهنمية وحدد الأهداف.. وهى ضرورة إنهاء عصر الدول الوطنيـة العربية فى القـاهرة.. وبغداد ودمشق.. وتوابعها فى اليمن وليبيا وحتى أسطورة مقاومة الاستعمار فى الجزائر.

ويبدو أنه بعد الهزيمة العسكرية التى تعرضت لها القوات الأمريكية فى المعارك الرهيبة التى جرت فى فيتنام.. وبعد هزيمة المشروع الأمريكى لغزو واحتلال العراق وأفغانستان.. لجأت الولايات المتحدة الأمريكية إلى تنفيذ مـشـروعـهـا الإمـبـراطورى الاسـتـعـمـارى فى العـالم العـربى بوسـائل أخـرى جـديدة.. هـى "الحـروب القـذرة" والعـمليـات السـرية الدمـوية.. التى تنشـر العنف والفـوضى فى كل مكان من باكسـتـان وأفـغـانسـتـان.. وحـتى العـراق وسـوريا ولبنان واليمن وليبيا..وحين تعترف إدارة الرئيس الأمـريكى باراك أوباما.. رسمياً.. بأنها على اتصال مع جميع الأطراف فى ليبيا.. لابد أن ندرك بسرعة أن المخابرات المركزية الأمريكية.. موجودة ومنتشرة فى جميع أنحاء الأراضى الليبية من الشرق إلى الغرب.. وحتى الجنوب.. ليس فقط بالعـمـلاء السـريين والجـواسـيس.. ولكن أيضـا بفـرق الاغـتـيـالات والقـتـل.. وبشـركـات تجنيد المرتزقة.. ومنها شـركة بلاك ووتر الشـهـيرة.. التى تقف وراء أبشع مذابح القتل والاغتيالات فى العراق.. وانفجارات القنابل.. منذ الغـزو الأمـريكى لبـغـداد الـرشـيـد.. وحـتى الحـرب الإرهـابية الوحـشـيـة على سوريا فى هذه الأيام.

وهكذا.. ظهر فى القاموس العسكرى الأمريكى اصطلاح "حروب الجيل الرابع"..

وهى الحروب السرية القذرة.. ضد أى نظام أو أية دولة وطنية ترفض مشروعات الهيمنة والسيطرة الأمريكية فى أى مكان من هذا العالم.

لم يعد مثيرا للدهشة إذن أن يدور النقاش والجدل علنا فى واشنطن.. ربما لأول مرة.. حول المكان الذى يمكن أن تحتله الإمبراطورية الأمريكية.. فى تاريخ الإمبراطوريات الكبرى فى العالم.. منذ عصر الرومان وحتى اليوم. لكن السجل القذر لحروب الولايات المتحدة السرية.. ضد شعوب ودول العالم الثالث منذ الحرب العالمية الثانية.. يؤكد أن الإمبراطورية الأمريكية تشبه إمبراطورية المغول.. قادرة على الغزو وإراقة الدماء.. وعاجزة عن الحكم.. وفرض السيطرة بالقوة المسلحة.

قد تكون الولايات المتحدة الأمريكية.. هى أكبر قوة اقتصادية وعسكرية فى التاريخ.. لكنها أسهمت فى صنع تاريخ الحضارة.. باختراع أقذر أنواع القنابل والأسلحة فى التاريخ.. ولم تتردد فى استخدام أقذر هذه الأسلحة فى قتل الملايين حول العالم.. فى سلسلة حروب واسعة.. منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى اليوم.. ولم يظهر فى واشنطن حتى اليوم من تساوره أدنى مشاعر الندم لاستخدام القنابل الذرية ضد اليابان فى ختام معارك ١٩٤٥.

ويحلو لخبراء الفكر الاستراتيجى فى أمريكا هذه الأيام أن يطلقوا على الولايات المتحدة اسم "إمبراطورية الشر" أو "إمبراطورية الأمن القومى" التى لم تتردد فى ارتكاب أسوأ جرائم الحرب فى التاريخ.. باسم حماية الأمن القومى الأمريكى.. وحماية المصالح الأمريكية الحقيقية أو الوهمية حول العالم.

مؤامرة كبرى

ويتحدثون فى واشنطن صراحة حالياً.. وبوضوح تام عن هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ باعتبارها.. كانت واحدة من المؤامرات الكبرى فى تاريخ مؤسسة الأمن القومى الأمريكى.. والمجمع الصناعى العسكرى وطبقة الصهيونية المتشددة التى تحكم أمريكا.

واعترف زغيبيو بريجنيسكى مستشار الأمن القومى للرئيس الأمريكى الأسبق كارتر.. بأن الولايات المتحدة كانت بحاجة لحادث مفجع أو هجوم مفاجئ يموت فيه آلاف الأمريكيين.. مثلما حدث فى عملية بيرل هاربر فى ١٩٤١ لتكون ذريعة.. تدفع أمريكا للغزو والحرب.. فى أى مكان من العالم.. خصوصاً فى الشرق الأوسط.. حيث يوجد أكبر مخزون للطاقة والبترول فوق كوكب الأرض.

ويؤكد السجل الأسود لشياطين الأمن القومى فى كواليس واشنطن السرية فى ارتكاب أى جريمة.. أو خوض أى حرب.. ضد أى دولة وأى شعب.. مادام ذلك يخدم أغراض وأهداف بناة الإمبراطورية الجدد فى الولايات المتحدة.

شياطين الأمن القومى

لم يتردد شياطين الأمن القومى فى واشنطن فى تدبير أقذر مؤامرات الاغتيال فى تاريخ البشرية.. حتى ضد الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى.. فوق الأراضى الأمريكية فى قلب مدينة دالاس.. وهو يستعد لحملة انتخابية جديدة لفترة رئاسة ثانية فى ١٩٦٣ وكانت جريمة كيندى.. غير المعلنة.. هى صراعه الرهيب مع أباطرة الأمن القومى فى البيت الأبيض والبنتاجون وفى المخابرات المركزية الأمريكية.. فقد وقف كيندى بوضوح ضد مشروع احتواء الاتحاد السوفييتى السابق ورفض التورط فى الحرب الباردة ووافق على عقد صفقة سرية مع الزعيم السوفييتى نيكيتا خورشوف بسحب الصواريخ الروسية من كوبا.. مقابل سحب الصواريخ الأمريكية من تركيا.

ويقول المفكر الأمريكى جيمس بيتراس.. إن الذين اغتالوا كيندى جهارا نهارا.. لن يترددوا فى ارتكاب أى جريمة أو خوض أى حرب سرية أو معلنة.. مادام ذلك يخدم مصالح الطبقة الصهيونية العليا الحاكمة فى واشنطن.. ومعها شياطين مؤسسة الأمن القومى الأمريكية بفروعها الرئيسية.. فى المخابرات المركزية وفى البنتاجون وفى المجمع الصناعى العسكرى.. ومنذ صدرت مذكرات السيدة هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة فى واشنطن ومعها مذكرات وزير الدفاع الأمريكى الأسبق روبرت جيت.. بعنوان "الواجب" اتضح أن الولايات المتحدة لم تعد تعترف بحدود القوة.. أى لم يعد شياطين الأمن القومى الأمريكى يعترفون بأن للقوة حدوداً.. يجب ألا تتخطاها الإمبراطورية الأمريكية.

شريحة اللحم

لم يعد الرئيس الأمريكى باراك أوباما.. يعبأ بأى مخاوف أو مخاطر.. وبعد أن نجحت مؤسسات حقوق الإنسان الأمريكية فى كييف فى اختراع الثورة البرتقالية فى أوكرانيا.. اكتشف الأمريكيون أن الفروع الناعمة للمخابرات المركزية الأمريكية فى مؤسسة فريدم هاوس وكرانجى.. يمكن أن تصنع المعجزات والمستحيلات فى قلب أنظمة الحكم وإسقاط الدول.. بما يفوق كل

عمليات الغزو المسلح.. ومؤامرات الانقلابات والاغتيالات التى يمكن أن تخطط لها المخابرات المركزية الأمريكية.

ويحذر خبراء أمريكيون بشدة من مخاطر تصاعد اللعبة الأمريكية فى أوكرانيا.. لأنها تنطوى على أفدح خطر يمكن أن يهدد السلام العالمى بالمقاييس السياسية والجغرافية.. ويقولون إن الرئيس الأمريكى أوباما يتحمل منفرداً المسئولية الكاملة عن تصعيد هذه الأزمة الخطيرة.. فى أوكرانيا.. على حدود قوة نووية كبرى.. هى روسيا الاتحادية ويؤكد خبراء أمريكيون فى واشنطن أن التحالف الأمريكى الأوروبى قد لجأ للعبة قذرة جديدة فى أوكرانيا.. لأن هذه الدولة على حدود روسيا تبدو مثل شريحة لحم ضخمة.. يصعب على الرئيس الأمريكى أوباما مضغها.. حتى لو تواطأت معه أوروبا كلها. فقد أمسك الأمريكيون والأوروبيون بالنمر من ذيله.. ويبدو أن الزعيم الروسى فلاديمير بوتين يرفض التراجع فى مواجهة الأطماع الأمريكية والأوروبية على حدود بلاده.

ولذلك حذر بوتين من أن أى قوة تتصور أنها قادرة على تحقيق التفوق العسكرى على روسيا.. بأنها واهمة.. والرسالة واضحة فى واشنطن.

وتكشف وثائق واشنطن السرية أن مخططات تغيير "أنظمة الحكم" الوطنية المناوئة للهيمنة الأمريكية.. اختراع أمريكى قديم منذ خمسينيات القرن الماضى.. فقد خططت المخابرات المركزية الأمريكية للإطاحة بزعماء التحرر الوطنى فى العالم العربى وإفريقيا وآسيا.. بالانقلابات والاغتيالات وبالحروب السرية الإرهابية.. التى نكتوى بنيرانها هذه الأيام فى العالم العربى.. وبكل أسف وحزن.. هناك شركاء عرب فى المخطط الأمريكى الشيطانى.

وتكشف وثائق واشنطن السرية أن المخابرات المركزية الأمريكية خططت لاغتيال العديد من قادة وزعماء العالم.. الأصدقاء والحلفاء.. والأعداء.

وكان الرئيس جمال عبدالناصر.. فى قمة القائمة السوداء للاغتيالات الأمريكية.. وتعرض شؤين لاى رئيس وزراء الصين.. لمحاولات اغتيال عديدة.. دبرتها المخابرات الأمريكية.. لكن المذهل أن يكتشف الفرنسيون مؤخرا أن المخابرات المركزية الأمريكية فشلت فى اغتيال الرئيس الفرنسى الراحل شارل ديجول فى الستينيات.. بسبب قبوله الحوار مع موسكو.

وفاة غامضة

ويتردد فى واشنطن حالياً بقوة أن الرئيس الفنزويلى الراحل هوجو شافيز.. كان آخر ضحايا مؤامرات الاغتيال الأمريكية.. بعد صدام حسين ومعمر القذافى.

وتؤكد مصادر المخابرات الأمريكية أن شافيز تعرض للقتل بنوع من السموم النادرة.. أو بمادة خفية تسبب السرطان.. وقد فشل الأطباء فى إنقاذ حياة شافيز.. رغم أنه أجرى ١٨ عملية جراحية وقد صدر كتاب جديد فى واشنطن منذ أيام بعنوان "الحروب القذرة" أو "العالم ساحة قتال" للصحفى الأمريكى جيرمى سكاهيل.. الذى يؤكد أن مؤامرات الاغتيال والانقلابات واصطناع الثورات حول العالم.. أصبحت جزءا أساسيا مما يسمى بسياسة الأمن القومى للولايات المتحدة.. وأطلق الأمريكيون بسرعة على هذه المخططات الشيطانية الجديدة.. اسم "حروب الجيل الرابع" التى يتلقى الضباط الأمريكيون التدريب عليها فى أرقى الأكاديميات العسكرية الأمريكية.. وداخل القواعد السرية للمخابرات المركزية الأمريكية فى واشنطن.. وحول العالم.

كارثة أمريكية

ويقول جيرمى سكاهيل.. إن هجمات ١١ سبتمبر أدت إلى حدوث تغيير عميق فى الفكر الاستراتيجى الأمريكى.. أو هى كانت نقطة الانطلاق.. لتورط أمريكا فى غزو أفغانستان والعراق.. وحين اكتشف الأمريكيون أن كارثة كبرى حاقت ببلادهم بسبب هذه الحروب البعيدة.. خاصة أن الشعب الأمريكى تصور انه يخوض حربا عالمية.. وهناك من تصور خطأ فى واشنطن أن الرئيس الأمريكى الملون باراك أوباما.. جاء إلى البيت الأبيض.. ليطهر واشنطن من هذا المستنقع القذر للحرب فى العراق وأفغانستان.

وحين أصدر أوباما قراره بالانسحاب من العراق.. اتهمه المحافظون بالضعف فى مواجهة الإرهاب.. ودافع عنه الليبراليون وقالوا إن أوباما.. استبدل الحرب والغزو.. بالحرب الذكية.

واعترف باراك أوباما لمن حوله فى مجلس الأمن القومى الأمريكى بأنه يستبدل شاكوش القوة العسكرية.. بالمشرط القذر للمخابرات المركزية الأمريكية.

جاسوس فى لاهور

وهكذا توسعت أجهزة المخابرات الأمريكية والبنتاجون فى حروب الجيل الرابع

حول العالم.. خصوصاً فى الشرق الأوسط من أفغانستان وباكستان.. حتى العراق وسوريا واليمن وليبيا.. ومصر وبالتحديد فى سيناء.. ومن يتأمل دقة التخطيط القذر للعمليات الإرهابية ضد قواتنا المسلحة فى سيناء.. لابد أن يدرك أن هناك يدا خفية قذرة.. تقدم المال والسلاح والتدريب.. لعناصر ما يسمى بتنظيم بيت المقدس الإرهابى.. الفرع المسلح لجماعة الإخوان الماسونية.

وفى كتابه "بطريق السكين" يكشف الأمريكى الدور القذر للمخابرات المركزية الأمريكية والجيش السرى التابع لها فى نشر الإرهاب والفوضى والعنف فى الشرق الأوسط.. وحول العالم.. حتى نهاية الأرض. فقد سقط فى مدينة لاهور الباكستانية منذ شهور مضت جاسوس أمريكى يدعى رايموند ديفز.. فى يد الشرطة الباكستانية.. بعد قيامه باغتيال شخصين فى شوارع المدينة وهو يقود سيارته المسرعة.. حيث أطلق عليهما النار من مسدسه وسقط فى يد الشرطة وهو يحاول الهرب. بعد هذا الحادث.. اكتشفت باكستان.. حليف أمريكا الاستراتيجى.. أن المخابرات المركزية الأمريكية قد أرسلت جيشا هائلا من جيوشها السرية إلى باكستان.. لتنفيذ عمليات القتل والاغتيالات.. ونشر الفوضى والعنف والإرهاب فى كل مكان!

جيش سرى أمريكى

اكتشفت حكومة باكستان أنها أصبحت هدفا من الأهداف الرئيسية للحروب السرية الأمريكية القذرة. فقد قامت المخابرات المركزية بتشكيل جيش سرى هائل تابع لها.. تحت اسم قوات العمليات الخاصة.. لها قيادة مستقلة.. تخطط لعمليات القتل والاغتيال.. ضد اى هدف.. وأى إنسان فى أى مدينة أو عاصمة حول العالم.

وتعترف الملفات الأمريكية بأن مشاهد القتل والاغتيالات التى عاشتها شوارع مصر خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وسقوط الجاسوس الإسرائيلى إيلان جبرائيل.. لم تكن بعيدة عن أيدى فرق القتل الأمريكية القذرة. وقد سقط الجاسوس الأمريكى ديفز فى لاهور.. واتضح أنه تابع للقنصلية الأمريكية بالمدينة.. ولم يتردد أوباما فى المطالبة بالإفراج عن الدبلوماسى الأمريكى.. رغم أنه جاسوس تابع مباشرة للمخابرات المركزية.

ويقول مارك مازيتى إن هذا الحادث كشف من جديد الوجه القذر لحروب أمريكا السرية فى الشرق الأوسط والعالم العربى.. فقد تحولت المخابرات المركزية الأمريكية على مدى عشر سنوات مضت من جهاز للجاسوسية والمعلومات إلى آلة شيطانية تمارس القتل والاغتيالات وتدبر الانقلابات

والثورات.. ضد الأنظمة المعادية لأمريكا.. وحتى الدول الصديقة والعميلة، لم تعد المخابرات المركزية تعبأ كثيراً بسرقة وثائق وأسرار الدول والحكومات حول العالم.. وتفرغت آلة القتل والاغتيال الأمريكية الجديدة.. لمطاردة البشر.. حكومات وجماعات وأفراداً حول العالم، وتحول عملاء وجواسيس المخابرات الأمريكية إلى جنود.. وفرق ومجموعات سرية ليس لها من مهام سوى ممارسة القتل والاغتيال ونشر الفوضى والإرهاب.. وتقديم الدعم للجماعات والميليشيات المتطرفة فى العراق وسوريا وليبيا ومصر.. وتقليب هذه الجماعات على بعضها البعض بعد ذلك.. بهدف نشر العنف والفوضى والحروب القذرة على أوسع نطاق.. كما حدث فى سوريا مؤخراً.

فقد تحالفت أمريكا مع القاعدة ضد القذافى وضد بشار الأسد.. وضد الحكومة المركزية فى العراق.. واصطنعت تنظيم داعش الإرهابى.. وفى النهاية تزعم أمريكا أنها فى حرب ضد داعش.

فرق الموت

ويقول مارك زيتى: إن المخابرات المركزية تبعث حالياً بفرق القوات الخاصة الأمريكية إلى ما تسمى بالمناطق المظلمة فى السياسة الخارجية الأمريكية.. خصوصا فى سوريا والعراق وليبيا واليمن.. وحتى مصر. وهى مجموعات من قوات الكوماندوز الأمريكية التى تقوم بعمليات سرية قذرة.. فى أى مكان من العالم.. والمشهد الدموى القائم فى سوريا والعراق وليبيا.. وحتى أوكرانيا.. يؤكد حقيقة استراتيجية الحروب القذرة التى تخوضها المخابرات الأمريكية حول العالم.. وليس فقط فى العالم العربى قبل هجمات ١١ سبتمبر٢٠٠١ لم يكن البنتاجون "وزراة الدفاع الأمريكية" يقوم بعمليات تجسس.. ولم تكن المخابرات المركزية مخولة بالقتل وارتكاب جرائم الاغتيالات.. لكن اشترك البنتاجون مع المخابرات المركزية فى صياغة استراتيجية الحروب القذرة الأمريكية الجديدة.. وهى استراتيجية معقدة للغاية.. أطلق عليها جنرالات البنتاجون اسم حروب الجيل الرابع.. وقالوا عنها فى المخابرات المركزية.. إنها حروب الظل.

قنوات اتصال

وتحتفظ المخابرات الأمريكية بقنوات اتصال واسعة النطاق مع جميع الأطراف.. ليس فقط جماعة الإخوان الإرهابية.. أو حتى تنظيم القاعدة أو تنظيم داعش.. ويقولون بصراحة فى واشنطن إن المخابرات المركزية تمسك بين أيديها بكل خيوط اللعبة القذرة للإرهاب والتطرف.. فى العالم العربى.

النظام الإقليمى العربى بلا مستقبل فى المنظور الأمريكى!

العرب بحاجة إلى معجزة سياسية وعسكرية، يستعيدون بها العراق، الذى كان، وسوريا التى تضيع من بين أيدينا، وأيدى شعبها!!

العرب، ينتظرون معجزة، تعيد بناء النظام الإقليمى العربى، بما يعطى الأولوية، لمصالح العرب القومية، وليس لمصالح الهيمنة الأمريكية والأوروبية.

هذا هو السؤال الصعب، الذى يغيب عن أفكارنا وعقولنا، فى زحام الأهوال اليومية، للصراع العالمى الدائر على سوريا، حتى رغم الحديث الذى يتردد فى واشنطن وموسكو عن وقف لإطلاق النار فى سوريا، وينسى البعض منا أن مجرد الحديث عن وقف لإطلاق النار فى سوريا، يعنى الإقرار بتقسيم دولة عربية، كانت موحدة ذات سيادة حتى مارس ٢٠١١

اليوم، أصبحت سوريا، هى الأرض المستباحة، لأطماع ومصالح إسرائيل فى الجنوب، حتى دمشق، وتركيا فى الشمال، حتى حلب، والولايات المتحدة تقف بقواتها الخاصة وطائراتها فى شمال شرق سوريا، والمخطط الذى تتحدث عنه الصحافة الأمريكية يشير إلى رغبة أمريكية وخليجية، تستهدف تقسيم سوريا إلى ثلاث دويلات على الأقل، دويلة للأكراد فى الشمال، تعترض على قيامها تركيا، ودويلة للسنة فى الشرق، ودويلة للأسد فى الغرب من حلب إلى حمص وحماة ودمشق.

هذه الخريطة المأساوية لسوريا، تؤكد انتصار شياطين الإرهاب والفوضى وعملاء المخابرات المركزية الأمريكية، على كل دعاة المنطق، وأنصار الحفاظ على مصالح ومعادلات الأمن القومى العربى.

ومن المؤكد أن التغييب الاستعمارى الإرهابى المتعمد للعراق وسوريا من الخريطة السياسية للعالم العربى، يعرض الأمن القومى العربى لما يشبه الزلزال السياسى الرهيب، الذى يطيح بالمبادئ والمعادلات المتعارف عليها للمصالح

العربية فى القرن الجديد، ولن يصب فى المصالح القومية للعرب فى الخليج، وإن كان ذلك يخدم إسرائيل، وتركيا، وحتى إيران، التى يدخل معها بعض العرب فى نوع من العداء والصراع السيريالى أحياناً.

ويتردد فى واشنطن وتل أبيب حالياً أن قطر وبعض أثرياء الخليج، يفضلون التحالف حتى مع إسرائيل، وراء الأبواب المغلقة، وعلى فتح أبواب التفاهم والحوار مع دولة إقليمية قديمة مثل إيران.

ويبدو أحياناً أن دولة قطر، أصبحت هى النموذج العربى المثالى للدولة العربية كما تريدها أمريكا فى القرن الجديد، صغيرة بما يكفى، وغنية بما يكفى، ودائماً فى الجيب الأيمن لصانع القرار الأمريكى فى البيت الأبيض، وهذا يعنى أن المخطط الأمريكى لإعادة رسم خريطة العالم العربى، يستهدف الاستمرار فى مشروع تقسيم وتفتيت وتقزيم الدول العربية، إلى دويلات وإمارات صغيرة، بما فى ذلك دول الخليج العربى، وحتى المملكة السعودية، درة العرب فى العصر الحديث.

كف المستقبل

وحتى الآن، لا أحد يدرى، كيف يمكننا أن نبحث للعرب عن مستقبل فى القرن الجديد، ولو عن طريق قراءة كف المستقبل؟! فلم يعد فى الحياة العربية منطق، ونحن نرى جزءاً كبيراً من ثروات العرب التاريخية، تقوم قطر، وشخصيات خليجية كبرى بإنفاقها على تمويل جماعات وعصابات الإرهاب، فى سوريا وليبيا والعراق، ومع تراجع أسعار البترول فى أسواق العالم، يبدو أن العرب، يقفزون، بإرادتهم الحرة إلى أعماق المجهول. ولكن بعض المراقبين العتاة فى تل أبيب، يتحدثون عن المجهول الذى يراه بعض العرب، ليس إلا "المعلوم الأمريكى"، والانحياز الكامل للسياسات الأمريكية، يبعث على الأمن والطمأنينة فى المشرق العربى، حتى وإن ضاع العراق تماماً، واختفت سوريا إلى الأبد، وتعرض الشعب السورى إلى شتات تاريخى أسوأ من الشتات الفلسطينى فى ١٩٤٨.

وهناك، من يشعرون حالياً بالطمأنينة الكاملة فى إسرائيل، وتتحدث صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية، عن إسرائيل، التى أصبحت واجهة للأمن والاستقرار والرفاهية والتقدم التكنولوجى، وسط جحيم الضياع العربى، من الإرهاب، إلى الفوضى، وسقوط الدول والأنظمة السياسية، تحت الوطأة الثقيلة للحروب السرية الأمريكية ضد الدول العربية.

وارتفعت أصوات ساخرة فى تل أبيب، تقول إنه إذا كان للعرب، أن يبحثوا، لأنفسهم عن مستقبل، وسط طوفان الضياع والفوضى وحروب الإرهاب وحروب الجيل الرابع الأمريكى، فلابد أن يقوموا، بقراءة كف العاصمة الأمريكية واشنطن، فى هذه الأيام على وجه الخصوص، فقد اشتد سباق انتخابات الرئاسة الأمريكية، وازداد سخونة، ومن الطبيعى أن يبحث العرب، عن وجود لمصالحهم أو مستقبلهم بين برامج مرشحى الرئاسة الأمريكية فى الحزبين الجمهورى والديمقراطى لعام ٢٠١٦.

قراءة أولية

وتؤكد القراءة الأولية لبرامج المرشحين فى انتخابات الرئاسة الأمريكية لعام ٢٠١٦ أنه لا وجود للعالم العربى، فى قوائم الأولويات الأمريكية، إلا باعتبار منطقة الشرق الأوسط، منطقة مشتعلة بنيران الإرهاب والفوضى والتخلف، والعودة لعصر الحروب الدينية والعرقية، بما يوحى بعودة الشعوب العربية لعصور القبلية والتخلف التى سبقت الإسلام، فى الحالة العربية يوجد ما يؤكد الغياب الكامل للعقل العربى.

ويقول الأمريكى إيلان جولدنبرج، إنه إذا لم يتحقق وقف إطلاق النار فى سوريا، فلابد أن تدخل الولايات المتحدة فى مغامرة محسوبة مع روسيا، حتى ولو بالمواجهة المباشرة فى ساحة الصراع على سوريا. والهدف النهائى لذلك، هو ممارسة الضغط على روسيا من أجل القبول بقيام دولة فيدرالية جديدة فى سوريا، خاضعة لحكومة مركزية ضعيفة، بما يعكس الحقائق العسكرية والعرقية الجديدة القائمة على الأرض فى سوريا، بعد خمس سنوات من حروب الإرهاب والفوضى التى قادتها جماعة الشيطان الشهيرة باسم الإخوان، بدعم أمريكى خليجى وتركى وإسرائيلى واسع ودائم حتى هذه اللحظة.

صحيح أن أمريكا، كانت تتصور أنها سوف تنفرد بتقرير مستقبل سوريا بدعم وتسليح عصابات الإرهاب، لكنها لن تستطيع على الأقل حرمان الأسد من استعادة السيطرة الكاملة على سوريا، ومنع عودة الدولة الوطنية الموحدة فى سوريا، بكل ما كانت تشكله من خطر داهم ومباشر على أمن إسرائيل.

ويؤكد الأمريكى إيلان جولدنبرج، أن العراق قد غاب بالغزو الأمريكى عن الخريطة الإقليمية للعالم العربى، وغياب العراق إن لم يكن دائماً، فإنه سيكون على الأقل طويلاً جداً، وإعادة اختراع العراق القديم، بحاجة لمعجزة سياسية وعسكرية، لا تقل عن معجزة إعادة اختراع سوريا.

اختراع الصراعات

ورغم أن إسرائيل، لا يمكنها البقاء فى الشرق الأوسط، دون اختراع صراع عسكرى كبير، وأزمة إقليمية كبرى، إلا أن غياب العراق وسوريا عن معادلة الصراع مع إسرائيل، يشكل عامل ارتياح كبيرًا، لصانع القرار الإسرائيلى، ولقيادة جيش الدفاع الإسرائيلى.

واعترفت جيروزاليم بوست الإسرائيلية بأن إسرائيل كان بإمكانها إسقاط دولتى العراق وسوريا، ولكن على مدى حروب ومعارك عسكرية طويلة ومريرة، تدوم سنوات طويلة، لكن القوة العسكرية الأمريكية تمكنت من القضاء على العراق وتدمير دولته بالغزو المسلح فى مارس ٢٠٠٣، وبعد عشر سنوات كاملة وبالتحديد فى مارس ٢٠١١ بدأت العمليات السرية الأمريكية ضد سوريا، حتى بلغت قمة القوة والتأثير فى ٢٠١٣ وحتى ٢٠١٦ وفى النهاية قد تضمن روسيا نوعاً من البقاء لدولة الأسد، ولكن سوريا القديمة خرجت من التاريخ، وضاعت من الجغرافيا.

ويقال فى تل أبيب إن بنيامين نتنياهو رئيس الوزراء الإسرائيلى نجح فى اختراع الصراع الإسرائيلى مع إيران، ليغطى بذلك على الملف الأصلى للصراع، وهو القضية الفلسطينية، التى دخلت ثلاجة التاريخ، وربما سلة مهملات الأمن، بالمقاييس الصهيونية.

ويقف العالم العربى فى حالة انكسار تاريخى، وانقسام جغرافى، بالقوة المسلحة لعصابات الإرهاب والفوضى وشياطين جماعة الإخوان وكانت الضربة الجديدة للنظم العربية، هى اعتذار المملكة المغربية عن استضافة القمة العربية القادمة، الشهر القادم، خوفاً من احتمالات الفشل، أو العجز عن الوصول إلى قرار عربى موحد فى القمة، فقد اختلف العرب فى القرن الجديد، حتى حول أبجديات الأمن القومى، لم يعد الصراع مع إسرائيل هو قضية العرب الأولى، بعد أن أصبح بشار الأسد، هو العدو الأول لدول المشرق العربى، وأصبحت إيران موضع حقد العرب، من الآن وحتى عودتها إلى الأحضان الأمريكية الدافئة، وعند هذه اللحظة فقط سوف يختفى خطر إيران على العرب!!

وفى واشنطن، مثل تل أبيب ولندن، هناك من يريدون للجامعة العربية أن تختفى من الوجود السياسى القومى العربى، ما لم تصبح الذراع الإقليمية لحلف الناتو فى العالم العربى!! ولذلك وجب الاعتذار عن انعقاد القمة.

مصر قوية وثابتة

وسط هذا الضياع العربى، تقف مصر فى إباء وشموخ، تستعصى على رياح الفوضى والإرهاب، بكل مؤامراته وحروبه السرية القذرة، لتبقى مصر، هى بيت العرب الدائم، ومقر جامعتهم، فى كل زمن، مهما كانت المخاطر والتحديات، ومن هنا جاء حرص مصر، على ضرورة انعقاد القمة العربية فى موعدها فى شرم الشيخ، ويبقى السؤال مفتوحاً، ما جدول أعمال القمة الذى يمكن أن يتفق عليه القرار السياسى العربى الموحد؟! حقاً، إنه الزمن الصعب، زمن الانقسام، والفوضى والإرهاب، وهذا هو النتاج الطبيعى لزمن الإرهاب والحروب السرية القذرة!!

كف واشنطن

وهذا يقودنا إلى الدعاوى التى تتردد فى تل أبيب، ويقولون فيها إن العرب، أصبحوا، مثل إسرائيل، يفتشون عن مستقبلهم، بقراءة كف العاصمة الأمريكية واشنطن، ومع ذلك ظهر فى صحف إسرائيل من يؤكدون أن رئيس الوزراء الإسرائيلى نتنياهو، ينجح دائماً فى وضع الأولويات الإسرائيلية فى قمة أولويات أى صانع للقرار السياسى الأمريكى فى البيت الأبيض، بصرف النظر عن الحزب الذى ينتمى إليه، سواء الديمقراطى أو الجمهورى.

فى حين أن القرار السياسى فى المشرق العربى، أمريكى أولاً، وثانياً، وكل ما هو أمريكى فى القرار السياسى، يصبح عربياً أصيلاً، فى حين أن إسرائيل تعرف وتجعل كل ما هو قرار سياسى فى واشنطن، صهيونياً أصيلاً!!

لكن واشنطن، تعيش فى هذه الأيام، الشهور الأخيرة للرئيس باراك أوباما فى البيت الأبيض. وبدأت ضوضاء انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة، تغطى كل ما عداها من قضايا وموضوعات.

وقد استيقظ الأمريكيون صباح أمس على أنباء الفوز الكاسح الذى حققه ملياردير العقارات الأمريكى، دونالد ترامب فى ولاية نيفادا الأمريكية، على كل منافسيه، فى سباق الفوز بالترشح باسم الحزب الجمهورى فى انتخابات الرئاسة.

ويبدو من الحسابات الأولية أن دونالد ترامب "الملياردير الجلف" قد ضمن الفوز بترشيح الحزب الجمهورى له، بعد أن حصل على ٤٢٪ من الأصوات فى ولاية نيفادا، مقابل ٢٣٪ و٢٢٪ لمنافسيه فى السابق، تيدكروز وماركو روبيو، حسب الترتيب.

ويبدو أنه يوجد انقسام حاد، حتى فى أوساط الحزب الجمهورى الأمريكى المحافظ، وتوجد أصوات قوية فى أروقة الحزب الأمريكى العريق وقياداته، تحتفل بفوز ترامب المفاجئ، من ولاية إلى ولاية، وتشعر قيادت أخرى فى الحزب الجمهورى، أنه لا يمكن وقف تقدم دونالد ترامب، فى سباق الفوز بترشح الحزب الجمهورى فى انتخابات الرئاسة.

لا يوجد من يوقف ترامب

وتتحدث الصحافة الأمريكية فى هذه الأيام شبه الحاسمة فى انتخابات الرئاسة لعام ٢٠١٦ باعتبارها قضية حسابات رياضية خالصة، حسابات أصوات، وتؤكد الإحصاءات الجديدة لعملية التصويت فى نيفادا، فى يوم "الثلاثاء السوبر"، كما يطلقون عليه أن دونالد ترامب، يمكنه الفوز بأكثر من ١٢٣٧ من أصوات المندوبين، وهو العدد اللازم لتحقيق هدفه النهائى والفوز بترشيح الحزب الجمهورى فى انتخابات الرئاسة الأمريكية.

وفى باريس، تساءلت صحيفة الـ «لوموند» الفرنسية فى دهشة واستغراب وقالت يبدو أن قيادات الحزب الجمهورى عاجزة عن وقف تقدم دونالد ترامب، الملياردير الذى يتولى الإنفاق على حملته الانتخابية، من أمواله الخاصة، وليس من أموال أنصار الحزب من كبار رجال المال والأعمال فى المجتمع الأمريكى، خصوصاً أثرياء نيويورك ولاس فيجاس ولوس أنجلوس.

ويقولون فى واشنطن إن الحزب الجمهورى يعيش حالياً الكابوس الحى، لفوز دونالد ترامب بترشح الحزب فى سباق انتخابى مفتوح وعجيب.

لا أحد فى واشنطن لديه الإجابة عن السؤال الصعب، كيف ينجح هذا الحيوان السياسى الجديد؟! وهل يمكن حقاً أن يكون هذا السياسى الفظ أو الجلف، هو الرئيس الأمريكى القادم، الذى يمكنه الجلوس على مكتب الرئيس، الذى سبق لهارى ترومان وأيزنهاور وكيندى وريتشارد نيكسون الجلوس عليه؟!!

الحقيقة التليفزيونية

وقد أطلقوا عليه مؤخراً فى واشنطن اسم دونالد ترامب، "رجل الحقيقة التليفزيونية"، ملياردير العقارات الفخمة، صاحب برج ترامب، الذى أصبح من أعلى ناطحات السحاب فى المدن الأمريكية، رجل الكازينوهات الراقية ونوادى الجولف، ويتساءلون: أين هذا الرجل من قضايا الحرب والسلام والأمن القومى الأمريكى، ومشكلات الاقتصاد الأمريكى؟.

ويقـول المراقبـون، إن تقـدم دونالد ترامـب المفاجئ، يثـير القلق البـالغ، حـتى فى كـواليس الحـزب الجـمـهـورى الأمـريكى، رغم أن الطـريق يبـدو طـويلاً، من الآن وحـتـى منتـصف مـارس القـادم، حـين يتم حـسم التـرشـح لانتـخـابات الرئـاسـة الأمريكية باسم الحزبين، الجمهورى والديمقراطى.

لكن بكل الحـسـابات الرياضـيـة التى يتـحـدثون عنهـا فى الواشنطـن بوست، يبـدو دونالد ترامـب، الوحـيـد المؤهل للفـوز بتـرشـح الحـزب الجـمـهـورى فـى انتـخـابات الرئـاسـة الأمـريكيـة.

ومن يتـأمل البـرنامـج الانتـخـابى لدونالد ترامـب، سـوف يكتـشـف أن المليـارديـر العظيم، لا يوجـد عـقـل سـيـاسـى حقـيـقـى يقـف وراءه، فهـو يتـحـدث عـن ضـرورة العـودة بأمريكا إلى مجدها العظيم، وهذا ما يشكل إغراء سياسياً هـائلاً، لأبناء الطبـقـة العليـا السـيـاسـيـة والماليـة، ومن البـدايـة، يقف دونالد ترامـب ضـد الهـجـرة غـير الشـرعـيـة لأمـريكا، خـصـوصـاً القـادمـة مـن المكسـيك، ويطـالب بإقـامـة أسـوار عالية طويلة على طول الحدود الجنوبية للولايات المتحدة مع المكسيك، لكنه يقف أيضـاً ضـد الدول الصـاعـدة الجـديدة فى العـالم، خـصـوصـاً الصـين والهـنـد والبـرازيل، ولذلك يطالب بإغـلاق الحـدود الأمـريكيـة فـى وجـه صـادرات الصـين، بغرض الحماية الجمركية.

كراهية العرب

وفـى ملف الإرهـاب، يطـالب دونـالد ترامـب، ليس فـقـط بتـعـذيب المشـتـبـه فـيـهـم فـى قضـايا الإرهـاب، بل يطـالب بقـيـام قـاذفـات القـنـابل الأمـريكيـة الرهيبـة من طـراز بى-٥٢ بقصف المدن التى يسيطر عليها تنظيم داعش الإرهـابى، بصـورة مسـاحيـة لا تتـرك متـراً واحـداً دون قـصف بالقـنابل والصـواريخ. لكن دونـالد ترامـب أصـاب العـالم كله بصدمة كبرى، حين طالب بمنع المسلمين من دخول الولايات المتحدة، باعتبار أن كل المسلمين أعضاء فى جماعات الإرهاب، وكل مسلم، يشكل خطراً على الأمن الأمريكى، باعتباره إرهابياً محتملاً!!

كانت عاملة نظافة

ويغـذى دونـالد ترامـب برنامـجـه السـيـاسـى الرهيب، بالدعـوة لـزيادة النفـقـات العسـكرية الأمـريكيـة، مهمـا كانت الأزمـة المالية التى تعـانـى منهـا أمـريكا، من أجل مواجهة وردع قائمة طويلة من الشياطين أعداء أمريكا، فى روسيا والصين.

ولم ينس دونالد ترامب أن يقدم الإغراء السياسى الكبير لأبناء الطبقات العليا فى أمريكا، بإنهاء الضرائب، مع الوعود البراقة بالرفاهية، وذلك رغم أنه ينحدر من أسرة أمريكية، شبه فقيرة وأمه كانت عاملة نظافة فى أحد الفنادق، ووالده لم يكن يعمل فى مهنة أرقى من ذلك!!

ويتحدث الأمريكيون عن انتخابات الرئاسة الأمريكية فى ٢٠١٦ باعتبارها، ربما تكون الأغرب فى التاريخ السياسى الأمريكى.

وبدأ البعض يتحدث بدهشة، لأن كل المؤشرات تؤكد أن الرئيس الأمريكى القادم فى يناير ٢٠١٧ سيكون واحداً من أصول إسبانية، أو رجلاً يهودياً، أو امرأة، أو شخصاً يدعى ترامب.

يهودى وامرأة وترامب

وذكرت صحيفة واشنطن بوست أن القائمة المؤكدة لمرشحى الرئاسة الأمريكية من الآن وحتى منتصف مارس، لا تضم سوى رجل من أصول إسبانية مثل ماركو روبيو أو تيدكروز، وهما ينافسان ترامب على الترشح باسم الحزبٍ الجمهورى. فى حين تضم قائمة السباق فى الحزب الديمقراطى المنافس، كلاً من اليهودى بيرنى ساندرز، أو امرأة حديدية تدعى هيلارى كلينتون.

هذه هى الاختيارات المتاحة أمام الناخب الأمريكى فى انتخابات ٢٠١٦ الأمريكية، وهذا هو التاريخ الجديد لأمريكا، وللسباق إلى البيت الأبيض.

وذكرت صحيفة نيويورك تايمز أنه لا يوجد ما يمنع وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض وخلافة باراك أوباما، سوى امرأة، هى هيلارى كلينتون، التى تسعى للفوز بترشح الحزب الديمقراطى لانتخابات الرئاسة.

خطأ لا يغتفر

وارتفعت أصوات أمريكية فى الطبقة السياسية العليا تحذر من خطأ جسيم لا يغتفر للحزب الجمهورى الأمريكى، الذى يقف صامتاً أمام اكتساح دونالد ترامب للسباق على الترشح باسم الحزب الجمهورى، وقال أحدهم، إن ترامب يمثل "السم الأخلاقى"، الذى يمكن أن يعكر صفو الحياة السياسية الأمريكية، لأن فوز دونالد ترامب بترشح الحزب الجمهورى أو فوزه بالرئاسة يمثل ضربة قاسية للقيم الديمقراطية الأمريكية.

وتؤكد مصادر أمريكية أن حملة ترامب تقوم على الشك وانعدام المنطق،

وبرنامجه الانتخابى يقوم على عنصرية فجة، يثير فيه الأحقاد على المسلمين، وكل من هو ليس أبيض، وبالذات ذوى الأصول الإسبانية، وحتى اليهود، كما أن وعوده الانتخابية غير قابلة للتحقيق، إذا حدثت المفاجأة ووصل إلى البيت الأبيض.

ويقول يوجين روبنسون إن فوز ترامب المحتمل بالرئاسة الأمريكية فى ١٥ نوفمبر القادم، سيكون ضربة قاسية جداً للنظام السياسى الأمريكى، بما يؤكد الفشل التام لهذا النظام فى القرن الجديد، وليس هذا من عبث المقادير وصدف التاريخ، لكنه يعود فى الأساس لفشل النظام السياسى الأمريكى فى التكيف مع المتغيرات السكانية، أو الاضطرابات الاقتصادية، كما أنه من الواضح أن القوة الأعظم الأمريكية قد فشلت فى إعادة بناء النظام العالمى الجديد بعد انتهاء الحرب الباردة، فقد فشلت أمريكا، فى استيعاب صعود الصين، كما فشلت فى التعامل مع عودة روسيا القوية للسياسة العالمية، ووسط القائمة المعلنة لمرشحى الرئاسة الأمريكية، لا يوجد مرشح واحد لديه الحلول لأزمات أمريكا، والعالم، ولكن يوجد فقط من لديه الرغبة فى ضرورة أن تتدخل أمريكا عسكرياً. فى كل أزمة عالمية، من الشرق الأوسط والخليج، وحتى بحر الصين الجنوبى وكوريا الشمالية، وكوبا.

نهاية آل بوش

لكن انسحاب جيب بوش، شقيق الرئيس الأمريكى السابق جورج دبليو بوش، أثار دهشة المراقبين، فيما وصفه الأمريكى روبرت ميرى، بأنه السقوط النهائى لعائلة بوش المالكة فى أمريكا. فقد كان آل بوش، هم الذين صنعوا الفشل الأمريكى الكبير، بدءاً من حرب تحرير الكويت، وحتى احتلال العراق فى ٢٠٠٣ .

بوش الأب صنع نصراً عسكرياً، ضد عدو ليست له قيمة عسكرية مثل صدام حسين، لكنه صنع أزمات أمريكا الاقتصادية التى تفاقمت منذ ١٩٩٢ وحتى اليوم.

بوش أشعل حرباً كبرى

وحين جاء جورج دبليو بوش - الابن - إلى البيت الأبيض، تمكن من صنع أكبر كارثة فى سياسة أمريكا الخارجية، حين قام باحتلال العراق، وبدأ الحروب الأمريكية الكبرى فى الشرق الأوسط التى فشل باراك أوباما فى إنهائها.

ويمكننا الآن أن نتحدث عن ماض لدول الشرق الأوسط، خصوصاً فى العراق وسوريا وليبيا واليمن، وحتى الصًومال، ولكن لا يمكن لأحد أن يتحدث عن المستقبل؛ لأن الحروب المشتعلة فى سوريا والعراق وليبيا واليمن، مؤهلة للتصاعد من الآن وحتى سنوات طويلة قادمة، فى ظل سيادة الأطماع التوسعية لتركيا وإسرائيل، وحتى إيران فى أراضى العراق وسوريا، وفى ظل الأطماع الأمريكية والأوروبية فى ثروات ليبيا والخليج العربى من البترول والغاز، وكل هذا يؤكد أنه توجد أسباب للحروب الإرهابية والفوضوية فى العالم العربى، ولكن لا توجد تسويات سياسية أو حلول دبلوماسية، حتى رغم الحديث فى موسكو وواشنطن عن وقف مؤقت لإطلاق النار فى سوريا.

وبناء عليه، كان من الطبيعى أن يكون العالم العربى ساحة مفتوحة للصراعات الإقليمية والدولية، صراع على السيطرة والهيمنة، تضيع فيها حقوق، وحتى أراضي ودول العرب يكفى أن المرشح الجمهورى الرئيسى فى سباق الانتخابات الأمريكية القادمة يضع كراهية العرب والمسلمين على رأس أولوياته!! وهذه هى مأساة الإطلالة أو محاولة الإطلال على مستقبل العرب من خلال قراءة كف واشنطن، بعد أن عادت السياسة العربية لعصور الخرافة والحروب العرقية والقبلية والصراعات الدينية، حتى بين أبناء الدين الواحد والإسلام الواحد.

ولا توجد دولة تكافح ضد ضياع العرب، بين الإرهاب والتخلف، سوى مصر، وقيادة مصر الوطنية، تحيا مصر، تحيا مصر.

سيناريو تدمير سوريا.. كان جاهزاً للتنفيذ فى القاهرة أولاً

أصبحت مصر.. هى الهدف الأكبر.. لكل مؤامرات وجرائم الإرهاب والفوضى.. وحروب الجيل الرابع.. ومهما اختلفت المؤامرات فى الشكل والتوقيت.. إلا أن الهدف منها واحد.. لا يتغير.. وهو السعى بكل السبل إلى إسقاط الدولة الوطنية فى مصر.. ومؤسساتها حتى تتحول مصر إلى ساحة مفتوحة.. للصراع الشيطانى الممتد.. بين أبناء الشعب الواحد.. الموحد.. منذ فجر التاريخ.

وقد وجدت الأجهزة السرية العالمية.. الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية.. فى ثورات الربيع العربى الملونة.. فرصة ذهبية.. لإسقاط الدول وتغيير أنظمة الحكم الوطنية.. بما يخدم مشروع الإمبراطورية الأمريكية الكبير للهيمنة والنفوذ فى العالم العربى.

وتدعى الولايات المتحدة الأمريكية أحياناً.. أن ثورات الربيع العربى.. كانت تمثل قصص اليوتوبيا السياسية المثالية.. للتحول الديمقراطى فى العالم العربى.. خصوصاً بعد القصة الدامية لغزو وتدمير العراق.. بآلة الحرب الأمريكية.. المتخصصة فى القتل والدمار.. بأحدث تكنولوجيا.. وفى اللحظة المناسبة.. كشفت أفاعى أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية.. عن أنيابها السامة.. التى أخذت تنهش بها فى الجسد العربى.. دولة بعد أخرى.. حتى تحولت ليبيا من دولة غنية ومزدهرة إلى دولة فاشلة.. وبلد مفتوح لكل عصابات وجماعات الإرهاب والفوضى.. وتولت أمريكا وفرنسا وبريطانيا.. قيادة دول حلف الناتو.. خلال عملية ضرب ليبيا بالطائرات والصواريخ.. وتتولى القوى العالمية الثلاث حالياً.. تنظيم عملية تدفق المرتزقة وعصابات الإرهاب المسلح على ليبيا.. فى طرابلس وبنغازى وسرت.. وحتى فى الجنوب.. فى برقة.

ويقول الصحفى الأمريكى مارك لينش فى كتابه "الحروب العربية" الذى صدر منذ شهرين تقريباً فى واشنطن.. إن سوريا.. أصبحت أكبر ضحايا خطط

الشيطان الأمريكى.. لنشر الفوضى والإرهاب فى العالم العربى.. ولا يوجد تفسير لما يحدث فى سوريا من قتل وتدمير وإراقة الدماء.. سوى أنها مؤامرة دولية واسعة.. تم فيها التخطيط لأقذر حروب عصابات المرتزقة فى التاريخ.. بهدف ليس فقط إسقاط الدولة السورية.. ولكن أيضاً بهدف تصفية وجود الشعب السورى.. وتحويله إلى شعب من اللاجئين الباحثين عن مأوى فى تركيا ودول أوروبا وأمريكا ولولا يقظة الشعب المصرى المفاجئة.. خلال ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ لانطلق التاريخ فى الاتجاه المعاكس لمصالح مصر الوطنية تماما فقد اكتشف الشعب المصرى بحسه التاريخى التلقائى حقيقة المؤامرة الشيطانية.. لجماعة الإخوان الإرهابية.. العميل القديم للمخابرات المركزية الأمريكية والبريطانية.

وتؤكد الملفات السرية الأمريكية.. أن الولايات المتحدة تعمدت طويلاً أن تمارس الضغوط على الرئيس الأسبق حسنى مبارك.. حتى تسامح مع الوجود السياسى الغامض لجماعة الإخوان الإرهابية.. وفى لحظة الحقيقة خلال ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ تلاعبت المخابرات المركزية الأمريكية بأقدار المصريين وقامت بعملية سياسية قذرة.. تمكنت من خلالها جماعة الإخوان الإرهابية من القفز إلى قمة السلطة.. فى غيبة من الزمن.. ومن التاريخ.

الصعود الزائف

وكان الهدف الأمريكى من دعم الصعود الزائف للإخوان فى مصر.. هو أولاً نشر الفتنة.. وفرض التقسيم الدينى للمصريين.. فى إطار مؤامرة شاملة تستهدف فى النهاية إسقاط مؤسسات الدولة الوطنية فى مصر لكن حركة الشعب المصرى الثورية.. التلقائية فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣ أسقطت المشروع الأمريكى الرهيب.. وأطاحت بجماعة الإرهاب والخيانة.. مرة واحدة وإلى الأبد بإذن الله.

ومن وقت لآخر تفاجئنا الصحف الأمريكية الكبرى بالحديث فى ألم ومرارة عما يطلقون عليه اسم "فشل التحول الديمقراطى" فى مصر.. وهم يقصدون بالطبع سقوط نظام الإخوان العميل وتكشف الملفات السرية الأمريكية.. أن جماعة الإخوان الإرهابية الخائنة.. هى التى تولت ترتيب وتنظيم تدفق عصابات الإرهاب التابعة لها على سوريا.. من جميع أنحاء العالم الإسلامى.

وتولت دولة تركيا احتضان تنظيم داعش الإرهابى.. وجبهة النصرة وتنظيم أحرار الشام.. وأقامت لكوادر هذه العصابات مراكز التدريب.. ووفرت لها

مصادر التزود بالمال والسلاح وشاركت قطر فى توفير المال والسلاح.. ودول أخرى لا تخفى دعمها لعصابات الإرهاب فى سوريا.

اعتراف أمريكى

وتعترف شخصيات أمريكية مرموقة.. بأن السيناريو الأمريكى لتدمير سوريا.. كان معدا فى البداية للتنفيذ فى مصر أولاً.

وحين تلاقت إرادة الشعب والقوات المسلحة فى ثورة ٣٠ يونيو.. سقطت مؤامرة كبرى.. كانت تستهدف توطين جحيم الإرهاب والفوضى والخيانة والحرب الأهلية والانقسام الدينى فى مصر.

ويؤكد الأمريكى مارك لينش فى كتابه.. إن الحروب العربية المشتعلة فى العراق وسوريا واليمن وليبيا.. تؤكد أن جحيم التقلبات والزلازل السياسية فى العالم العربى.. لم ينته بعد.

فلم يحدث من قبل أن تحول الشرق العربى إلى ساحة مفتوحة للصراعات الدموية والحروب والإرهاب والفوضى.. كما يحدث الآن.. فى لعبة دولية رهيبة.. تستهدف إسقاط الدول الوطنية ذات السيادة ونشر الفوضى فى كل مكان.. وخلق فراغ جغرافى وسياسى واسع وممتد من العراق إلى سوريا ولبنان.. واليمن وليبيا.. إلى كل مكان.. حول إسرائيل.. درة الإمبراطورية الأمريكية فى الشرق الأوسط.

ويقول مارك لينش.. ربما كانت هناك عوامل ثورية أصيلة وراء بعض ثورات الربيع العربى.. لكن هذه الثورات تعرضت للهزيمة؛ بسبب اللعبة الأمريكية القذرة.. المعادية للنظم وللدول الوطنية فى العالم العربى.. ويؤكد لينش أنه من المثير للدهشة أن تتدفق عصابات المرتزقة والإرهاب.. على الدول العربية.. فى العراق وسوريا وليبيا واليمن.. وحتى سيناء.. بتمويل عربى.. يفوق التمويل الأمريكى. وهذا أول اعتراف من صحفى أمريكى يؤكد أن وزارة الدفاع الأمريكية.. تتولى تزويد عصابات الإرهاب فى سوريا بالمال والسلاح.. كما تتولى المخابرات المركزية الأمريكية.. التنسيق بين الدول الخليجية الراغبة فى تمويل وتسليح عصابات الإرهاب "قطر.. قطر.. قطر".

واتضح أن دولة قطر.. هى الممول الرئيسى لتنظيم بيت المقدس الإرهابى فى سيناء.. بالتعاون مع تركيا.. وتحت أنف المخابرات المركزية الأمريكية والموساد.. والمخابرات البريطانية.

ويكشف مارك لينش أن الهدف الأمريكى الرئيسى من تحويل ثورات الربيع العربى إلى حروب.. هو ضرورة أن يتم إسقاط النظام الإقليمى العربى.. الذى ظهر بعد حركات الاستقلال الوطنى طوال الخمسينيات والستينيات.. لأنه لم يعد مناسباً للإمبراطورية الأمريكية فى القرن الحادى والعشرين.

حتمية صعود مصر

هناك ما يشبه الإجماع فى الأوساط العالمية.. على أن مصر.. هى القوة الإقليمية الأكبر.. فى العالم العربى والشرق الأوسط. والاعتراف بقوة مصر الإقليمية.. وبدورها القيادى الفعال فى هذا الجزء من العالم.. ليس منحة من أحد.. وليس اعتماداً على أحد.. لكنها قصة التفاعل التاريخى الطويل.. بين الشعب المصرى والأرض التى عاش فوقها.. منذ فجر الزمن والتاريخ.

ويقول المفكر الاستراتيجى الأمريكى روبرت دى كابلان.. إن موقع مصر الجغرافى الفريد.. فى خريطة العالم.. وهو الذى جعل من صعود مصر الإقليمى الدولى.. حتمية تاريخية وسياسية.. على مر العصور وربما تغير دور مصر الحضارى من عصر إلى عصر.. لكن دور مصر القيادى والإقليمى.. لم يتغير.. مطلقاً.. ومن زمن إلى زمن.. تصعد إمبراطوريات.. وتظهر قوى عالمية.. وتسقط.. قوى عالمية.. لكن قوة مصر الإقليمية القيادية.. لم تتغير مطلقاً.. فى أى عصر وأى زمن.

ولم تكن مفاجأة أن تتحدث صحف عالمية كبرى فى باريس وبرلين.. عن مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ باعتبارها القوة العربية.. التى سوف تنفرد بتقرير مصير الشرق الأوسط.. وربما العالم كله.

لكن قوى الشر.. وعصابات الإرهاب والخيانة والفوضى.. مازالت تسعى بكل قوة إلى الوقوف.. ضد الحقيقة الاستراتيجية الكبرى.. لقوة مصر الإقليمية.. عميقة الأثر والنفوذ فى هذا الجزء من العالم.

السلاح أمريكى.. والجيش وطنى

وقد تصور المخطط الأمريكى على مدى سنوات طويلة أن تزويد مصر بالأسلحة الأمريكية من شأنه أن يجعل القوات المسلحة فى مصر.. تدين بالولاء للولايات المتحدة الأمريكية.. وليس لإرادة الشعب فى مصر.

وفى لحظة الحقيقة التاريخية.. وقفت القوات المسلحة.. بقيادة الجنرال العظيم

عبدالفتاح السيسى.. إلى جانب الشعب ضد المؤامرة الأمريكية ـ الإخوانية.. لتدمير مصر وإسقاط الدولة الوطنية فيها.

وتؤكد صحف فرنسية كبرى أن الأوساط الأمريكية والبريطانية.. فى واشنطن ولندن.. تشعر بالخوف.. وحتى الفزع.. مما يطلقون عليه.. مخاطر صعود مصر الإقليمى والدولى بقيادة الرئيس السيسى.. على المصالح الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية.. فى العالم العربى وإفريقيا. ولم يكن مثيراً للدهشة أن يتعمد رئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو أن يتحرك فى هذا التوقيت.. لتحقيق وتنفيذ عملية اختراق إسرائيلى فى إثيوبيا ودول حوض النيل والحقيقة أنها عملية توغل.. وتوسع سياسى واستراتيجى إسرائيلية مفضوحة.. بإغراءات المساعدات والتكنولوجيا.. لكن جهاز المخابرات الإسرائيلى يستهدف دعم "محطاته" الاستراتيجية فى كينيا وإثيوبيا. وتؤكد صحيفة هاآرتس الإسرائيلية أن الموساد الإسرائيلى.. هو الواجهة العملياتية للمخابرات المركزية الأمريكية فى إثيوبيا وشرق إفريقيا.

نيران الحقد

ويبدو أن المؤامرة ضد مصر.. لم تتراجع أو تنحسر حتى الآن.. ومازالت نيران الحقد والغضب.. مشتعلة فى قلوب قيادات الأجهزة السرية العالمية.. بسبب نجاح ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فى مصر.. فى إقامة نظام وطنى جديد.. لشعب مصر الذى يرفض الاستسلام للهيمنة الأجنبية.

ومازالت صحيفة جيروزاليم بوست الإسرائيلية تتحدث عن ضرورة التصدى لأحلام استعادة مشروع الوحدة والقومية العربية.. فى مصر.. وجميع أنحاء العالم العربى.

من هنا.. بدأت المؤامرة ضد مصر تأخذ أشكالاً جديدة.. بهدف حصار مصر بالأزمات.. وبالمفاجآت الصاعقة أحياناً.

ولم يعد خافياً على أحد أن مصر.. تتلقى التهديدات العلنية أحياناً.. بضرورة الاستسلام للمشروع الإمبراطورى الأمريكى فى العالم العربى.. وإلا تعرضت مصر.. لسيناريو سوريا الرهيب وتتعرض مصر لضغوط أحياناً.. من خلال إعادة تكوين جماعة الإرهاب والخيانة.. بمساحيق الحرية والديمقراطية الأمريكية الزائفة.. حتى يمكن القبول بوجود لها من جديد فى المجتمع المصرى.

مسلسل لا ينتهى

وهذا هو السر وراء حصار مصر بالمسلسل الذى لا ينتهى.. لهجمات الإرهاب وجرائمه.. وأزمات الاقتصاد المتوالية ولن تنسى ذاكرة التاريخ قصة إسقاط طائرة الركاب الروسية فى سيناء.. بمؤامرة إرهابية مشتركة.. للأجهزة السرية الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية وكان الهدف هو ضرب صناعة السياحة فى مصر. واشتركت بريطانيا فى المؤامرة سراً.. ولم تتردد فى إرهاب شركاء مصر.. فى صناعة السياحة علنا خصوصاً روسيا الاتحادية.. حتى تخسر مصر مصدرا من أهم مصادر الدخل القومى والعملة الصعبة.

وجاءت حادثة سقوط طائرة مصر للطيران القادمة من باريس.. لتؤكد أن المؤامرة على صناعة السياحة والطيران فى مصر.. حقيقة.. لا تقبل الشك.

فخ ريجينى

وتجرى حاليا محاولة شيطانية يائسة لاستدراج مصر إلى فخ جديد.. أطلق عليه المصريون.. بشكل ساخر اسم "فخ ريجينى" فى إشارة إلى جريمة مقتل الباحث الإيطالى... الذى تم العثور على جثته على طريق الاسكندرية الصحراوى.. بهدف ضرب العلاقات التاريخية بين مصر وإيطاليا.. على اعتبار أن إيطاليا أكبر شريك تجارى لمصر فى أوروبا.. كما أن العلاقات بين مصر وإيطاليا فى حوض البحر المتوسط لم تنقطع على مر التاريخ.

وذكرت صحف إيطالية.. أن روما تتعرض لضغوط سرية كبيرة جدا.. خصوصاً من جهاز المخابرات البريطانى.. فيما يبدو لأن الباحث الإيطالى فى جامعة كامبردج.. كان يؤدى دوراً للمخابرات البريطانية العتيقة.. فى دراسة النقابات العمالية فى مصر.. بعد ثورتى يناير ويونيو ٢٠١٣ .

لكن الضغوط القادمة إلى روما.. من الشاطئ الآخر للمحيط الأطلنطى فى واشنطن.. تبدو أخطر.. لأن البرلمان الإيطالى اتخذ بعدها مباشرة قراره بتعليق تزويد مصر بقطع غيار طائرات إف-١٦ الأمريكية.

صفقة مشبوهة

وكانت "الآنسة قطر" قد تعاقدت منذ شهرين تقريباً مع إحدى الشركات الإيطالية المتخصصة فى صنع الزوارق الحربية على تزويد قطر بعدد نحو ثمانية زوارق مزودة بالصواريخ فى صفقة تزيد قيمتها على ٨ مليارات دولار..

وهى الصفقة الأولى من نوعها بين قطر وإيطاليا وتتردد شائعات فى روما أن قطر.. ساومت جهات وشخصيات إيطالية.. على وقف تزويد مصر بقطع غيار الطائرات.. مقابل عقد صفقة الزوارق الحربية مع إيطاليا.. وإذا كانت قطر هى الممول الرئيسى لتنظيم بيت المقدس الإرهابى فى سيناء.. فليس من المستبعد أن تلجأ لمثل هذه اللعبة القذرة ضد مصر.

وذات يوم قريب سوف يفضح التاريخ دولة قطر.. ومؤامراتها الواسعة مع تركيا أو أمريكا.. ضد الدول والمصالح العربية.. وخصوصاً مصر.. وتكشف الملفات السرية لوزارة الخزانة الأمريكية أن دولة قطر هى الممول الأكبر للجماعات الإرهابية.. فى تنظيم داعش.. والقاعدة.. وهى الحاضنة الأولى لجماعة الإرهاب والخيانة فى مصر.. وبالتعاون مع تركيا.

لكن جريمة تمويل قطر.. لتنظيم بيت المقدس الإرهابى فى سيناء.. ليست إلا جزءا من مؤامرة دولية كبرى.. على مصر كلها.. وعلى أراضيها فى سيناء بالتحديد.. بهدف إحياء المشروع الاستعمارى القديم.. لبناء الوطن البديل للفلسطينيين فى قطاع غزة.. مع اقتطاع جزء من سيناء المصرية.. وضمه إليها.. وترفض إسرائيل فكرة التسوية السليمة القائمة على حل الدولتين.. ويرفض بنيامين نتنياهو تماما.. فكرة الانسحاب الإسرائيلى من القدس والضفة الغربية.

تفوق فلسطينى

يأتى ذلك بعد أن كشفت الإحصاءات السكانية الجديدة.. أن تعداد السكان الفلسطينى فى إسرائيل والضفة الغربية وغزة والقدس أصبح أكثر من ستة ملايين نسمة.. فى حين أن تعداد السكان اليهود فى إسرائيل يصل إلى نحو ٨,٥ مليون نسمة فقط.. وبدأ التفوق السكانى الفلسطينى يثير القلق البالغ فى الصحافة الإسرائيلية.

.. ويبدو أن المؤامرة العالمية على سيناء قديمة.. وحين يؤمن الصهيانة بالله.. يقولون إن ألواح التوراة هبطت على موسى فى طور سيناء.. وحين يحلم ديفيد بن جوريون.. نجده يحلم بضم سيناء لإسرائيل.

وكل هذا يؤكد أن جرائم الإرهاب فى سيناء.. ليست إلا جزءا من مؤامرة إرهابية عالمية.. تقف وراءها أطماع مفضوحة فى أراضى مصر فى سيناء.

حصار غير معلن

لكن المؤامرة على مصر.. ليست مجرد جرائم إرهابية تستهدف استنزاف قواتنا المسلحة وشبابها.. لكنها مؤامرة شاملة تستهدف بصراحة مطلقة.. تركيع مصر اقتصاديا.. وإجبارها على الاستسلام لمشروع الهيمنة الأمريكية.. وإلا.. لماذا هذا الحصار الاقتصادى غير المعلن الذى تتعرض له مصر؟ ولماذا يتم ابتزاز مصر دائما.. بضرورة القيام بالمزيد من الإصلاح الاقتصادى.. حتى تتدفق الاستثمارات على مصر؟ وفى كل مرة وفى كل عهد من ١٩٧٤ إلى اليوم.. تقوم مصر بتنفيذ برامج إصلاح اقتصادى بعيدة المدى.. فى النهاية تتعرض مصر.. لأزمات اقتصادية.. ذات أبعاد اجتماعية.. وربما خرجت مصر من أزمة اقتصادية لأخرى.. ودائما.. نرى الاستثمارات الأمريكية والأوروبية.. ترحل بعيدا.. إلى الشرق الأقصى فى كوريا الجنوبية وماليزيا والصين.. وحتى تركيا.. لكنها أبدا.. لا تصل إلى مصر بالمعدلات المطلوبة التى تتناسب مع الحجم السكانى لمصر.

ويبدو أن المؤامرات الاقتصادية ضد مصر.. هى الأخطر.. وهى جزء من حروب الجيل الرابع وهى الأضلاع المهمة للغاية فى المؤامرة الدائمة على مصر التى تستهدف ضرب مشروعات التنمية والتقدم.

أكاذيب السلاح الإسرائيلى.

وتكشف الصحف الإسرائيلية أن صادرات إسرائيل من السلاح فى ٢٠١٥ قد بلغت أكثر من ٥ مليارات دولار.. ويدعى الإسرائيليون التفوق فى ابتكار تكنولوجيا السلاح المتطورة.

لكن مجلة ديفنس نيوز الأمريكية كشفت منذ أيام أن إسرائيل تحصل على ٣,١ مليار دولار مساعدات عسكرية أمريكية سنوياً.. وأن ٢٥٪ من هذه المعونة.. يتم إنفاقها مباشرة فى الاستثمارات الجديدة بشركات صناعة السلاح فى إسرائيل التى تحصل سنوياً على مبلغ ٨٥٠ مليون دولار.. مساعدات مباشرة.. كما تحصل إسرائيل على مبلغ ٥٠٠ مليون دولار أخرى.. لتمويل بناء مشروع الدرع الإسرائيلية المضادة للصواريخ سنوياً.. مع السماح لكبرى شركات السلاح الأمريكية بنقل التكنولوجيا الجديدة فى صناعة السلاح الأمريكية لإسرائيل.

وهكذا تمكنت إسرائيل من تصنيع صواريخ كروز توما هوك الأمريكية.. وصنع الطائرات بدون طيار.

كيف ولماذا؟!

.. وتعتمد إسرائيل.. على صادراتها من السلاح.. فى اللعبة الجديدة القذرة التى يقوم بها بنيامين نتنياهو فى إفريقيا.. ضد مصالح مصر المباشرة مع شركائها التاريخيين.. فى دول حوض النيل. ليس سهلاً أن يكون نتنياهو أول رئيس وزراء إسرائيلى يقوم بجولة فى القارة السمراء منذ ٣٠ عاماً.. كيف ولماذا.. فى هذا التوقيت؟!

ومن المثير للدهشة أن تتحدث «جيروزاليم بوست» الإسرائيلية عن إمكانية قيام إسرائيل بالوساطة بين مصر وإثيوبيا.. فى ملف سد النهضة الشائك!!

كلاب وعبيد

ويبدو أنه توجد مؤامرة كبرى.. لا تستهدف فقط حصار مصر فى إفريقيا.. بل تستهدف إخراج مصر نهائياً من إفريقيا.. فقد حدث منذ أسابيع مضت أن تعرضت مصر.. للاتهام فى دولة إفريقية شقيقة.. هى كينيا.. بأن أحد أعضاء الحكومة المصرية يتهم الأفارقة بأنهم كلاب وعبيد.

المدهش أن تتعرض مصر لهذا الاتهام فى وقت كان فيه رئيس جمهورية كينيا الإفريقية الشقيقة "أورهو كينياتا" يقوم بزيارة لإسرائيل.

والمعروف أن كينيا.. هى إحدى دول منابع النيل.. مع أوغندا وإثيوبيا.. وخلال زيارة نتنياهو لأديس أبابا.. توافرت له الفرصة لإلقاء خطاب أمام البرلمان الإثيوبى.

وفى هذا التوقيت.. تتحدث صحف إسرائيلية بصفاقة عن إمكانية قيام إسرائيل بالوساطة بين مصر وإثيوبيا.. لتسوية القضايا الشائكة فى ملف سد النهضة. والحقيقة أن مشروع سد النهضة على منابع النيل الأزرق فى إثيوبيا.. ليس إلا مشروعاً أمريكى التخطيط.. صهيونى التنفيذ.. لأن أوساط الصهيونية العالمية فى نيويورك وواشنطن.. تريد توريط مصر.. فى مستنقع أزمات وصراعات المياه.. مع إثيوبيا.. حتى تنشغل مصر.. بعيداً عن اهتماماتها العربية والقومية.. سواء فى الخليج والمشرق العربى.. وربما تنسى مصر تماماً فى زحام الأزمات.. وجود شىء اسمه المغرب العربى.. فى ليبيا وتونس والجزائر والمغرب.

ولا يخفى على أحد فى أديس أبابا أن كل السدود التى أقامتها إثيوبيا على النيل الأزرق.. قد تمت بدراسات أمريكية.. قام بها خبراء المياه من جامعة كولومبيا فى أواخر الخمسينيات وأوائل الستينيات.. بهدف حرمان مصر من خيرات السد العالى. وتخريب حلم عبدالناصر فى التنمية والتقدم.

اليهودى القذر

ويبدو أن إسرائيل تحاول العودة لإفريقيا من جديد.. رغم أن الأشقاء الأفارقة كانوا يطلقون.. على تجار الألماس الإسرائيليين فى الكونغو وجنوب أفريقيا اسم "اليهودى القذر" أو اللص الإسرائيلى.

وذكرت الصحف الإسرائيلية أن حجم التبادل التجارى بين إسرائيل وقارة إفريقيا بالكامل لا يزيد على مليار دولار واحد فقط.. منها ٦٠٠ مليون دولار حجم تجارة الألماس بين إسرائيل وجنوب إفريقيا.. ولا تزيد قيمة صادرات السلاح الإسرائيلى لدول أفريقيا على ١٣٥ مليون دولار. لكن إسرائيل تستغل علاقاتها بكينيا وساحل العاج مثلاً.. بين شرق وغرب إفريقيا.. فى إقامة محطات تجسس لجهاز المخابرات الإسرائيلى "الموساد".

وذكرت صحيفة هاآرتس منذ أيام أن إسرائيل تبدى اهتماماً دائماً بمنطقة القرن الإفريقى فى الصومال وإثيوبيا وإريتريا.. لأنها منطقة قريبة من مصر.. التى تمثل أكبر تهديد عسكرى لإسرائيل.. حتى بعد توقيع معاهدة السلام فى ١٩٧٩.

الواجهة الأمامية

وقد أقام جهاز الموساد الإسرائيلى مركز عمليات له فى مكان ما من القرن الإفريقى.. بهدف تجنيد العملاء.. ضد مصر واليمن والسعودية.. كما أقام الموساد أيضاً مراكز اتصالات وتجسس فى كينيا وإثيوبيا.

وتكشف الصحف الإسرائيلية أن الموساد.. يقوم بدور الواجهة الأمامية لعمليات المخابرات المركزية الأمريكية فى شرق إفريقيا.. وكانت هذه هى القناة السرية التى تدفقت من خلالها الأموال السرية.. على المشروعات الإسرائيلية والأمريكية الغامضة فى شرقى إفريقيا.. ومنها سد النهضة.. التى ادعت إثيوبيا طويلاً أنه يتم بتمويل من السندات التى يشتريها أبناء الشعب الإثيوبى.. فى أمريكا وأوروبا.. وفى داخل إثيوبيا. لكن نتنياهو يتحدث عن هدف معلن لإسرائيل فى الفوز بأصوات إفريقيا فى الأمم المتحدة لكن من الواضح أن مواقف إثيوبيا المتشددة أحياناً من مفاوضات سد النهضة.. يقف وراءها لعبة أمريكية إسرائيلية قذرة وبعيدة المدى.. وهى جزء شيطانى رهيب يستهدف حصار مصر بالأزمات.. الإرهابية والاقتصادية وحتى فى شريان الحياة الوحيد الذى تملكه مصر.. مياه النيل.. هكذا نكتشف أن إسرائيل تتسلل وتتوغل.. إلى

حيث لا نتوقع.. حتى فى قلب إفريقيا.. وبالتحديد فى منابع حوض النيل.

قد نشعر بالقلق أحياناً من حجم وأهداف المؤامرات التى تتعرض لها مصر.. لكننا أبداً.. لا نهتز.. ولن نهتز.

ضربات نووية استباقية

ويقول الصحفى الأمريكى مارك تاليانو.. إن التحالف الأمريكى- الأوروبى- الإسرائيلى.. تحول إلى مؤسسة إمبراطورية عالمية كبرى.. تقوم على المؤامرات والجرائم والأكاذيب والخداع.. لكنها يمكن أن تقود فى النهاية إلى ما لا يمكن أن يتصوره أحد.. من حروب وصراعات دموية.. خصوصاً بعد أن ظهر فى حلف الناتو.. من يطالبون بالاستعداد لضربة استباقية نووية.. ضد أى عدو.. لأمريكا والغرب.. ليس فقط فى روسيا والصين.. بل حتى ضد التنظيمات الإرهابية فى العالم العربى.. مثل القاعدة وداعش.وهذا يعنى أن أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية.. هى التى تولت صناعة هذه الجماعات الإرهابية.ونشرها فى العالم العربى.. خصوصاً العراق وسوريا.. ليتم فى النهاية ضرب مدن أو مناطق عربية بالأسلحة النووية.. بدعوى الحرب ضد الإرهاب.. والقضاء على التطرف الإسلامى.

ولا يخفى الأمريكيون حالياً أن تنظيم داعش الإرهابى من صناعة جهاز المخابرات العسكرية الأمريكى.. وقد تحول بمرور الوقت لأداة من أدوات المؤامرة فى قطر وتركيا وأمريكا لتدمير سوريا.. والإجهاز على العراق.

ويقول مارك تاليانو إن هذه الجماعات الإرهابية فى داعش والقاعدة والإخوان.. من الأرصدة الاستراتيجية الأمريكية فى المؤامرة الكبرى التى تستهدف إسقاط الدول العربية.. وتصفية وجودها وشعوبها!

ويقول إن أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية تعمدت التخطيط لقيام ونشر تنظيمات الإرهاب المسلح فى العالم العربى.. بهدف إثارة الخوف من الاسلام والمسلمين فى أوروبا وأمريكا وفى كل مكان من كوكب الأرض وقد كان اليهود موضع كراهية شعوب أوروبا خلال العصور الوسطى.. اليوم أصبح من المستهدف أن يكون العرب المسلمين موضع كراهية وعداء العالم كله.. فى القرن الجديد.

كوكب الأرض

ويبدو أن الإمبراطورية الأمريكية تريد أن تفرض هيمنتها على كوكب الأرض بالكامل.. وليس على العالم العربى فقط.. الإمبراطورية الأمريكية تريد إسقاط

وتصفية وجود وحدود الدول العربية وإقامة نظم وكيانات إرهابية بدلا منها.. تنشر الإرهاب والفوضى فى كل مكان.. المعروف أن الإمبراطورية الأمريكية لها سابقة أعمال وجرائم فى العراق وليبيا واليمن.. وكل هذا يأتى فى إطار مشروع المحافظين الجدد فى واشنطن للهيمنة على العالم ويقول مارك تاليانو.. إنه يوجد شىء واحد واضح وهو أن أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية.. وحتى الألمانية والإيطالية فى فراش واحد.. مع عصابات الإرهاب والفوضى والخيانة فى العالم العربى.

أوباما فى «ثلاثاء الرعب»

ويتحدثون فى واشنطن حالياً عن الاجتماع الذى يعقده الرئيس الأمريكى باراك أوباما.. فى صباح كل يوم ثلاثاء مع أعضاء مجلس الأمن القومى الأمريكى فى بدروم البيت الأبيض وأطلق الأمريكيون على هذا اليوم اسم "ثلاثاء الرعب" لأن أوباما.. يتخذ خلال هذا الاجتماع من كل أسبوع قراراته بضرب واغتيال أى جماعات يتصور أنها تشكل خطراً أو تهديدا لأمريكا.. وتتم عمليات الاغتيال عادة بطائرات دون طيار- درونز- ويحدث هذا يوميا فى باكستان واليمن وفى العراق وسوريا والصومال وليبيا وتتحدث الصحافة الأمريكية حاليا عن اجتماعات "ثلاثاء الرعب" فى واشنطن.. باعتبارها الميراث التاريخى للرئيس أوباما فى البيت الأبيض.. لأنه يتخذ قرارات الاغتيال بأحدث تكنولوجيا.. بالطائرات التى تحلق فى السماء دون طيار.

صناعة المخاطر والأعداء

هكذا نكتشف أن الإرهاب وعصاباته صناعة أمريكية وإسرائيلية وانتشارها فى العراق وسوريا وليبيا واليمن وحتى سيناء ليس له من مبرر سوى نشر الفوضى وإراقة الدماء.. وإيجاد الذرائع اللازمة لتبرير التدخل العسكرى الأمريكى المباشر.. سواء فى العراق أو سوريا.. أو فى أى مكان من العالم العربى.

ويقول الأمريكى استيفن ليندمان.. إن من يتأمل خريطة العالم حاليا.. سوف يكتشف أنه لا يوجد خطر واحد يهدد الأمن الأمريكى فى أى مكان من كوكب الأرض.. لكن مشروع الهيمنة الأمريكية على العالم.. يدفع الأجهزة السرية الأمريكية الى صناعة المخاطر والأعداء.. وصناعة الأزمات وافتعالها بما يبرر التدخل العسكرى الأمريكى فى أى مكان وبما يبرر أيضاً حرص أمريكا.. على الابتكار والتجديد دائماً فى تكنولوجيا صناعة السلاح.

أخيراً.. أصبحت أمريكا تعتمد على قوتها العسكرية فى تنفيذ سياستها الخاجية أو كما قال كيسنجر منذ سنوات أمريكا لم تعد بحاجة للدبلوماسية هل حقاً أن الإمبراطورية تريد تحويل كوكب الأرض إلى مستعمرة أمريكية؟! سؤال بلا إجابة.

وتبقى مصر.. هى الهدف الأكبر لمؤامرات الإرهاب والفوضى.. وحروب الجيل الرابع.. لكن ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ هى التى أحبطت المؤامرة.. ومازالت مصر بالشعب والقوات المسلحة قادرة على الصمود وإحباط كل المؤامرات مهما كانت.. ولن يقف أحد فى طريق مصر.. لتحقيق مشروعاتها القومية للبناء والتنمية والتقدم.. تحت قيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى.. وقد أقسمنا بالله دائماً أن تحيا مصر.

هيلارى كلينتون..
أو مذكرات أخطر امرأة أمريكية

جرائم الإرهاب المتصاعدة فى هذه الأيام.. لا تريد فقط تلوين وجه حياتنا بالدخان الأسود للقنابل والمتفجرات.. أوحتى بلون الدماء وأشلاء الأبرياء فى الشوارع.. إن جرائم الإرهاب الدموى.. تريد أولاً اغتيال الدولة المصرية.. قبل اغتيال المواطن المصرى.. إن الإرهاب بجماعته وعصاباته.. يريد هدم مصر.. الكيان والوطن والشعب.. وتفريغ العالم العربى.. من القوة الرئيسية فيه.. التى يمكن أن تقف فى طريق مصالح وأطماع الإمبراطورية الأمريكية فى ا لقرن الجديد.

قد نشعر بالصدمة..أو الحزن العميق.. لسقوط الضحايا.. وفراق الشهداء.. لكننا أبدا.. لن نهتز.. ولن نستسلم فى مواجهة هذه الموجة الشرسة من الإرهاب.. وجرائم جماعة الإرهاب.. والتنظيمات والعصابات السرية التى صنعتها.

إن هذه الجرائم الدموية الخطيرة.. تجعلنا ندرك حجم المؤامرة الشيطانية الرهيبة التى تتعرض لها مصر فى هذه الأيام.. من الواضح أن الإمبراطورية الأمريكية.. الشهيرة باسم الولايات المتحدة.. لم تعد تريد شركاء أوحتى حلفاء فى العالم العربى.. لم تعد واشنطن تريد فى العالم العربى سوى "العملاء" وخصوصاً تنظيم الإخوان الإرهابى.. العميل القديم للمخابرات الأمريكية والبريطانية.. وحتى المخابرات النازية الألمانية فى عهد هتلر!

.. وقد ارتفعت الضوضاء السياسية فى واشنطن مؤخرا.. تتحدث عن الطبقة العليا السوبر.. فى الولايات المتحدة..التى تريد أن تحكم العالم كله فى القرن الحادى والعشرين.. وتتكون هذه الطبقة الحاكمة الجديدة من رجال البنوك ورجال المال والأعمال.. واللوبى الأمريكى الصهيونى.. اليهودى والمسيحى.. وجنرالات المؤسسة العسكرية الأمريكية وأجهزة المخابرات والأمن القومى.

وقد شعر الأمريكيون بالصدفة ذات يوم حين كتب الأمريكى مايكل دوجلاس فى صحيفة وول ستريت يقول.. إننا فى أمريكا.. نحن نضع القواعد.. ونصنع الأخبار.. ونصنع الحرب والسلام.. ونصنع المجاعات..والأزمات والانقلابات.. بنفس تكلفة صنع دبوس الورق.. وأنتم -يقصد الأمريكيين- لستم بالسذاجة التى يمكن أن يتصور أحد منكم معها أننا نعيش حقا فى ظل الديمقراطية فى أمريكا.. لأننا فى الواقع نعيش فى السوق الحر الأمريكى.. المفروض على العالم كله!!

مال وسلطة ونفوذ

ويعترف المفكر الأمريكى جيمس بيتراس.. بأن نفوذ رجال المال والأعمال اليهود داخل أمريكا امتد ليشمل كل المؤسسة الأمريكية الرئيسية.. وقد تمكن كبار أثرياء اليهود فى أمريكا من التحالف مع المحافظين الجدد فى أمريكا.. وجمع بينهم الارتباط بالفكر الصهيونى المنحاز لإسرائيل.. وفى النهاية اندفعت الولايات المتحدة تحت ضغط اللوبى الصهيونى الرهيب إلى التورط فى سلسلة طويلة وممتدة من الحروب ضد الشعوب والدول العربية.. بدءا من غزو واحتلال العراق.. وحتى مؤامرة تطويق وحصار دول وشعوب العالم العربى.. بعصابات الإرهاب.. والحروب الأهلية.. من أجل ضمان وجود وبقاء إسرائيل.. حليف الهيمنة الأمريكية.

ورغم الانسحاب الأمريكى المزعوم من العراق.. مازالت شوارع بغداد مشتعلة بنيران انفجارات القنابل فى كل صباح.. وانسحبت الدولة العراقية وغابت عن الوجود.. ولم يقم بعدها أى نظام سياسى فى بغداد.. ولا يوجد سوى الإرهاب والعنف والتطرف.. هو الذى يسعى لملء الفراغ السياسى فى العراق بالموت والدمار والانفجارات فى كل صباح.

انتصار استعمارى

ويقول جيمس بيتراس صراحة إن المخابرات المركزية الأمريكية مازالت تعمل بنشاط قوة.. خلال الظلام السياسى الطويل الذى يعيش فيه العراق حالياً.. وهى التى تقوم بتمويل قادة العشائر العراقية المتصارعة وتمويل المرتزقة.. الذين جعلوا العراق ساحة مفتوحة واسعة للإرهاب.. والموت والدمار وظهر من يعترف في واشنطن مؤخرا بأن الولايات المتحدة اتجهت لغزو واحتلال العراق بسبب شعور الولايات المتحدة أو الإمبراطورية الأمريكية بالحاجة إلى تحقيق انتصار

استعمارى يساعد فى الحفاظ على النظام العالمى الذى تهيمن عليه أمريكا!!

ورغم أن الحروب الأمريكية طالت أكثر مما ينبغى شعوب ودول العالم العربى.. فى سوريا واليمن وليبيا والعراق.. فإنه من الواضح أن الولايات المتحدة مازالت على أتم استعداد للحرب..والتدخل العسكرى..دفاعا عن إمبراطوريتها فى الشرق الأوسط.

حاخام يشكر الرب

وظهر فى واشنطن من الأمريكيين من يعترفون صراحة بأن احتلال العراق.. وحروب الإرهاب والفوضى.. ومؤامرات التقسيم.. ضد سوريا واليمن وليبيا.. وحتى مصر.. ليست إلا نوعا من الحروب الاستعمارية الأمريكية ضد العالم العربى.. ولا يوجد لواشنطن سوى هدف واحد.. هو حماية وجود إسرائيل.. حليف الهيمنة الأمريكية فى هذا الجزء من العالم.

وقد وقف حاخام إسرائيلى منذ أيام فى أحد معابد تل أبيب.. يطالب يهود إسرائيل بالصلاة وشكر الرب.. لأنه أشعل حروب الإرهاب والفوضى فى الدول العربية المحيطة بإسرائيل.. لحماية اليهود ودولة اليهود فى إسرائيل.. هكذا تفوح رائحة المؤامرة ضد مصر وشعوب العالم العربى على جميع المستويات.. حتى الدينية فى أمريكا وإسرائيل.

لا يثق فيها أحد

وبعد أن تفجرت فضيحة اجتماعات قيادات جماعة الإخوان الإرهابية مع قيادات وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن.. ترددت تساؤلات واسعة حول العالم.. لأن اجتماعات الخارجية الأمريكية.. تبدو هى الجزء المعلن من النشاط الخفى لقيادات جماعة الإرهاب فى واشنطن.. التى يقال فيها.. إن هذه المدينة هى المصنع الأكبر فى التاريخ للأسرار والمؤامرات الخفية.. لكن كل شىء فى واشنطن ينكشف ويصبح معروفا بعد حين.. ولابد أن يعترف به صاحب مصلحة ما ذات يوم!.

لا أحد يدرى ماذا حدث وجرى فى لقاءات جماعة الإرهاب وراء الأبواب المغلقة للمخابرات المركزية الأمريكية فى "لانجلى" بولاية فرجينيا.. لكن ما نعرفه..هو أن هجمات جرائم الإرهاب تصاعدت ضد مصر.. بعد هذه الاجتماعات الخطيرة.. السرية والمعلنة!

مفاجأة.. الذكريات

لكن المفاجأة التى حدثت هذه الأيام تركزت فيما جرى تداوله سريعا فى مواقع الإنترنت.. العربية والإنجليزية.. حول اعترافات هيلارى كلينتون وزير الخارجية الأمريكية السابقة.. عن قصة المؤامرة ضد مصر.. التى خططت لها الأجهزة السرية الأمريكية بالتعاون مع جماعة الإخوان الإرهابية!

ربما كان من الصعب أن تتحدث هيلارى كلينتون عن هذه المؤامرة بهذه الصراحة الفاجعة فى مذكراتها التى صدرت مؤخرا..تحت عنوان "اختيارات صعبة" ولكن من الواضح أن شيئا ما.. مثل وثائق "ويكيليكس" كشف قصة المؤامرة ضد مصر.. على لسان السيدة هيلارى كلينتون.. وهى تبدو من لحم ودم مثل كل النساء.. لكنها فى الواقع أشد شراسة وأكثر صلابة من زوجها الرئيس الأمريكى الأسبق بيل كلينتون.. وربما كانت هذه القوة من أسرار شخصيتها..التى تجعل الكثيرين فى أمريكا يدفعونها للترشح فى انتخابات الرئاسة الأمريكية القادمة فى أواخر ٢٠١٦.

تعترف هيلارى كلينتون فى مذكراتها بأن أكثر من مليونين من المصريين خرجوا فى يوم ٣٠ يونيو ٢٠١٣ يطالبون بإسقاط محمد مرسى الرئيس الإخوانى الأسبق وتقول هيلارى كلينتون فى أحاديثها عن ذكرياتها خلال ثورات الربيع العربى.. المتداولة على الإنترنت إن القوات المسلحة المصرية وقفت إلى جانب الشعب المصرى.. الذى خرج فى ثورة غضب كبرى يطالب بإسقاط حكم الإخوان.. واعترفت بأن ثورة ٣٠ يونيو أفسدت المخطط الأمريكى الواسع مع جماعة الإخوان.. لإعلان دولة إسلامية فى سيناء.. تنضم إلى جماعة حماس فى غزة.. مع تقديم جزء آخر من سيناء لإسرائيل.. لضمان حمايتها وحماية أمنها!!

وتقول هيلارى فى حديث الذكريات المسموم.. إن واشنطن اكتشفت فجأة أن كل شىء تغير فى مصر خلال أقل من ٧٢ ساعة.

موعد المؤامرة

كان الاتفاق مع جماعة الإخوان أن يتم إعلان الدولة الإسلامية فى سيناء بالتحديد يوم ٥ يوليو ٢٠١٣ وكانت أمريكا فى انتظار الإعلان كى تعترف بها فورا مع دول أوروبا.. واعترفت هيلارى فى هذا الحديث السام أن إدارة الرئيس الأمريكى أوباما.. فكرت فعلا فى استخدام القوة.. لكنها أدركت سريعاً أن مصر

ليست سوريا أو ليبيا وأن الجيش المصرى قوى للغاية.. ولن يتخلى عنه الشعب ويتركه وحده.. وحين تحركت بعض من قطع الأسطول الأمريكى تجاه الإسكندرية.. فوجئت بالغواصات المصرية.. تتحرك سريعا.. وحدث مرة أخرى حين تحركت السفن الحربية الأمريكية.. تجاه سواحل مصر على البحر الأحمر.. أن ظهرت طائرات الميج ٢١ المصرية.. تحلق فى السماء على ارتفاع منخفض للغاية.. على مدى أكثر من ٢٥ دقيقة.. ولم تختف الطائرات المصرية من الجو.. إلا حين رحلت السفن الحربية الأمريكية بعيدا وفى نهاية حديث الذكريات.. الذى انكشف مؤخرا فى واشنطن.. تعترف هيلارى بأن إدارة الرئيس الأمريكى أوباما لا تعرف حتى الآن كيف يمكن أن تتعامل مع مصر.. وقواتها المسلحة؟!

فقد أدركنا.. أننا إذا استخدمنا القوة خسرنا مصر.. وإذا تركنا مصر.. خسرنا أهم دولة فى العالم العربى والإسلامى.. فقد كانت خطتنا تقوم على أساس السيطرة على مصر.. عن طريق جماعة الإخوان العميل القديم للأجهزة السرية الأمريكية.. وتقسيمها بعد ذلك.. كما يجرى الآن فى العراق وسوريا واليمن وليبيا..

الاختيارات الصعبة

تتحدث هيلارى فى مذكراتها بأسلوب امرأة تبحث لنفسها عن مستقبل فى قمة السياسة الأمريكية..ولذلك يبدو صعبا أن تروى قصة مؤامرة سرية.. تفضح الولايات المتحدة وسياساتها حول العالم.. وإن كان وجه السياسة الأمريكية يبدو ملطخا وملوثا بالفضائح دائما.. فى كل عصر.. وفى كل مكان حول العالم.. وحتى داخل الولايات المتحدة ذاتها.. وربما كانت الفضائح جزءا من وجود الإمبراطورية الاستعمارية الأمريكية.

مع المشير طنطاوى

تتحدث هيلارى كلينتون عن لقائها مع المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع ورئيس المجلس الأعلى للقوات المسلحة.. والذى أصبح قائما بعمل رئيس الجمهورية.. بعد تنازل الرئيس حسنى مبارك عن السلطة.. وتؤكد أن المشير طنطاوى.. تعهد أمامها بانتقال ناعم للسلطة فى مصر.. لتتولى المسئولية.. حكومة مدنية منتخبة ديمقراطيا.

تقول.. حين التقيت بالمشير طنطاوى.. كان يبدو مرهقا للغاية.. ولأول وهلة بدا

أنه يرفع رأسه بصعوبة..وكان واضحا أنه يتصرف كجندى محترف ملىء بالوطنية..ملتزم بثقافته العسكرية.. لكنه كان أيضا يشعر بعدم ارتياح بالغ.. لاعتماد مصر على المساعدات العسكرية الأمريكية.

وكان يشعر أيضا بمدى خطورة التهديدات السياسية والاقتصادية التى تواجه مصر.. وقواتها المسلحة..وحين تحدثت السيدة هيلارى إلى المشير طنطاوى عن التحول الديمقراطى الناعم.. فوجئت بالرجل المجهد.. يتمتع بيقظة ذهنية عالية ويختار كلماته بعناية.. لأنه كان يدرك أنه يواجه موقفا صعبا.. يسعى من خلاله لإنقاذ بلاده مصر.. من المخاطر التى ترتبت على انهيار نظام مبارك.

وتعترف هيلارى بأن المشير طنطاوى لم يحنث بوعده وأشرف على إجراء انتخابات رئاسية.. فاز فيها مرشح الإخوان محمد مرسى.. ورغم أن المشير طنطاوى كان يكره نتيجة الانتخابات سياسيا ووطنيا.. فإنه فى النهاية لم يقف ضدها.

المصالح أولا

وتروى وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة..كيف أن الدبلوماسية الأمريكية..حاولت أن تمشى على أطراف الأصابع.. من أجل تعزيز مصالح الولايات المتحدة الأمريكية فى مصر.. دون أن تبدو أمريكا منحازة إلى طرف ما فى انتخابات الرئاسة.. رغم أن صعود الإخوان فى المفهوم الأمريكى كان مفضلا ومنتظرا.. وبسرعة أصبح وجه أمريكا الحقيقى مكشوفا فى الشارع السياسى المصرى.. وتعرضت الولايات المتحدة للاتهام من البداية بأنها تآمرت مع جماعة الإخوان لإسقاط مبارك..والدفع بالإخوان إلى قمة السلطة فى مصر.. وتعترف السيدة هيلارى بأن نظرية المؤامرة انتعشت سريعا فى مصر.

الثورة ضد مرسى

تحكى هيلارى كيف أنها عادت لزيارة مصر بعد صعود محمد مرسى للسلطة.. لتجد مظاهرات الغضب مشتعلة فى كل مكان ضد الإخوان.. وتجمع الآلاف حول الفندق الذى تقيم فيه بالقاهرة..وتقول لقد دخلت بسيارتى إلى جراج الفندق من باب خلفى.. بعد أن حاصروا سيارتى من كل اتجاه.. وتعترف بأنها صعدت إلى حجرتها بالفندق بصعوبة بالغة.. ظلت الجماهير الغاضبة تهتف ضد أمريكا وسياساتها طوال الليل.. لدرجة أن فريق الأمن والحرس الأمريكى الخاص بها فكر فى إخلاء الفندق من جميع النزلاء.. لضمان سلامة السيدة هيلارى.. وكانت ليلة طويلة وقاسية.

بين الحذاء والطماطم

وحين توجهت هيلارى إلى الإسكندرية لافتتاح مبنى القنصلية الأمريكية بعد تجديده.. فوجئت بمظاهرات أشد عنفا.. وتعرضت المتحدثة باسمها ثوريا نولاند للرشق بالطماطم فوق رأسها.. وقام واحد من المتظاهرين بخلع حذائه ودق به على نافذة سيارة السيدة هيلارى.. فى احتجاج صارخ ضد أمريكا ومؤامراتها الواضحة مع الإخوان ضد مصالح مصر.. الدولة والشعب.

واعترفت هيلارى أيضا بالقلق تجاه مخاطر التحول الديمقراطى فى مصر.. خصوصاً بعد أن حاول محمد مرسى الانفراد بالسلطة المطلقة.. بإعلان دستورى بائس.. وتؤكد أن مرسى وجماعة الإخوان فشلوا فى ممارسة السلطة بالشفافية المطلوبة.. وبأسلوب يشمل جميع المصريين بلا إقصاء.. وسرعان ماحدث الصدام بين مرسى ومؤسسة القضاء.. ثم الإعلام والصحافة ولم يخف سعيه إلى تهميش كل معارضيه.. بدلا من أن يقيم نوعا من الوفاق الوطنى من حوله.. ولم يفعل الإخوان شيئا لتحسين الاقتصاد.. وتسامح بغرابة شديدة مع الجرائم المنظمة التى ارتكبها المتطرفون ضد الأقليات.. خصوصاً المسيحيين.

وتقول هيلارى: إن السياسة والقرارات السياسية فى جوهرها هى فن التوازن.. ولكن حين صعد الإخوان للسلطة لم يعد فى السياسة الأمريكية مكان للتوازن.. ولم يبق أمامنا اختيارات جيدة.. فقد كانت كل الاختيارات سيئة.. خصوصاً حين خرج المصريون بالملايين فى احتجاجات غاضبة لم يسبق لها مثيل يطالبون بإسقاط حكم الإخوان.. واضطرت القوات المسلحة المصرية للتدخل للمرة الثانية.. ورأت الجماهير المصرية فى وزير الدفاع الجديد.. عبدالفتاح السيسى الذى يمكنه إنقاذ مصر.. كان واضحاً أن الشعب المصرى قد تعب من الفوضى.. ويريد العودة للاستقرار.

العالم السرى للإمبراطورية الأمريكية

تعيش مصر حالياً فى مرحلة إعادة بناء دولة الوطنية والسيادة وهى مرحلة دقيقة وشديدة الصعوبة وليس سهلاً أن نسعى للبناء والتنمية ونحن نواجه حرباً شرسة من عصابات الإرهاب.. الجماعة والميليشيات.. لكن لا يوجد أمام بناة الدولة الوطنية فى مصر أى بديل آخر.. ولن تقوم دولة السيادة والوطنية من جديد فى مصر إلا على أكتاف الأقوياء من رجال مصر فى المؤسسات السياسية والسيادية وفى مختلف أجهزة الأمن القومى ويدرك المواطن المصرى حالياً أن بلاده تواجه أخطر التحديات والأعباء وأسوأ الأعداء ولا شك فى أن الحفاظ على الأمن القومى لدولة مثل مصر فى هذا الجزء من العالم يبدو مهمة ثقيلة وبالغة الصعوبة.. ويبدو أحياناً أننا لم ندرك أو لم نعترف بما يكفى بأن دول وشعوب العالم العربى قد سقطت فى بئر بلا قاع اسمها العالم السرى لأجهزة المخابرات والأجهزة السرية للإمبراطورية الأمريكية والأوروبية فى أوائل القرن الجديد.

ليس سهلاً أن تفاجئنا جرائم الإرهاب ثم يلوذ المجرمون بالفرار.. ليس سهلاً أن نتعرض لصدمة المؤامرات والجرائم الدموية حتى فى مباريات كرة القدم وتتكرر مشاهد الموت والدم فى أرقى ما عرف الإنسان من نشاط حضارى. نطلق عليه اسم رياضة الأخلاق السامية لكنها مؤامرات الإرهاب والتطرف التى تريد القضاء على مشاهد الحياة الطبيعية فى بلادنا حتى تتحول حياتنا كلها إلى جريمة.

إن عصابات الإرهاب.. الجماعة وميليشيات الإجرام التابعة لها تتآمر على الدولة الوطنية ليس فقط من أجل وقف مسابقة لكرة القدم ولكن من أجل هدم مؤسسات الدولة وإصابتها بالشلل. ولذلك فإن الوقف المؤقت لمسابقة الكرة يدخل فى إطار الحداد والحزن ولكن وقف وإلغاء المسابقة يحقق أهداف جماعة الإرهاب والإجرام ويحقق الهدف النهائى للمؤامرات الشيطانية ضد مصر الدولة والشعب.

الحرب السرية

وقد اعترف كبار المسئولين الأمريكيين مؤخراً بأن الولايات المتحدة الأمريكية إمبراطورية عظمى تعتمد على الأجهزة السرية وعلى العمليات الخفية فى تحقيق أهداف الأمن القومى الأمريكى حول العالم، ويؤكد المسئولون الأمريكيون بوضوح أن العمليات السرية التى تقوم بها أجهزة المخابرات الأمريكية حول العالم هى التى تؤدى فى النهاية إلى إسقاط دولة معادية لأمريكا وإقامة حكومات عميلة لأمريكا وتغيير سياسات الدول والحكومات بما يخدم أهداف وأطماع الإمبراطورية الأمريكية حول العالم.

يتحدث الأمريكيون حالياً بسخرية عن محاولات كل من صدام حسين ومعمر القذافى التصالح مع الإمبراطورية الأمريكية خصوصاً بعد هزيمة صدام فى حرب تحرير الكويت لكن واشنطن فى عصر الهيمنة الأمريكية المطلقة رفضت التعاون مع من رأت فيهم أعداء سابقين وكتبت لصدام والقذافى نهايات دموية لم تخطر لهما على بال.

بأقل الخسائر والمخاطر

ويعترف خبراء الأمن القومى فى واشنطن بأن العالم كله اليوم أصبح يعيش فى "العالم السرى" الذى صنعته أجهزة المخابرات والمعلومات الأمريكية والأوروبية وأصبحت الولايات المتحدة اليوم تفضل اللجوء للعمليات السرية لتحقيق أهداف السياسة الخارجية الأمريكية بأقل الخسائر والمخاطر وبأقل التكاليف. وهناك من يقولون صراحة إن الانتصار الكبير الذى تحقق للولايات المتحدة خلال الحرب الباردة تحقق بالعمليات السرية لأجهزة المخابرات الأمريكية فى أفغانستان وداخل الاتحاد السوفييتى السابق ذاته!

وتتحدث الصحافة وشبكات التليفزيون الأمريكية صراحة عن حاجة الولايات المتحدة الدائمة لحلفاء وشركاء استراتيجيين حول العالم للتعاون فى مجالات الحرب السرية أو حرب الأشباح التى تحقق أهداف السياسة الأمريكية وتعزز المصالح والأطماع الأمريكية حول العالم خصوصاً فى العالم العربى. ومن الواضح أن جرائم الإرهاب المتصاعدة فى مصر هذه الأيام ليست إلا جزءا بالغ الخطر من حرب الأشباح التى تديرها وتمولها الأجهزة السرية الأمريكية ضد دول وشعوب العالم العربى فى العراق وسوريا واليمن وليبيا وحتى مصر.

مراجعة الحسابات

وحين راجعت الإمبراطورية الأمريكية حساباتها مؤخراً اكتشفت أن تكاليف الحرب والغزو فى أفغانستان والعراق كانت باهظة عسكرياً وسياسياً وحتى مالياً، وبلغت التكاليف المالية وحدها أكثر من أربعة آلاف مليار دولار، فى حين أن حرب الأشباح والعمليات السرية التى حققت لأمريكا النصر فى الحرب الباردة على الإمبراطورية السوفيتية لم تتكلف أكثر من ٣ مليارات دولار فقط لا غير ودون خسائر فى الأرواح الأمريكية.

وبعد أن أعلن الرئيس الأمريكى باراك أوباما الاستراتيجية الجديدة للأمن القومى الأمريكى انطلق الحوار فى الصحافة الأمريكية مفتوحاً وصريحاً حول الطرق والوسائل التى يمكن أن تحقق بها أمريكا النصر في الحروب السرية الجديدة التى تخوضها ضد روسيا والصين أحياناً وضد دول وشعوب العالم العربى دائماً!!

أعباء وطنية ثقيلة

وإذا كان هذا هو جوهر العقل السياسى الأمريكى فى أوائل القرن الجديد فلابد أن ندرك أن أجهزة الأمن القومى المصرية تتحمل اليوم أعباء ثقيلة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ أى أمة أو دولة ومنذ سقوط الاتحاد السوفييتى السابق والإمبراطورية الأمريكية تبحث لنفسها عن عدو جديد فوق كوكب الأرض. وفى النهاية تفتق العقل السياسى الأمريكى عن اصطناع الخطر الإسلامى واصطناع الإرهاب جماعته وعصاباته بهدف تدمير العالم العربى وإسقاط الدولة الوطنية فى أى عاصمة عربية.

وحين أصدرت السيدة هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية مذكراتها بعنوان "اختيارات صعبة" صدرت أيضا فى واشنطن سلسلة من الكتب الجديدة التى هزت الأرض تحت أقدام صناع السياسة الأمريكية وتحت أقدام صناع القرار بالبيت الأبيض ومنها كتاب رهيب ومثير للمشاعر ضد أمريكا وسياساتها حول العالم صدر للدبلوماسى الأمريكى السابق ويليام بلوم تحت عنوان "صادرات أمريكا الأشد قتلاً" وهى الديمقراطية.

تتحدث هيلارى كلينتون فى مذكراتها عن مفاجأة ثورات الربيع العربى باعتبارها من التطورات السياسية التى أذهلت صناع القرار فى واشنطن مع أنها فى الكثير من الأحيان وفى الكثير من السيناريوهات كانت أشبه بالمفاجأة المنتظرة فى واشنطن.

يقول ويليام بلوم فى كتابه المستفز إلى درجة الصدمة الكاملة إن الولايات

المتحدة الأمريكية هى إمبراطورية الشر الحقيقية فى العالم أو هى دولة الشر ودولة الشياطين. ويؤكد أنه ليس صحيحاً أن الهدف الأساسى للسياسة الخارجية الأمريكية هو تصدير الديمقراطية ونشر الحريات حول العالم لأن أمريكا الواقع تقوم باستغلال الديمقراطية والحريات والحديث الرافض عنها لتكون وسيلة فعالة لإسقاط الدول والحكومات التى ترفض الاستسلام للهيمنة الأمريكية والاستسلام لنموذج السوق الحرة والرأسمالية الأمريكية.

يقول ويليام بلوم إن أحاديث الديمقراطية والحريات التى تتردد فى واشنطن هى من أكبر أكاذيب أمريكا فى التاريخ وهل يعقل أن يموت أكثر من مليونى عراقى بنيران الطائرات والصواريخ الأمريكية خلال جريمة الغزو والاحتلال بدعوى نشر الديمقراطية وإسقاط الديكتاتور صدام حسين؟!

وفى النهاية تم إسقاط الدولة الوطنية الموحدة فى العراق ربما إلى الأبد، فى الماضى كنا نتألم بشدة من الاستعمار البريطانى والفرنسى فى العالم العربى، لكن جرائم الاستعمار الأمريكى فاقت كل تصور فقد تحولت آلة الحرب الأمريكية إلى وحش كاسر لا يعرف الرحمة.

ويتساءل: من الذى يمكنه تهديد سيطرة أمريكا على العالم؟! ومن الذى يمكنه أن يتحدى هيمنة الإمبراطورية الأمريكية؟! ويؤكد أنه لا يوجد سوى روسيا والصين لكنهما ليستا من الدول الاستعمارية وحتى الاتحاد السوفييتى ذاته لم يكن قوة استعمارية لكنه كان يمثل فى الواقع إمبراطورية الدفاع عن النفس.

وقد صدر منذ أيام فى واشنطن كتاب جديد بعنوان "الحرب على بوتين" يكشف كيف أصبح فلاديمير بوتين خلال أيام هو التجسيد الحى لعدو أمريكا الأول لمجرد أنه دافع عن مصالح روسيا الإقليمية الحيوية فى أوكرانيا حين قام بضم شبه جزيرة القرم لروسيا.

يؤكد الأمريكى ويليام بلوم أنه على مدى القرن العشرين كله قامت القوى الكبرى فى أوروبا وحتى الولايات المتحدة باستغلال منطقة شرقى أوروبا لتطويق وغزو روسيا وحدثت هذه المؤامرة ثلاث مرات والمؤامرة الرهيبة الحالية فى أوكرانيا واحدة منها.

وقد تعرض عشرات الملايين من الروس للموت خلال الحربين العالميتين الأولى والثانية وبعد سقوط ألمانيا النازية لم يكن غريباً أن تلجأ روسيا إلى إغلاق بوابة الغزو التى تهب عليها من أوروبا الشرقية ولذلك وصلت الجيوش السوفيتية حتى بولندا على بحر الشمال فى أقصى غربى أوروبا.

ومنذ انتهاء الحرب الباردة سعت أمريكا لحصار روسيا الاتحادية بالقواعد العسكرية وبالنظم السياسية المعادية لموسكو بما فى ذلك أوكرانيا درة الإمبراطورية الروسية فى العصر الحديث كله وقد كانت مدينة كييف هى العاصمة القديمة لروسيا فأين ذهب التاريخ ومن أين سيأتى المستقبل؟!

لم تخف أمريكا أهدافها وأطماعها وقامت بحصار روسيا بشبكات الصواريخ المضادة للصواريخ فى بولندا وإيطاليا ورومانيا والتشيك وفتحت أبواب حلف الأطلنطى لضم دول وجمهوريات الاتحاد السوفيتى السابق لاقتناص أوكرانيا.

واليوم تريد الإمبراطورية الأمريكية خلع واقتناص أوكرانيا من محيطها الروسى القريب وتدمير وحدة الشعوب السلافية وطرد الأسطول الروسى نهائياً من البحر الأسود، ولذلك حين وقع الانقلاب الأخير فى كييف لم يتردد الرئيس الروسى فلاديمير بوتين فى العودة لفرض السيطرة الروسية على شبه جزيرة القرم فى لعبة سياسية شديدة الخطر لأن البديل هو أن تخرج روسيا من القرم ليحل الأسطول الأمريكى محل الأسطول الروسى فى ميناء سيباستبول على البحر الأسود.

وانكشف الوجه القذر لعمليات الاغتيال والقتل والجرائم السياسية الدموية التى وقعت فى كييف خلال عملية التمرد الأخيرة واتضح أن انقلاب كييف جزء من استراتيجية أمريكا لتغيير نظام الحكم فى أوكرانيا وقد تم كل ذلك بمعرفة أجهزة المخابرات الأمريكية فى حرب سرية شيطانية استهدفت تغيير خريطة روسيا وأوروبا كلها.

وكل هذا يؤكد حقيقة الصراع العالمى وبعد أن نجحت المؤامرة الأمريكية لتغيير النظام فى أوكرانيا تحدثت مجلة «نيوزويك الأمريكية» عن ضرورة تغيير النظام فى روسيا ذاتها. والعقوبات الاقتصادية الأمريكية ضد روسيا تبدو جزءاً من هذه الاستراتيجية وأداة أساسية فيها.

وهكذا انكشف الوجه القذر للعقل السياسى الأمريكى القائم على استراتيجية تغيير أنظمة الحكم حول العالم حسب المصالح والأهداف والأطماع الأمريكية.

أجهزة ناعمة

وأصبح لدى مؤسسات وأجهزة الأمن القومى والمخابرات الأمريكية أجهزة ناعمة جرى إنشاؤها فى عصر الرئيس الأمريكى الأسبق رونالد ريجان بدعوى نشر الديمقراطية والحريات حول العالم وهى فى الواقع أقوى الأجهزة السياسية

الأمريكية التى تقود العمليات القذرة لتغيير أنظمة الحكم فى الدول المعادية لسياسة أمريكا الخارجية، ومن هذه المؤسسات الأمريكية الشيطانية الناعمة مؤسسات مثل فريدم هاوس ومؤسسة إنداومنت للديمقراطية وأسماء أخرى كثيرة لمؤسسات وهيئات أمريكية تدعى أنها هيئات غير حكومية مع أن كلاً منها تحصل على تمويل من الحكومة الأمريكية يزيد على خمسة مليارات من الدولارات سنوياً.

وقد قامت هذه الهيئات الأمريكية بتمويل عشرات الجمعيات والجماعات السياسية فى أوكرانيا بعد السقوط السوفييتى بدعوى حماية حقوق الإنسان والحريات ونشر الديمقراطية مع أن الهدف هو إسقاط الدولة الوطنية فى أوكرانيا وفصل أوكرانيا ذاتها عن محيطها الروسى فى جراحة سياسية خطيرة تهدد استقرار أوروبا كلها. ولم يتردد نائب الرئيس الأمريكى جوبايدن فى أن يقول إن أمريكا لن تسمح لروسيا بإعادة رسم خريطة أوروبا.

وكتب كارل جريشام رئيس إحدى منظمات نشر الديمقراطية الأمريكية فى ٢٠١٣ يقول إن أوكرانيا هى أكبر جائزة فازت بها أمريكا فى الصراع مع روسيا. واعترف بأن منظمتي فريدم هاوس وإنداومنت للديمقراطية هى التى أشرفت على إطلاق ثورة الورود فى جورجيا فى ٢٠٠٣ والثورة البرتقالية فى أوكرانيا فى ٢٠٠٥ وثورات الربيع العربى فى تونس ومصر وليبيا وسوريا ويبدو أن الحرب الباردة لم تنته مطلقاً.

ويتساءل البعض عن السر الذى يمكننا من خلاله فهم واستيعاب السياسة الخارجية الأمريكية وأهدافها ويقول ويليام بلوم إنه فى الواقع لا يوجد سر أو أسرار فى السياسة الأمريكية.. لأن الولايات المتحدة تريد ببساطة فرض سيطرتها على العالم.. بشتى الوسائل.. بما فى ذلك.. قوة السلاح.

السجل الأسود

والسجل الأسود للسياسة الأمريكية.. يفضح الوجه القبيح للولايات المتحدة.. التى تدخلت بالعمليات السرية.. وأحيانا بالحرب وقوة السلاح لتغيير نظم الحكم فى أكثر من ٥٠ دولة حول العالم.. منذ الحرب العالمية الثانية.. وحتى اليوم والحرب السرية التى تكتوى بها دول مثل سوريا وليبيا واليمن.. وحتى مصر.. ليست إلا جزءا من الوجه الأسود للسياسة العالمية لأمريكا.

ولم تتردد أمريكا فى التدخل سرا ومن وراء الكواليس لتزييف وتغيير نتائج الانتخابات الديمقراطية فى أكثر من ٣٠ دولة.

ولم تتردد أمريكا والمخابرات الأمريكية فى التخطيط لقتل واغتيال أكثر من ٥٠

رئيساً وزعيما من قادة وزعماء الحركات والحكومات الوطنية حول العالم.. ومنهم الرئيس جمال عبدالناصر وذات يوم سوف يتم فى واشنطن كشف الأوراق السرية لجريمة اغتيال الرئيس السادات.

ومنذ نهاية الحرب العالمية الثانية.. وحتى اليوم قامت أمريكا بالحرب والتدخل العسكرى فى عشرين دولة.. مما أدى لمصرع ملايين الأبرياء فى كوريا وفيتنام وأفغانستان والعراق.

وأصبحت السياسة الأمريكية موضع كراهية واحتقار بين مختلف دول العالم الثالث.. وحتى بين الدول الحليفة لأمريكا فى فرنسا وألمانيا وإيطاليا وإسبانيا.. وحتى بريطانيا.. الذيل الأبدى للإمبراطورية الأمريكية.

بين الكراهية والخوف

وذات يوم.. قال أحد قياصرة روما.. دع أعداءنا يكرهوننا.. ما داموا يخافوننا»!!

وبعد صمت الرأى العام العربى على جرائم الغزو الأمريكى لأفغانستان والعراق.. قال جيمس ويلزى مدير جهاز المخابرات المركزية الأمريكية.. إن الصمت العربى يؤكد مدى خوف العرب من أمريكا.. وطالب الصحفيين الأمريكيين بالعودة لقراءة المؤلفات الشيطانية لفيلسوف السياسة فى كل العصور.. الإيطالى نيكولو ماكيافيللى.

وتقول هيلارى كلينتون فى مذكراتها.. إن الولايات المتحدة مارست ضغوطا هائلة على الرئيس الأسبق حسنى مبارك.. حتى أذعن للقبول بالتنازل عن الرئاسة بعد ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ ورغم أن مصر.. كانت تبدو على شفا حفرة من الاضطرابات والفوضى قبل الثورة بسبب غضب المواطن من دولة حسنى مبارك.. فإن أمريكا لم تكن تهتم بمصلحة المواطن المصرى.. بقدر اهتمامها بأن تؤدى الثورة فى مصر إلى صعود القوة السياسية المنظمة الوحيدة فى ذلك الوقت لقمة السلطة.. وهى جماعة الإخوان الإرهابية.. العميل القديم لأمريكا.. وانحازت أمريكا لمصالحها مع الإخوان.. ومازالت تقدم الدعم والتمويل للجماعة حتى الآن.. عبر القنوات السرية العربية والأوروبية والتركية.. والأمريكية المؤامرة رهيبة.

وحين تكون الجائزة هى مصر.. يمكن لأمريكا أن تتحالف مع شياطين الجماعة وشياطين الإرهاب فى كل مكان.. وهذا هو المعنى الحقيقى لحروب الأشباح.. التى تديرها أمريكا فى العالم العربى.

إن صمود مصر الطويل فى هذه المعركة.. هو مفتاح النصر بإذن الله.

المؤامرة على مصر.. حصار اقتصادى غير معلن

مصـر.. تواجه تحديات مصيرية كبـرى.. سوف تحدد مستقبل الشعب.. والدولة الوطنيـة.. والمنطقـة العـربيـة بكاملهـا.. لم يعـد هنـاك وقت أو فـرص يمكن أن تضيع.. لم يبق لدينا سوى نوافذ الأمل.. المعلقة بقوة الإرادة الوطنيـة.. وبسواعد الرجـال.. وبقوة العقـول التى تفكر.. وتخطـط.. وتتخـذ القـرار الـوطنى.. تدرك معانى وقيمة الجهد والعرق والدم.. وسعة الصدر والصبر.

الصحافـة الأمـريكية والبـريطانيـة.. والإسـرائيليـة.. تنشـر الأكاذيب والمعلومات المغلوطة عمداً.. ومع سبق الإصـرار والتـرصد.. ويتسـاءل كبـار الصحفيين فى لندن.. فى دهـاء وخـبث.. وهـم يقـولون.. كـيف يمكن لمصـر أن تعـيـد بنـاء اقتصـادهـا.. فى عصـر الإرهـاب والفوضى الشـاملـة فى الشـرق الأوسط والعـالم العربى؟!

كيف يمكن للرئيس عبدالفتـاح السـيسى.. أن يحقق حلم مصـر الكبيـر.. القـوة الإقليـميـة العربيـة والإفـريقـيـة الأولى؟! بل وهـنـاك من يتسـاءلون صـراحـة: هل الرئيس السيسى يريد اختراع زمن عبدالناصر؟!

وتتساءل الصحافة الأمريكية والأوروبية صراحة.. كيف يمكن للرئيس عبدالفتاح السيسى أن يحقق مشروعه القومى لمصر.. فى زمن الأزمات العالمية الاقتصادية والسياسية.. التى لم يسبق لها مثيل؟!

وذكـرت لومـوند الفـرنسـيـة.. فيـمـا يشبـه الاعـتـراف بسينـاريـو المؤامـرات العـالميـة والإقليـميـة.. ضـد وجـود واسـتـقـرار دول العـالم العـربى.. وأكدت أن العـالم فى العـصـر الجـديد.. تشابكت فـيـه المصـالح وتصـارعت.. ولابد أن تتـغـيـر خـريطة العـالم العـربى.. بما يعـكس صـراع المصـالح الـرهيب القـادم فـى القـرن الحـادى والعـشـرين.. بين الإمـبـراطورية الأمـريكيـة.. ومنهـا أوروبا من جـهـة.. والصـين الصاعدة.. ومعها روسيا التى تحاول العودة من جهة أخرى؟!

لم يعد للعرب وجود سياسى حقيقى فى هذا الصراع.. إن كانت أراضيهم الواسعة.. قد أصبحت هى الساحة المفتوحة لهذه الصراعات.. فى هذا المناخ السام من الطبيعى أن يختفى الوجود الجغرافى لدول عربية كبرى كانت ملء السمع والبصر.. مثل العراق وسوريا وليبيا واليمن.. وفى النهاية وجدنا هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى الأسبق يقول: إن هذه الدول.. توقفت عن الوجود.. أو أصبحت عاجزة عن العمل.

هذا هو التحدى

إن التحدى التاريخى الأكبر الذى يواجه مصر حالياً هو أن تتمكن من إعادة بناء كيانها واقتصادها.. فى زمن الأزمات العالمية.. والمؤامرات العالمية والإقليمية.. والصراعات المفتوحة التى تتعارض فيها المصالح.. حتى بين الحلفاء فى أمريكا وأوروبا وإسرائيل وتركيا.

وقد تابعت الصحافة العالمية رحلة الرئيس السيسى الآسيوية.. ساعة بساعة تقريباً.. وهم يقولون إن الرئيس المصرى الصاعد.. يريد اختراع المعجزة الاقتصادية فى اليابان وكوريا الجنوبية.. داخل مصر.. بل ويريد توطين التكنولوجيا ورءوس الأموال.. فى شرايين الاقتصاد الوطنى لمصر.. وسط هذا الجحيم اللا نهائى للإرهاب والفوضى فى العالم العربى.

ويتحدثون حالياً بصراحة مطلقة.. عن انهيار الدولة السورية.. تحت نيران عصابات الإرهاب والفوضى.. باعتبار أن ذلك أتاح لدولة إقليمية مثل تركيا.. أن تعيد فتح ملفات أطماعها القديمة فى سوريا والعراق.. باعتبار أن حلب.. تركية أو يجب أن تعود تركية.. كما أن الموصل وكركوك.. أراض تركية قديمة.. من هنا.. فتحت تركيا حدودها واسعة أمام عصابات الإرهاب القَادمة من ٨٠ دولة.. حيث دخلت إلى أعماق أراضى سوريا والعراق.. حتى أوشكت دولتان من كبرى الدول العربية على الاختفاء التام.

ويقول البروفيسور الأمريكى جيمس بيتراس إن حروب الإرهاب والفوضى التى تجتاح العالم العربى.. ليست لغزاً غامضاً.. لأنها مؤامرة كبرى خططت لها الولايات المتحدة.. مع دول الاتحاد الأوروبى.. بالتعاون مع تركيا وقطر وآخرين بالخليج. وكشفت الملفات السرية لوزارة الدفاع الأمريكية مؤخراً.. أن جنرالات البنتاجون.. اعتبروا أن ظهور تنظيم داعش الإرهابى فى العراق وسوريا.. تم بتخطيط واسع للقيادة المركزية الأمريكية.. التى رأت فى هذا التنظيم الإرهابى المتوحش.. القوة الشيطانية التى يمكنها أن تسقط دولة بشار الأسد فى دمشق.

التسامح مع قطر

وفى هذا الإطار تم التسامح مع قيام قطر بتمويل التنظيم.. وحصلت تركيا على الضوء الأخضر.. لدعم التنظيم بالسلاح والرجال، ووصف جنرال أمريكى سابق تنظيم داعش الإرهابى.. بأنه واحد من أفضل مبتكرات حروب الجيل الرابع.. وهى الحروب السرية القذرة التى تستهدف إسقاط الدول وتصفية وجود الشعوب.

ولم يكن مثيرا للدهشة أن تؤكد مجلة ألمانية كبرى منذ أيام أن تنظيم داعش الإرهابى.. لا يشكل تهديدا.. لوجود أمريكا وأوروبا.. وإن كان يهدد وجود بعض الدول العربية.. وطالبت المجلة.. بمعالجة القضية.. باعتبارها أزمة عربية أولاً.

شياطين العداء

وأصبحت القوات المسلحة المصرية أحياناً وفجأة.. هى العدو.. لبعض القوى الأجنبية.. وهى بالتأكيد العدو.. لعملاء هذه القوى الأجنبية.. خصوصاً داخل جماعة الشيطان الإرهابية ومازالت الصحف الأوروبية المعتدلة فى روما وباريس.. تتحدث عن الحماقات الإرهابية لجماعة الإرهاب التى دفعت القوى الشعبية فى مصر إلى التحالف مع القوات المسلحة المصرية.. حتى صنعت يوما من أعظم أيام مصر فى العصر الحديث كله.. هو يوم الثلاثين من يونيو٢٠١٣ حين وقف الشعب والقوات المسلحة ضد المشروع الإرهابى الفوضوى لجماعة الإخوان فى مصر.

وذكرت صحيفة إيطالية منذ أيام أن احتفاظ مصر.. بقوات مسلحة وطنية وقوية.. كتب لها النجاة.. من مخططات ومؤامرات شياطين الإرهاب والفوضى فى الشرق الأوسط.. ومراكز قياداتهم.. فى تركيا وقطر ولندن.. وحتى فى واشنطن.. وفى عواصم أوروبية أخرى هادئة.. هدوء شياطين اللهب والفحم!!

ويبدو أن الذين فشلوا فى هزيمة مصر بالإرهاب والفوضى.. يريدون.. إلحاق الهزيمة بمصر اقتصاديا.. بأساليب قذرة قديمة للحروب السرية.. وبتوجيه الضربات القاسية تحت الحزام.. كما حدث فى حادث إسقاط طائرة الركاب الروسية فوق سيناء.. وكان الهدف.. هو تدمير صناعة السياحة فى مصر التى تشكل ١٣٪ من حجم الدخل القومى.. بواقع ١٤ مليار دولار و١٥ مليون سائح.

الوجه القبيح

وذات يوم.. سوف ينكشف الوجه القبيح لجهاز المخابرات البريطانى "إم ـ آى سيكس" فى حادث إسقاط الطائرة الروسية.. ولم تكن صدفة أن يدعى ديفيد كاميرون رئيس الوزراء البريطانى.. أن لديه معلومات أكثر عن سقوط الطائرة فى حادث إرهابى.

وتؤكد كل المقدمات والمعطيات أن مصر تواجه ما يشبه الحصار الاقتصادى الدائم.. منذ منتصف السبعينيات وحتى اليوم.. ومن أعراض هذا الحصار السام الأساسية.. عزوف الاستثمارات ورءوس الأموال العالمية عن التدفق إلى مصر.. رغم ما قامت به مصر.. من إصلاحات واسعة وشاملة فى نظامها الاقتصادى.. من اقتصاد الدولة.. إلى اقتصاد السوق.. وجرت عملية خصخصة واسعة للمؤسسات والشركات التابعة للقطاع.. فيما يشبه التصفية النهائية.. وتغيرت القوانين فى مختلف العصور.. بما يجعل من مصر سوقا مفتوحة فعلا لتدفق الاستثمارات والتكنولوجيا.

فريق الأحلام

وذات يوم وصفت مجلة نيوزويك الأمريكية وزراء المجموعة الاقتصادية فى حكومة الرئيس الأسبق مبارك الأخيرة.. د. محمود محيى الدين ويوسف بطرس ورشيد محمد رشيد بأنهم فريق الأحلام.. القادر على صنع واختراع آليات اقتصاد السوق فى مصر.. وبعدها بأسابيع فوجىء العالم بآليات ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ وتحولات الربيع العربى الكبرى.. وما تلاها من الانتشار الواسع لحروب الإرهاب والفوضى فى العالم العربى.

ويتحدث خبراء البنك الدولى وصندوق النقد الدولى عن أسطورة تدفق الاستثمارات والتكنولوجيا.. باعتبارها قراراً سياسياً.. يتم اتخاذه أولا فى الكواليس السرية لمؤسسات المال والأعمال الكبرى فى نيويورك وواشنطن.. وسويسرا.

ويؤكد بعض الخبراء أن عمليات نقل التكنولوجيا بالذات تتم بحسابات دقيقة للغاية.. بدليل.. أن أمريكا.. تسامحت مع انتعاش الاستثمارات فى تركيا على مدى عشر سنوات مضت.. لكنها رفضت تزويد تركيا بتكنولوجيا صناعة الطائرات المقاتلة.. أو حتى صواريخ باتريوت.

أحداث صغيرة.. ونداءات كبيرة

إننا ندرى.. مثلا أن حادث مصرع الشاب الإيطالى ريجينى.. وما فيه من أسرار وألغاز.. يستهدف أولا إفساد ما بين إيطاليا ومصر من علاقات اقتصادية واسعة.. خصوصاً بعد اكتشاف شركة إنبى الإيطالية لحقل الغاز الهائل فى المنطقة الاقتصادية المصرية بالبحر المتوسط.. وشركة إنبى.. تكاد تكون تابعة للدولة الإيطالية.

وذات يوم قريب سوف تسقط كل الأقنعة.. وسوف يكتشف العالم الأيدى الأجنبية والإرهابية القذرة فى هذا الحادث المأساوى.

كل هذا يعنى أن الهدف الحقيقى للضغوط التى تتعرض لها مصر.. ودول عربية كثيرة فى ضرورة القيام بإصلاحات اقتصادية.. لا تستهدف فى الواقع.. سوى نشر الفوضى وتكريس مفهوم الدولة الفاشلة.. وهذا يؤكد أن مشروع الإمبراطورية الأمريكية للهيمنة على العالم العربى.. لا يعرف الرحمة.. ولا يكترث لدماء ودموع ملايين الضحايا.. فى سوريا والعراق وليبيا.

استراتيجية قديمة

ويبدو أن استراتيجية خنق مصر اقتصاديا قديمة جدا.. ولن نتحدث عن سنوات الحصار الاقتصادى طوال عصرى السادات ومبارك.. حين كانت تحصل مصر على المساعدات والمنح.. وتتعرض لما يشبه الحرمان التام من الاستثمارات الواسعة ومشروعات نقل التكنولوجيا الجديدة.. فى عصر ما بعد الصناعة.

هناك بوضوح من يريدون لمصر أن تبقى تحت حصار الإرهاب.. فى ليبيا وسيناء وسوريا.. بالإضافة إلى حصار نقص الموارد الوطنية.. ومؤامرات خفض أسعار البترول.. بهدف إجبار دول الخليج العربى على الإحجام عن تقديم الدعم المالى لمصر.. فى هذه الظروف الصعبة.

وتتعرض مصر.. أيضاً لضربات ومؤامرات صغيرة.. حين تدعى شركات أمريكية عاملة فى مصر.. عجزها عن الاستمرار فى العمل.. بدعوى نقص الدولار والعملة الصعبة.. أو أن ترفض شركة طيران بريطانية التعامل بالعملة المصرية؛ بهدف المبالغة فى الضغط على موارد مصر من العملة الصعبة واختلاق أزمة مالية فى مصر.

قصة ٤٥ عاماً

ولن ننسى أن مصر.. على مدى ٤٥ عاما مضت.. قد قامت بكل الإصلاحات اللازمة لإقامة اقتصاد السوق الجاذب للاستثمارات ونقل التكنولوجيا.. وفى النهاية ذهبت الاستثمارات بعيدا.. إلى حيث تريد أمريكا.. فى اليابان وماليزيا

والصين وكوريا.. ولم تصل لمصر.. ببساطة لأن سيناريو المؤامرة يستهدف تركيع مصر.. وإسقاط الدولة الوطنية فيها بأى وسيلة.. بعد فشل مؤامرة جماعة الشيطان فى إسقاط مصر.. بالإرهاب والفوضى.

وربما أسوأ ما فى سيناريو المؤامرة على مصر.. أن المشروع الشيطانى لحصار وخنق مصر اقتصاديا.. غير معلن.. ولا يتحدث عنه أحد ولا يلوح به أحد.. لكن فقط.. نجد ظواهره وأعراضه واضحة فى رحيل الاستثمارات إلى أسواق بعيدة فى آسيا.. فى الهند والصين وماليزيا وكوريا وحتى إندونيسيا.

وتحدثت الصحافة الإسرائيلية منذ أيام عن سيناريو شيطانى جديد يستهدف تبديد فرصة السنوات العشر المقبلة.. وحرمان مصر والدول العربية من الاستثمارات والتنمية.

الرحلة الآسيوية

والمثير للدهشة أن يجرى الحديث عن ذلك.. بعد الخطاب التاريخى للرئيس عبدالفتاح السيسى... قبل جولته الآسيوية بساعات.. والذى تناول فيه استراتيجية مصر للتنمية المستدامة من ٢٠١٨ وحتى ٢٠٣٠.

قد نقول بطمأنينة كاملة.. إن بناء مصر الاقتصادى هو أصعب امتحانات التاريخ التى يتعرض لها المصريون فى العصر الحديث.. ولن تفلت فرصة التقدم من المصريين هذه المرة.. مهما كانت العقبات والمؤامرات.. والمخاطر والتهديدات.

لن تفرط مصر فى فرصة التقدم والتنمية.. المتاحة أمامنا حالياً.. تحت القيادة الوطنية الحكيمة للرئيس السيسى.. لأن حلم بناء مصر الاقتصادى.. ظل يراود المصريين فى العصر الحديث.. وربما ظل يراوغنا أيضاً.. لكننا أصبحنا ندرك الحقائق من حولنا.. الإقليمية والعالمية.. ومن المؤكد أن نجاح مشروع الرئيس القومى لبناء مصر.. هو اللبنة الأولى فى إعادة بناء النظام الإقليمى العربى.. اللازمة لحماية المصالح والأمن القومى للشعوب العربية.. بعيدا عن مشروعات الهيمنة ونشر الفوضى ومؤامرات الإرهاب.

ومهما كانت المؤامرات والأكاذيب.. ومحاولات الوقيعة بين مصر وأشقائها.. فإن مصر.. لا يمكنها التفريط فى عمقها العربى.. مشرقا ومغربا.. بحكم التاريخ والجغرافيا.. وضوابط الأمن القومى.

ويشهد المراقبون حول العالم بأن مصر.. متفردة قوية وقادرة بما يكفى للانفتاح على العالم الخارجى.. شرقا وغربا.. بلا تمييز.

الدبلوماسية الخلاقة

وربما كانت جولة الرئيس عبدالفتاح السيسى الأخيرة فى كوريا واليابان.. من نماذج العمل الدبلوماسى والسياسى.. الذى جرى بدقة فى الحساب والأهداف.. انعكست فى النتائج الإيجابية المثمرة ويقولون فى طوكيو حالياً: إن الرئيس السيسى نجح فى إغراء كبريات شركات الصناعة والتكنولوجيا فى اليابان.. على إقامة نماذج كاملة من مصانعها فى مصر.. خصوصاً فى مشروع إقليم قناة السويس.. الذى يمكن أن يكون أكبر منطقة صناعية حرة فى العالم.. بما فيها من موانئ ومطارات عالمية حديثة.

ومن هنا جاءت النتائج الباهرة فيما تم التوقيع عليه من اتفاقات ومذكرة تفاهم مع المؤسسات والشركات اليابانية الكبرى.. تزيد قيمتها على ١٨ مليار دولار.

لكن المفاجأة فى بشائر التعاون القادم مع كوريا الجنوبية.. التى تؤكد أن الدبلوماسية الخلاقة الناعمة.. يمكنها تجاوز كل الأزمات مهما كانت.. أو دعونا.. نقول كل المؤامرات.. مهما كانت. لقد كان الرئيس واضحاً مع الشعب منذ اللحظة الأولى حين تولى المسئولية الوطنية.. حين قال إنه لن ينام.. ولن ينام المصريون.. حتى نبنى مصر البناء الذى يحقق أحلام المصريين والأجيال القادمة فى الحياة الحرة الكريمة.

حملات مسمومة

ربما تتعرض مصر حالياً للعديد من الحملات الإعلامية المسمومة والحروب الإعلامية القذرة.. التى تستهدف إحباط معنويات الشعب.. دعونا نتحدث بصراحة أن الصحافة والإعلام الأمريكى والأوروبى.. يكره أن تبقى مصر الاستثناء الوطنى الصامد.. فى وجه موجة الإرهاب والفوضى الأشرس فى التاريخ.. ويكره الغرب.. صعود مصر الإقليمى من جديد فى العالم العربى.. وتحدثت الصحف الأمريكية عن تبديد قوة مصر الناعمة فى مجالات الفنون والآداب طوال عصر مبارك.. بعد غياب العمالقة.

مؤامرات وإغراءات

ليس غريبا أن تتعرض مواهب الفن الكبرى فى مصر لإغراءات المال.. حتى تنسحب وتغيب عن الساحة.. وتنسحب مصر من ساحة التأثير والنفوذ على المستوى القومى العربى.. المؤامرة واسعة وشيطانية.. لكن مصر.. بالشعب

والقـوات المسلحـة.. قـوية وقـادرة علـى إحـبـاط كل المؤامـرات.. وتوفـيـر المناخ الإيجـابى اللازم.. لبناء الاقتصاد الوطنـى.. فى مرحلـة فارقـة من التـاريخ.. ومن الآن.. وحتى السنوات الـ ١٥ المقبلة.. وسوف يتحقق حلم الرئيس السيسى وحلم المصريين فى بناء مصـر.. ومضـاعفـة الدخل القـومى ثلاث أو أربع مـرات على الأقل.

وقد تحدث المراقـبون بواقعيـة شديدة فى طوكيو وسـول عن نجـاح دبلـومـاسـيـة السيسى فى تنويع اقتصاد مصـر.. بالدخول فى عـلاقـات شـراكة اسـتراتيـجيـة واسعة مع روسيا والصين.. وهذا ما يجعل الشركات الكبرى فى أوروبا واليابان وكوريا.. تلهث وراء مصـر.. حـتى تجد لها مكانا.. للاسـتـثـمار فى منطقـة قناة السويس التى أصبـحت موضعـا لسباق عـالمى مفـتوح بين الشـركـات الكبـرى فى جميع مجالات الصناعة والتكنولوجيا والتجارة والسفن.

لن تؤثر فينا.. دعـاوى الانهـزام والانـكفـاء التى تتـردد على أقـلام ألسنة خبـيثـة.. مثل البـريطانى ديفـيد هيـرسـت.. وأحـاديثـه السـامـة؛ لأن مثل هذه الأقـلام التى عـاشت وخرجت من بين صفوف الاستعمار القديم والحديث.. لا تعرف معنى إرادة الشعوب الحـرة.. ومعنى قـدرة الشعب المصرى على البناء والتنمية.. وهذه فـرصـة تاريخـيـة.. يؤكد فـيهـا العـقل المصـرى قـدرته علـى الإبداع الحـضـارى فى القـرن الحـادى والعشرين.. لن يجدى معنا مؤامـرات من يريدون أن يطفـئوا نور الشمس فى عيوننا.. حتى فى وضح النهار.. حتى لا نرى شيـاطين مؤامـراتهم.. وسوف تحيا مصـر.. دائماً بإذن الله.

جرائم الإرهاب.. حرمت دول وشعوب العالم من نظرة التفاؤل فى ٢٠١٧

يطوى عام ٢٠١٦ صفحات أيامه الأخيرة.. على المشاهد الدموية المأساوية لجرائم الإرهاب حول العالم.. تتألم الدول والشعوب وهى تلهث وراء مشاهد انفجارات القنابل.. واغتيال الأبرياء.. من أنقرة وإسطنبول.. إلى برلين.. وحتى القاهرة.. والأردن.. فى قصة واحدة متكررة تضع ديناً عظيماً.. مثل الإسلام فى قفص الاتهام دائماً.. باعتباره فى صدارة المخاطر التى تهدد السلام والاستقرار العالمى، أو هكذا نجدهم يقولون ويتحدثون فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية.. عن الخوف من الإسلام.. أو الخوف من الإسلام المتطرف.. والفزع من الإرهاب.. ومن وجوه المسلمين والعرب!!

.. ولم تكن مفاجأة فى ظل هذه الدراما السوداء أن تعلن إحدى دول شرق أوروبا سحب اعترافها بالإسلام.. كواحد من الأديان السماوية.

لكن المذهل أن تكشف تقارير المخابرات المركزية الأمريكية أن دولة عربية واحدة أنفقت أكثر من مليار دولار.. على مدارس الإسلام المتطرف، وتخريج وتجنيد الإرهابيين.. من أفغانستان. وباكستان. وإندونيسيا. وماليزيا.. وحتى كبرى عواصم أوروبا والولايات المتحدة.. التى تنتشر فيها مناهج خاصة بتربية الأطفال من الصغر على الهجمات الانتحارية بالقنابل والشحنات الناسفة.. باسم الجهاد والشهادة فى سبيل دعوة إسلام لا يعرفنا ولا نعرفه.

.. وفى الحساب الختامى والنهائى.. اتضح أن دولاً.. مثل قطر. وأثرياء الخليج. وتركيا.. قد دفعوا أموالاً طائلة.. بمئات الملايين من الدولارات.. ثمناً لمحاولة فاشلة لإسقاط بشار الأسد.. لكنهم على أى حال قد نجحوا فى تدمير سوريا، وتشتيت الشعب السورى.. وهذا هو ما سوف يسجله لهم التاريخ.

.. ويبدو أن عام ٢٠١٦ يرفض أن يرحل.. دون أن يطرح علينا أسئلة قاسية.. لأنه من الواضح أن اغتيال السفير الروسى كارلوف فى تركيا.. لن يكون آخر

جرائم الإرهاب.. واتضح أن الدول التى فتحت أراضيها ومعسكرات جيوشها.. لإيواء وتمويل وتدريب وتسليح عصابات الإرهاب فى سوريا.. قد بدأت تدفع الثمن.. وبدأت خناجر الإرهاب ترتد إلى صدورها.. كما يحدث حالياً فى تركيا ـ أردوغان.. التى وضعت نفسها فى أضعف المواقف الحرجة إقليمياً وعالمياً.. حتى أصبح النظام التركى المغلق فى حالة أزمة دائمة.. وبدأت فى الأردن قصة جديدة لجرائم الإرهاب. وبدأت نبوءات المخابرات الأمريكية تتحقق.. بتصاعد المخاوف من تأثير عواصف الإرهاب.. على دولة صغيرة مثل الأردن.

هل هناك ما يدعو دول وشعوب العالم.. للتفاؤل بقدوم العام الجديد ٢٠١٧؟!
من الواضح أن جرائم الإرهاب وإراقة الدماء.. قد سرقت من قلوب ووجوه البشر.. كل مشاعر التفاؤل والأمل فى عام ٢٠١٧.

وأصبحت فضائح وفظائع العرب والمسلمين على كل لسان.. وفى كل مكان من العالم.

تربية وحوش الإرهاب

واستغل الإعلام الأمريكى. والأوروبى والصهيونى. بالطبيعة الفرصة.. لاتهام العرب.. وأثرياء الخليج وقطر بالتحديد.. بأنهم حين هبطت عليهم الثروات من السماء.. أنفقوها بسخاء زائد على تربية وتسليح وتمويل وحوش الإرهاب فى جماعة الإخوان وتنظيم داعش وتنظيم القاعدة.. وجبهة النصرة والجيش السورى الحر.

ولم تتردد صحيفة أمريكية كبرى فى اتهام قطر وأثرياء الخليج.. بأنهم عاشوا على أدوات ووسائل الحياة الحضارية الحديثة.. دون أن يشاركوا فى صنعها.. وإن كانوا يهددون السلام العالمى، وينشرون الإرهاب والفوضى فى سوريا والعراق وليبيا واليمن.. وتعيش أوروبا حالياً.. فى وجه مدافع وقنابل الإرهاب وشحناته الناسفة.. ومازالت العاصمة الأمريكية واشنطن.. تتحسب لاحتمالات ومخاطر تكرار سيناريو هجمات ١١ سبتمبر الإرهابية فى ٢٠٠١ وما حدث فيها من خسائر فادحة فى الأرواح بالآلاف.. ولم تنجح قطر وأثرياء الخليج وتركيا إلا فى شىء واحد.. هو تدمير العراق وسوريا وليبيا، لكن الجريمة الأكبر.. كانت من صنع العرب.. الذين وضعوا الإسلام.. أعظم رسالات السماء.. فى قفص الاتهام.. أمام العالم كله.. بدلاً من نشر الرسالة.. بالسلام والتسامح والحب بين شعوب العالم.. وبدأوا ينظرون إلى أى عربى أو مسلم فى شوارع باريس وبرلين على أنه إرهابى محتمل.. أو خطر محدق.. أو شحنة ناسفة تجرى على قدمين!!! فهل هذا هو الجهاد الذى يتحدثون عنه؟!!

المذهل أنه لا توجد أدنى محاولة لمحاسبة النفس.. ومراجعة الحسابات.. سواء فى قطر وبين أثرياء الخليج العربى.. ووسط مشاعر الحزن لما جرى فى برلين مؤخراً.. قالت صحيفة فرنسية كبرى إنه يبدو أن أثرياء الخليج وقطر.. يلهثون وراء النزوات والنساء ومباهج المال والحياة.. بلا أى حسابات سياسية أو مواقف تستحق المراجعة.

وتساءلت: مَن الذى يمكنه أن يراجع من فى قطر.. تلك الدويلة الصغيرة التى تعيش فى انتظار التعليمات القادمة.. من القنوات السرية لأجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية.

وفى النهاية يكتشف الجميع أن "العدو الإيرانى" فى حالة صعود إقليمى ودولى لا يتوقف.. فى حين تتراجع دول الخليج.. وتقول صحيفة "المونيتور" الأمريكية: إن المملكة السعودية سوف تتذكر عام ٢٠١٦ على أنه من أسوأ الأعوام.. ففيه تراجعت أسعار البترول إلى أدنى مستوى منذ حرب الخليج الأولى.. وتعرضت المملكة إلى هزة اقتصادية.. تزامنت مع مستنقع الحرب الدائرة فى اليمن.. وما حدث من تدهور فى العلاقات مع أقرب الحلفاء.. فى مصر وباكستان!! وهذا هو حصاد ٢٠١٦ فى الخليج.

الرصاصات الأولى

وقد توقف العالم أمام المشهد الدموى لاغتيال السفير الروسى كارلوف فى تركيا.. فى ذهول تام.. والكل يتساءل هل تكون الرصاصات الثمانى التى قتلت كارلوف.. هى الرصاصات الأولى فى الحرب العالمية الثالثة؟!!

.. لا أحد يدرى بالتحديد.. لكن من الواضح أن روسيا.. لا يوجد لديها ما يدفعها إلى المبالغة فى رد الفعل تجاه تركيا.. كما أن أنقرة لا تريد أن تخسر روسيا.. مع غياب التعاطف تجاه أردوغان فى أوروبا وأمريكا.

ومع ذلك يقال إن جريمة اغتيال السفير الروسى فى أنقرة.. يمكن فى أى لحظة أن تتحول إلى دراما سياسية كبرى على مستوى العالم.

ولا أحد يعلم حتى الآن ما دوافع القاتل الحقيقية.. ومن هم الذين يقفون وراءه؟! مصادر الموساد الإسرائيلى تؤكد أن جماعة جبهة النصرة الإرهابية.. هى التى تقف وراء الجريمة.. لأنها تعرضت لهزيمة كاملة فى معركة تحرير حلب من الإرهاب.. وعلى أى حال فإنها ليست مجرد جريمة اغتيال.. ويدرك الروس جيداً ما يمكن أن يكون وراءها من خيوط مؤامرة مخابراتية كبرى.. لأن الصراع

فى سوريا.. مازال مؤلماً بين القوى الكبرى.. خصوصاً أن المحافظين الجدد فى واشنطن يتهمون الرئيس الأمريكى باراك أوباما بأنه تسبب فى هزيمة أمريكا فى سوريا!!

تشبه قصة كيندى

ويبدو أن جريمة اغتيال السفير الروسى.. تشبه قصة اغتيال الرئيس الأمريكى الراحل جون كيندى.. فقد اغتالت الشرطة الأمريكية مَن اغتال كيندى.. وضاعت الحقيقة إلى الأبد.. وتكرر السيناريو فى مشهد اغتيال السفير الروسى الدموى.. الذى استغرق دقائق معدودة من عمر الزمن.. لكن لها ما بعدها.

ويؤكد الخبراء فى واشنطن وباريس وحتى برلين أنه لا يوجد ما يبعث على التفاؤل فى سماء العالم العربى والشرق الأوسط وسط الضباب الأسود لأشباح ووحوش الإرهاب الضارية التى تهدد الدنيا بأسرها بأسوأ جرائم القتل وإراقة الدماء.

صمود وكبرياء فى القاهرة

عاصمة عربية كبرى واحدة تقف بقوة وصمود وكبرياء ضد أشباح الإرهاب الأسود.. وجرائمه التى يندى لها جبين البشر فى القاهرة.. يلتف الشعب المصرى حول القيادة الوطنية للرئيس عبدالفتاح السيسى فى صمود وشموخ واضح.. فى مواجهة مخاطر الإرهاب وتهديداته.

ورغم مشاهد الأزمة الاقتصادية الصعبة.. فإن مصر تسعى بكل قوة للقضاء على الإرهاب فى حرب شاملة تستهدف اقتلاع الإرهاب من جذوره داخل مصر ورغم أن القوات المسلحة المصرية وأجهزة الأمن القومى والشرطة تبدو فى طليعة الحرب المصرية ضد الإرهاب.. فإن الشعب المصرى كله يقف الآن ضد الإرهاب.. جماعته وعصاباته ويقول المراقبون إن مصر مؤهلة لتحقيق نصر حاسم على عصابات الإرهاب فى سيناء.. فى ظل مقدرة القوات المسلحة المصرية على الانتشار الواسع والكثيف فى كل مكان من أرض سيناء.. خصوصاً فى مثلث رفح والشيخ زويد والعريش.. يبدو أن ٢٠١٧ سيكون عام الانتصار على الإرهاب فى سيناء.

وقد تمكنت أجهزة الأمن الوطنى والشرطة فى مصر من تحديد هوية الانتحارى القاتل فى جريمة انفجار الكنيسة البطرسية خلال ساعات قليلة جداً بما يؤكد

ليس فقط الكفاءة والمقدرة.. ولكن بما يؤكد أن مصر قادرة على قطع رءوس كل أشباح الإرهاب الأسود قبل أن تهدد وادى النيل والدلتا بجرائمه الدموية.

وكما هى التقاليد المصرية العريقة اكتشف العالم مدى قوة البنيان الصلب للوحدة الوطنية بين أبناء الشعب المصرى وتتحدث الصحف العالمية حالياً عن وجوه المصريين فى القاهرة والإسكندرية والأقصر وأسوان.. باعتبارها توحى بانتماء موحد لشعب واحد.. ومن الصعب التمييز بين المسلمين والأقباط فى شوارع مدن وقرى مصر.. بما يؤكد أن جرائم الإرهاب الشيطانى الخبيث فشلت فى الوقيعة بين أبناء الوطن الواحد ويبدو أن الوحدة الوطنية بين المصريين مثل أهرامات الجيزة تتحدى الزمن وكل مؤامرات وجرائم الإرهاب.

أعراض أزمة

ويعترف المراقبون بوجود محاولات لوضع مصر تحت الحصار الدائم لجرائم الإرهاب وأعراض الأزمة الاقتصادية الصعبة.. لكن التقارير الأخيرة للبنك الدولى وصندوق النقد تبشر بأن الاقتصاد المصرى يمكن أن يبدأ مرحلة الخروج من نفق التباطؤ بسبب عجز الموازنة والعجز فى موارد العملة الصعبة.. خصوصا الدولار بدءا من العام المقبل ومن الخبراء فى بلومبرج من يؤكد أن ٢٠١٧ هو بداية الانطلاق والعبور الاقتصادى لمصر بدءا من منتصف العام القادم يمكن لمصر أن تبدأ حصاد النتائج الإيجابية لإجراءات الإصلاح الاقتصادى وتصحيح الخلل المزمن فى الهياكل التمويلية للدولة.. سوف يتزامن ذلك مع بدء ضخ الغاز والبترول من الحقول الجديدة فى البحر المتوسط وشمال الدلتا والصحراء الغربية كما أن كل المؤشرات تؤكد أن الموسم السياحى فى الشتاء الحالى فى مصر يبشر بالنجاح خصوصاً مع اقتراب عودة السياحة الروسية وانتعاش حركة الطيران بين موسكو والمنتجعات السياحية المصرية فى شرم الشيخ والغردقة وحتى الأقصر وأسوان.. ولن تأتى أو تعود السياحة الروسية وحدها.. لكن سوف تجلب معها السياحة القادمة من أمريكا وأوروبا واليابان والصين وكوريا الجنوبية.

ورغم الزيادة الفارهة أحياناً فى التضخم وارتفاع الأسعار.. فإن توقعات "فوكاس" مثلاً تؤكد أن معدل النمو السنوى للاقتصاد فى مصر سوف يرتفع بنسبة ٢,٥٪ فى ٢٠١٧ وسوف يواصل الارتفاع إلى معدلات ٦٪ وربما ٧٪ قبل ٢٠٢١.

عام التعافى

ويؤكد صندوق النقد الدولى فى تقريره الجديد أن ٢٠١٧ سيكون هو عام التعافى بالنسبة للاقتصاد المصرى ومع بدء الزيادة فى معدلات تدفق الاستثمارات ورءوس الأموال سوف تنخفض معدلات البطالة وعند نقطة ما.. سوف تحدث المفاجأة ويستقر سعر الجنيه عند الرقم المعقول اللائق فى مواجهة الدولار الأمريكى واليورو الأوروبى.

ولكن برامج الحماية الاجتماعية التى وضعها الرئيس السيسى هى التى سوف تلعب دورا حاسما فى تبديد ومواجهة الآثار السلبية والاجتماعية لبعض برامج الإصلاح الاقتصادى القاسية.

ويؤكد المراقبون أن جرائم الإرهاب وحصار الأزمات الاقتصادية لم تقف عائقاً أمام قدرة الرئيس عبدالفتاح السيسى على الانطلاق بمصر فى سماء الشرق الأوسط والعالم العربى وإفريقيا فقد تمكنت مصر بسلاسة سياسية ودبلوماسية من استعادة مكانتها الدولية كقوة إقليمية كبرى تقوم بدور سياسى رائد فى الاستقرار والأمن والسلام فى هذا الجزء من العالم.

وقد تمكنت القوات المسلحة المصرية من تحقيق قفزة نوعية كبرى فى برامج التسليح والتدريب وهو ما انعكس فى التطوير الذى تحقق.. فيما يتعلق بالعقيدة الاستراتيجية والقدرات العملياتية الجديدة التى يتمتع بها الجيش المصرى.

القوة الرئيسية

وذكر أليكس فيشمان المحرر العسكرى لصحيفة يديعوت أحرونوت الإسرائيلية منذ أيام أن القوات المسلحة المصرية تزداد قوة وأصبحت مصر من جديد القوة الرئيسية فى العالم العربى.. فى طموح إقليمى واضح للزعيم المصرى عبدالفتاح السيسى الذى يحاول بكل جرأة وجسارة ضمان أمن مصر القومى فى جميع الاتجاهات وضد كل المخاطر.. والمخاطر التى لا يتحدث عنها الرئيس السيسى تبدو أحياناً كثيرة وأكبر من المخاطر المعلنة فى الإرهاب وجرائمه وجماعته وعصاباته.

ويقول الإسرائيلى فيشمان إن الجيش المصرى يزداد قوة وأمن مصر يزداد مناعة وإسرائيل فى إطار القيود المفروضة عليها فى معاهدة السلام لا تجد ما تفعله سوى أن ترتعد وترتجف فى صمت وهدوء تام ويوجد فى تل أبيب من يرصدون ويتابعون كل ما تحصل عليه مصر من أسلحة.. ساعة بساعة ولحظة

بلحظة ويقول أليكس فيشمان إن الفراشات الطائرة تتحرك فى بطون الإسرائيليين كلما حصلت إسرائيل على منظومات الأسلحة الحديثة الروسية والفرنسية خصوصاً صواريخ أس- ٣٠٠ المضادة للطائرات والصواريخ التى يتردد أن مصر حصلت منها على ثلاث كتائب ويقال فى موسكو إن مصر تتفاوض مع الروس للتعاقد على صواريخ أس- ٤٠٠ الأكثر تطورا.

وتؤكد صحيفة يديعوت أحرونوت أن جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلى تعرضوا للصدمة حين تعاقدت مصر وتسلمت مؤخرا من فرنسا حاملتى الهليكوبتر من طراز ميسترال وأطلقت على الأولى اسم جمال عبدالناصر واسم أنور السادات على الأخرى وكان الأول أكبر أعداء إسرائيل والآخر هو الذى قاد الحرب المفاجئة ضد إسرائيل فى أكتوبر ١٩٧٣.

وقبل أن يتساءل المراقبون فى إسرائيل وحول العالم: لماذا تحصل مصر على قطع بحرية كبرى مثل حاملات طائرات الهليكوبتر؟ أعلن المصريون أنهم يخططون لتوفير الحماية لحقول الغاز المصرية فى البحر المتوسط من خلال نشر سفينة الميسرال الأولى فى شمال الإسكندرية وحماية مصالح مصر البحرية فى مداخل قناة السويس من خلال نشر سفينة الميسترال الأخري فى البحر الأحمر ومرة أخرى ارتجفت إسرائيل فى صمت حين تعاقدت مصر مع روسيا للحصول على طائرات الهليكوبتر المتطورة من طراز كاسوف- ٥٢كا.. لنشرها فوق حاملتى الميسترال.

الصدمة الأولى

وكانت الصدمة الأولى فى تل أبيب حين تعاقدت مصر مع فرنسا للحصول على ٢٤ طائرة مقاتلة من طراز الرافال وهى من طائرات التكنولوجيا العالية وربما كانت ثانى أفضل طائرة مقاتلة فى العالم بعد طائرة رابتور أف- ٢٢ الأمريكية.

ويؤكد تقرير معهد الأمن القومى الإسرائيلى أن مصر تعاقدت أيضا مع روسيا للحصول خلال ٢٠١٧ على ٥٠ طائرة مقاتلة من طراز ميج- ٣٥ وهى أقرب الطائرات الروسية لمقاتلات الجيل الخامس الأمريكية وهو ما يؤكد أن الطائرات الجديدة التى تعاقدت عليها مصر سوف تؤدى إلى تقليص فجوة التفوق الجوى الإسرائيلى فى سماء الشرق الأوسط حتى بعد أن حصلت إسرائيل مؤخرا على أول طائرتين من طراز إف- ٣٥ فى إطار صفقة تبلغ ٥٠ طائرة سوف تحصل عليها إسرائيل بمعدل ثمانى طائرات سنويا حتى ٢٠٢٢.

وحصلت مصر أيضا على اكبر فرقاطة وأحدث فرقاطة فرنسية الصنع من طراز فريم وهى جوهرة تكنولوجية متعددة المهام لا مثيل لها فى الأساطيل البحرية فى الشرق الأوسط إلا الفرقاطة التى حصلت عليها المغرب من الطراز نفسه.

الغواصات الألمانية

وحصلت مصر منذ أيام على الغواصة الألمانية الأولى من طراز يو- ٢٠٩ فى إطار صفقة تشمل ٤ غواصات يمكن أن تنضم للأسطول البحرى المصرى بالكامل فى أواخر ٢٠١٨ ويتردد أن مصر فى الطريق للتعاقد على غواصتين إضافيتين من هذا الطراز كما تقول الصحف الإسرائيلية.

ورغم أن إسرائيل تتفاوض حاليا مع ألمانيا للحصول على ثلاث غواصات جديدة من طراز دولفين فإن جنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية يؤكدون أنهم يشعرون بالقلق البالغ لأن البحرية المصرية أصبحت تتفوق بشكل حاسم على البحرية الإسرائيلية رغم وجود خمس غواصات حديثة حاليا فى الأسطول الإسرائيلى والسادسة فى الطريق.

ويقول المراقبون العسكريون فى تل أبيب إن مشاعر القلق لدى جنرالات إسرائيل تجاه برامج الرئيس السيسى لإعادة تسليح الجيش المصرى لا تتعلق بالأوضاع الحالية لكنها تتعلق باحتمالات ومخاطر ما يمكن أن يحدث من تحولات وتهديدات مفاجئة على المدى المتوسط أو حتى البعيد.

ثلاثة أسلحة

ويتوقف الإسرائيليون أمام ثلاثة أسلحة حصلت عليها مصر مؤخرا من روسيا وفرنسا هى أولا طائرات الرافال والميج- ٣٥ وثانيا صواريخ أس- ٣٠٠ الروسية وحاملتا الهليكوبتر من طراز ميسترال ويقولون إن طائرات الرافال والميج ٣٥ تهدد التفوق الجوى الإسرائيلى فى سماء الشرق الأوسط حتى مع انضمام مقاتلات إف- ٣٥ للطيران الإسرائيلى كما أن صواريخ أس- ٣٠٠ المضادة للطائرات لن تسقط طائرات لا وجود لها لدى تنظيم داعش أو القاعدة أو حتى السودان وليبيا.

ويقول أليكس فيشمان إن الاسلحة المصرية الجديدة تثير نوعا من القلق الصامت فى تل أبيب خصوصاً أنه لا يوجد سوى عدو واحد لمصر فى كل مناورات القوات المسلحة المصرية هو إسرائيل.

ويعترف الإسرائيليون بأن مصر تبادل إسرائيل التزاما بالتزام فى نصوص وبنود معاهدة السلام لكن القوات المسلحة المصرية انتشرت على نطاق واسع لمواجهة الإرهاب فى سيناء وأقامت مصر مؤخرا مطارين عسكريين فى قلب سيناء كما أن العريش تحولت لقاعدة بحرية للأسطول المصرى كما تقول «يديعوت أحرونوت».

مشروع قومى شامل

وتؤكد كل المؤشرات أن مصر سوف تتمكن من التعافى الاقتصادى فى ٢٠١٧ وربما تحقق الانطلاق الاقتصادى الحقيقى فى ٢٠١٨ وسوف تصبح القوة العسكرية الصاعدة لمصر فى الحقائق الجديدة فى التوازن الإقليمى فى الشرق الأوسط.

ويقول خبراء معهد الأمن القومى الإسرائيلى فى تل أبيب إن الرئيس عبدالفتاح السيسى لديه برنامج ومشروع قومى شامل لإعادة بناء وتطوير القاعدة الاقتصادية لمصر من خلال سلسلة من المشروعات العملاقة التى بدأها بقناة السويس الجديدة ومشروع المحطة النووية فى الضبعة.

وبرنامج الرئيس السيسى لإعادة تسليح الجيش المصرى جزء من استراتيجيته التى تستهدف جعل مصر القوة الإقليمية الأولى فى العالم العربى وربما الشرق الأوسط وإفريقيا.

الطائرة والمؤامرة..!!

مصر تلتزم بالحكمة وضبط النفس.. فى مواجهة موقف صعب.. ينطوى على مخاطر شديدة.. تستهدف الاقتصاد والأمن القومى كله.

يأتى هذا الموقف الصعب.. فى إطار "اللعبة الدولية الجديدة" فى القرن الحادى والعشرين.. التى تستهدف تقويض أركان العالم العربى كله.. وإعادة رسم خريطته.. لصالح المشروع الأمريكى.. للانفراد بالهيمنة والسيطرة على الخليج والشرق الأوسط كله.

ولا شك فى أن جدول أعمال مشروع الهيمنة الأمريكية المطلقة على العالم العربى.. يبدو ثقيلاً.. وعنيفاً.. وملوثاً بدماء الأبرياء الذين يسقطون يومياً فى المذابح والمعارك والحروب.. التى تقوم بها عصابات الإرهاب المدعومة رسمياً من المخابرات الأمريكية.. فى سوريا والعراق وليبيا واليمن.. وحتى مصر!!

الحكاية ليست قصة طائرة ركاب.. سقطت أو انفجرت فى سماء سيناء.. لكنها قصة.. دول وحكومات فى أوروبا والولايات المتحدة.. تريد تغيير خريطة العالم العربى.. لصالح المشروع الأمريكى الدعوى فى هذا الجزء من العالم ليست قصة سقوط طائرة ركاب.. بل قصة دول وحكومات فى أوروبا وأمريكا.. تريد أن تخترع للإرهاب نصراً فى مصر أو على مصر.. ولو من عدم الوهم والأكاذيب والخداع.. بهدف إحداث هزة اقتصادية.. تأخذ أبعاداً سياسية فى مصر.

ومن قبل.. بدأت أعراض المؤامرة الاقتصادية على مصر من خلال التلاعب بأسعار الدولار.. وبدأ الصحفى الأمريكى ستيفين كوك يتحدث فجأة.. عن الانقلاب الخفى فى مصر.

ليست قصة سقوط طائرة ركاب.. بل قصة من يتربصون بمصر.. لأنهم يرفضون الصعود السياسى للرئيس عبدالفتاح السيسى.. فى سماء مصر.. ليكون نموذجاً للزعيم العربى الوطنى الجديد.. الذى يلتف حوله الشعب.. ليعيد

أسطورة الشعب والقائد، والدولة الوطنية.. الرافضة للهيمنة الاستعمارية ولا يخفى الكثيرون فى واشنطن ولندن وتل أبيب بالتحديد.. مشاعر الكراهية فى قلوبهم.. تجاه صورة مصر الجديدة.. بعد ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ والتخطيط للمشروعات القومية الكبرى والتنمية والتقدم.. ويوجد فى واشنطن.. من يضيقون بمصر.. ويخشون أن يتحول الرئيس السيسى إلى زعيم شعبى.. يرى فيه المصريون الوجه الجديد للوطنية المصرية فى القرن الجديد.. خصوصاً أنه أصبح التجسيد الحى "لعودة الوطن" وعودة مصر للمصريين.. بعد طول اغتراب منذ منتصف السبعينيات.. وحتى سقوط نظام الإخوان الإرهابى العميل، من هنا لوحت الصحافة الأمريكية مؤخرا.. بنظرية الانقلاب الخفى فى مصر.. وكانت نقطة أو ضربة البداية.. هى الحرب على مصر بالدولار.. ثم جاءت قصة سقوط الطائرة الروسية.. التى يتم استغلالها حالياً فى الصحافة الأمريكية والبريطانية لأهداف سياسية.. تخدم المشروع البغيض للإمبراطورية الأمريكية - البريطانية فى القرن الجديد.

التراجع الأمريكى

ويبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية.. تحاول الإفلات من أعراض التراجع السياسى والاقتصادى.. بتكثيف الضغط العسكرى والإرهاب فى العالم العربى.. خصوصاً فى سوريا والعراق وليبيا.. وبريطانيا.. تسعى للصعود من جديد.. بعد أن تحدثت الصحف الأمريكية عن المملكة المتحدة باعتبارها قد قدمت استقالتها من نادى "القوى الكبرى" فى العالم.. بعد أن تراجع دورها العالمى وانحسر إلى أدنى مستوى مؤخراً.

البريق الضائع فى لندن

ويحاول ديفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا.. أن يستعيد شيئاً من بريق بلاده الدولى.. بالانفراد بالحديث عن قصة سقوط الطائرة الروسية فى سيناء.. وادعاء أن المخابرات البريطانية.. انفردت بمعلومات لم تتوافر للآخرين.

لن نتحدث عن لندن. العاصمة السياسية لجماعة الإخوان العميلة وتنظيمها الدولى.. ولن نتحدث عن جهاز المخابرات الخارجية البريطانى.. "إم.آى.سيكس" الذى ظلت الإمبراطورية البريطانية تنفى وجوده.. حتى منتصف القرن العشرين.. رغم أنه أقدم.. وأقذر أجهزة المخابرات فى العالم.

اليوم تشترك المخابرات الأمريكية مع المخابرات البريطانية فى العملية الرهيبة

لتدمير سوريا والعراق وليبيا.. بتمويل جماعات الإرهاب.. وتقديم السلاح لها.. والآن أصبح المستشارون العسكريون الإنجليز والأمريكيون.. على خط المواجهة المباشر.. يقدمون السلاح.. والخطط العسكرية.. لعصابات الإرهاب فى سوريا والعراق وليبيا.. فى أقذر عملية سرية.. أصبحت فضيحة معلنة ومعترفًا بها رسمياً.. حتى من الرئيس الأمريكى باراك أوباما ومن وزير دفاعه آشتون كارتر.

ومن الطبيعى.. أن نجد أن من يقدم الاستشارات العسكرية للجماعات الإرهابية.. يقدم لها أيضاً المساعدة الفنية فى خطة إسقاط طائرة مدنية.. وإذا كانت الطائرة الروسية قد سقطت فى سيناء.. بشحنة ناسفة حقاً كما تدعى بريطانيا.. فيجوز أن نقول إن المخابرات البريطانية.. تعرف أكثر.. لأنها تتعاون أكثر مع جماعات الإرهاب.. وتورطت أكثر فى الجريمة بصورة أو أخرى.. وفى كل الأحوال، ليس من المستبعد أن تكون الأنامل الخفية للأجهزة السرية الأمريكية والبريطانية.. وراء هذا النوع من الجرائم، وسجل هذه الأجهزة حافل وملوث بدماء الأبرياء من جميع الجنسيات!!

الافتراضات.. قبل التحقيقات

ومع ذلك.. يلاحظ المراقبون حول العالم فى قصة سقوط الطائرة الروسية.. أن النظريات والافتراضات الخيالية.. سبقت الحقائق والتحقيقات.. وبسرعة البرق.. انتشرت شائعة انفجار الطائرة بشحنة ناسفة.. وتحولت إلى افتراض.. وأحياناً حقيقة شبه ثابتة.

ولم تخف الصحافة الأمريكية والإنجليزية.. الرغبة الدفينة فى قلوب الحقد الأسود.. فى واشنطن ولندن.. التى تريد استغلال حادث عابر.. لسقوط طائرة.. ليكون وسيلة.. لإسقاط دولة.. وأى دولة.. مصر.. أقدم وأول دولة فى التاريخ.. مازالت للاستعمار الأمريكى والبريطانى.. أنياب وأظافر ومخالب من حديد.. تسعى لتدمير العالم العربى سياسياً ومعنوياً.. بكل أسلحة الدمار الشامل الجديدة.. الإرهاب.. أقذر حروب الجيل الرابع.. وهو الاختراع الأمريكى الجديد فى فنون الحرب والقتال.. ضد الدول.. خصوصاً فى العالم الثالث.

ومع ذلك.. تحدثت الصحافة الأمريكية مؤخراً.. عن قصة انفجار طائرة ركاب أمريكية تابعة لشركة طيران (تى. دبليو. إيه).. فوق لونج أيلاند.. بعد دقائق من إقلاعها من مطار نيويورك فى عام ١٩٩٦.

انفجار خزانات الوقود

ودارت أحاديث طويلة.. وتحدثت الصحافة الأمريكية عن سقوط الطائرة بعمل إرهابى.. وفى النهاية وبعد تحقيقات شاقة وطويلة.. اكتشف المحققون أن الطائرة انفجرت بسبب خلل فى الدوائر الكهربائية.. أدى إلى اشتعال وانفجار خزانات الوقود بالطائرة!!

وفى حادثة سقوط الطائرة الروسية فى سيناء افترضت المخابرات البريطانية.. وادعت أنها تعلم بأن انفجاراً لقنبلة.. أدى لسقوط الطائرة.. وقالوا أيضاً إن تنظيم بيت المقدس الإرهابى.. الموالى لداعش.. يقف وراء الجريمة وظهر فيلب هاموند وزير الخارجية البريطانى.. فى واشنطن فجأة.. ليدعى مرة أخرى وجود خلل أمنى فى إجراءات الأمن فى مطار شرم الشيخ.

مصر.. الغاضبة!

وكان طبيعياً أن تغضب مصر.. لأنها تدرك أنه يوجد فى أمريكا وبعض عواصم أوروبا.. من يضيقون.. بصعود مصر.. وسط طوفان السقوط والانهيار الممتد فى العالم العربى.. من العراق إلى سوريا واليمن وليبيا.

وتدعى أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية.. أنها تمكنت من رصد واعتراض الاتصالات الإلكترونية السرية بين قيادات تنظيم داعش - دولة الخلافة - من سيناء إلى سوريا.. وقالوا بالتحديد إن المدعو أبوأسامة المصرى تحدث إلى البغدادى فى سوريا.. ليبلغه بإسقاط الطائرة.

التهاتف باللهجة البريطانية

لكن العجيب والمثير للدهشة جداً.. أن أحاديث إسقاط الطائرة خلال الاتصالات السرية.. كانت تجرى باللغة الإنجليزية وباللهجة البريطانية!! لكن صحافة لندن.. لم تتوقف أمام هذه الحقيقة كثيراً.. والسؤال: ألا يوجد فى ذلك.. اتهام لأحد.. أو لجهاز ما.. فى دولة ما مثل مخابرات صاحبة الجلالة "الإم آى سيكس"!!.

لم يكن مثيراً للدهشة أن يؤكد مسئول فى المخابرات الأمريكية أنه متأكد بنسبة ٩٩,٩٪ أن الطائرة الروسية سقطت بشحنة ناسفة.. تم وضعها بين الحقائب.. وربما كانت نوعية جديدة من المتفجرات.. التى لا يمكن رصدها بالأجهزة الإلكترونية الموجودة فى المطارات.

ونقلت الصحافة العالمية عن أيمن المقدم.. رئيس فريق التحقيق المصرى فى حادث الطائرة أن تسجيلات الصندوق الأسود أكدت وجود ضوضاء فى الثانية الأخيرة داخل كابينة قيادة الطائرة.. وبذلك تكون كل السيناريوهات مطروحة.. لأننا لا نعرف بدقة ماذا حدث!!

ووسط طوفان العداء وحتى الكراهية لمصر نكتشف أن الصحافة الإيطالية مثلاً تؤكد أن الغرب الأمريكى الأوروبى يدرك مدى أهمية مصر الاستراتيجية وصمودها فى مواجهة طوفان الدول الفاشلة فى العالم العربى.. وأكدت صحف إسبانية أن زيارات الرئيس السيسى.. لعواصم العالم الكبرى.. تؤكد من جديد عودة مصر الدافئة للمجتمع الدولى.. لتحتل المكان اللائق بها بين دول العالم.

نقطة ضوء شاردة

ويبدو مثل هذا الاعتراف فى روما ومدريد.. مثل نقطة الضوء الشاردة.. وسط أمواج الظلام والظلم.. القادم من واشنطن ولندن.. وتل أبيب.

ومرة أخرى.. تظهر جمعيات ومنظمات حقوق الإنسان فى الصورة فجأة.. رغم أنها لا يمكن أن تبقى ويكون لها وجود.. دون الحصول على التمويل الأوروبى والأمريكى.. وقد انغمست فى العمل داخل هذه المنظمات وجوه مصرية معروفة.. وهى تعلم أن مثل هذه المنظمات.. ليست إلا "المخالب الناعمة" للإمبراطورية الأمريكية.

حرب التشهير بمصر

وتستغل آلة الدعاية الأمريكية والأوروبية.. تقارير هذه المنظمات.. فى التشهير بسمعة الدول والحكومات.. وعادة ما تكون حملات الدعاية والتشهير.. هى "المقدمة الموسيقية" لإشهار أسلحة العقوبات.. وربما التدخل المسلح.. كما حدث فى ليبيا.. لكننا ضعاف البصر والبصيرة.. ولن نقول إننا ضعاف أمام الأموال السائلة القادمة بالعملة الصعبة من بنوك أوروبا وأمريكا.. حتى وإن جاءت من السويد والنرويج والدانمارك. فقد كان مثيراً للدهشة أن تظهر اتهامات وانتهاكات حقوق الإنسان بعد حادث الطائرة.. مع أن الأموال التى تحصل عليها منظمات حقوق الإنسان فى مصر لن تصنع من حروب الإرهاب الأمريكية والبريطانية القذرة فى العالم العربى.. شربات أو جاتوه!

وبذلك يتأكد لنا أن الحملة الرهيبة ضد مصر فى هذه الأيام يتم فيها استخدام

جميع أنواع الأسلحة.. السياسية والاقتصادية والإرهابية ولأول مرة نرى من يحاولون استغلال الإرهاب.. لأهداف سياسية.. وهم فى الواقع يوفرون الغطاء السياسى للإرهاب.. ولجماعة الإرهاب والعصابات المتحالفة معها.

وفى النهاية ظهر عضو بارز فى مجلس النواب الأمريكى.. ليؤكد أن أجهزة المخابرات الأمريكية.. لديها ما يشبه الإجماع على أن قنبلة انفجرت على متن الطائرة الروسية.. رغم أن الأدلة غير حاسمة أو نهائية!

وقالت صحيفة صنداى تايمز البريطانية: إن المدعو أبوأسامة المصرى هو العقل المدبر للجريمة!! وهو زعيم تنظيم بيت المقدس الإرهابى.. الموالى لداعش.

غيوم بين مصر وبريطانيا

وبسرعة عادت الغيوم لتظلل العلاقات بين مصر وبريطانيا خصوصاً أن الصحافة البريطانية تؤكد أن حكومة لندن لم تتبادل ما لديها من معلومات مع مصر.. وأشارت الصحف إلى أن بريطانيا حصلت على المعلومات من طرف ثالث.. ربما تكون أمريكا أو إسرائيل.. وادعت صحافة تل أبيب أن جهاز المخابرات الإسرائيلى - الموساد - تمكن أيضاً من اعتراض مكالمات واتصالات جرت بين قيادة داعش وتنظيم بيت المقدس.. حيث تبادلوا التهنئة بسقوط الطائرة!!

وبناء على ذلك اتخذ ديفيد كاميرون رئيس وزراء بريطانيا قراره.. بتعليق الرحلات الجوية البريطانية.. من وإلى شرم الشيخ.

وبعد أربعة أيام من سقوط الطائرة.. قدمت أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية تسجيلاً غير موثوق فيه.. يظهر فيه المدعو أبوأسامة المصرى.. وهو يقول: إننا بفضل الله أسقطنا الطائرة ولن نكشف عن خطة نسفها فى الوقت الحالى!! ويقال إن الحادث جاء فى الذكرى الأولى لإعلان ولاء تنظيم بيت المقدس الإرهابى.. لجماعة داعش!!

وهكذا نكتشف أن المحققين من مصر وروسيا وأوروبا.. يحاولون فك لغز سقوط الطائرة فى عملية طويلة ومرهقة.. لكن أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية اتفقت على أن الطائرة سقطت بشحنة ناسفة بين الحقائب ومرة أخرى يدعى فيلب هاموند وزير الخارجية البريطانى أن مصر لم يتوافر لديها ما لدى بريطانيا من معلومات!!

ووسط أكوام وجبال الشائعات والتسريبات التى تنتشر حول العالم.. منذ سقوط

الطائرة.. ذكرت صحف عالمية.. أن الطائرة الروسية سقطت.. أثناء اشتراك الطائرات المقاتلة الأمريكية فى مناورات جوية واسعة فى شرقى البحر المتوسط، واستبعدت الصحف بالتأكيد أن تكون الطائرة قد سقطت بصاروخ.. لكن هناك من يشيرون إلى احتمال أن تكون الطائرة قد تعرضت للإسقاط.. بتكنولوجيا إلكترونية جديدة.. من إنتاج شركة منى ويل الأمريكية بالتعاون مع لوكهين مارثن.. يمكن من خلالها إقصاء الطيار الموجود داخل كابينة طائرات الركاب.. وتوجيه الطائرة.. إلكترونياً بطيار أتوماتيكى.. خارجى.. بحيث يتم خطفها إلكترونياً.. أو إسقاطها.

شائعات بلا نهاية

هكذا يبدو أن الشائعات فى قصة سقوط الطائرة الروسية.. بلا نهاية لكن ما يثير الريبة والإزعاج هو محاولات أطراف دولية كبرى.. استغلال مثل هذا الحادث الطارئ.. والمتكرر فى مختلف أنحاء العالم.. لتحقيق أهداف سياسية بغيضة.. خصوصاً فى هذا الجزء من العالم.. حيث تنتشر بحار الفوضى والإرهاب.. بلا نهاية.

وهناك من يتحدثون بصراحة فى واشنطن.. عن حادث سقوط أو إسقاط الطائرة الروسية.. باعتباره حادثاً يخدم الأهداف الأمريكية فى الشرق الأوسط بصفة عامة.. وفى سوريا بصفة خاصة.

وتحدث بعض جنرالات البنتاجون فى واشنطن عن حادث سقوط الطائرة.. باعتباره قد يكون وسيلة لردع الرئيس الروسى فلاديمير بوتين.. بما يجعله يوقف التدخل العسكرى الروسى فى سوريا.. ولم تستبعد المصادر الأمريكية أن يتم استغلال الحادث لإرهاب مصر!!

وهنا نقف أمام الحقائق.. ففى النهاية قد تتعدد نظريات سقوط الطائرة.. لكن كل النظريات تنتهى إلى واحد من احتمالين.. إما أن الطائرة سقطت نتيجة لحدوث خلل ميكانيكى.. وإما أنها سقطت بانفجار قنبلة.

واستبعد الخبراء نظرية إسقاط الطائرة بصاروخ.. لأنه لا يوجد دليل على إطلاق صواريخ.. ولا يوجد دليل على احتراق المحرك.

وادعت واشنطن أن الأقمار الصناعية الأمريكية.. رصدت ضوءاً حرارياً.. حول الطائرة قبل انفجارها.. لكن سبب هذا الضوء الحرارى مازال مجهولاً.

وذكر خبير الطيران الأمريكى بول بيفر.. أن ما رصدته الأقمار الصناعية

الأمريكية لا يقول لنا.. ما إذا كان ما حدث للطائرة هو انفجار قنبلة.. أم أن شخصاً ما من الركاب دخل فى معركة ببندقية.. داخل الطائرة!

ادعاء.. بلا أدلة

لكن من يتأمل الدخان السياسى الأسود.. المحيط بسيناريوهات سقوط الطائرة.. لابد أن يتوقف أمام بعض الظواهر. فقد أعلن داعش مسئوليته عن إسقاط الطائرة.. انتقاماً من تدخل روسيا العسكرى فى سوريا.

ونفت مصر ذلك بشدة.. وأكدت أن الأمر لا يعدو أن يكون نوعاً من الدعاية السوداء.. التى تستهدف الإضرار بصناعة السياحة المصرية.

ورغم أن المخابرات الأمريكية تشير إلى سقوط الطائرة بانفجار قنبلة.. فإنها تعترف بعدمٍ وجود أدلة كافية تؤكد أن تنظيم داعش قد تمكن من إسقاط الطائرة عمداً.. وبالتخطيط المسبق.

الحقيقة الموثقة

وتبقى في النهاية الحقيقة المؤكدة بالوثائق الأمريكية الرسمية وهى أن تنظيم داعش الإرهابى.. من صنع المخابرات المركزية الأمريكية.. وأن مهمته الأساسية تتلخص فى أن يكون رصيداً عسكرياً ومخابراتياً للأجهزة السرية الأمريكية.

وتشترك المخابرات الأمريكية مع إدارة الدفاع الأمريكية فى تمويل تنظيم دولة الخلافة الإسلامية.. المعروف باسم داعش.. ليكون هو التنظيم الإرهابى القادر على إسقاط النظم العربية وإقامة النظام الإرهابى البديل فى أى أراض عربية يسيطر عليها.

والمثير للدهشة أن تشترك المخابرات الأمريكية مع البنتاجون فى تمويل وتسليح تنظيم داعش.. مع أكثر من ٣٠ منظمة إرهابية أخرى تعمل فى سوريا والعراق وليبيا واليمن ومصر.. وتتفرغ شركات الأمن البريطانية والأمريكية الخاصة.. لمهمة تجنيد المتطوعين للجهاد فى صفوف داعش ومختلف العصابات الإرهابية مقابل إغراءات مالية وسياسية رهيبة!!

وفى عصر أساليب الأكاذيب والخداع الأمريكية والأوروبية.. ليس من المستبعد أن تكون خلايا إرهابية متحالفة مع واشنطن ولندن قد ارتكبت جريمة إرهابية أخرى.. أو عملاً آخر من أعمال الحروب القذرة.. فيما يشبه رسالة تحذير لموسكو.. أو ربما رسالة استفزاز.

وإن كانت الرسالة تبدو موجهة أيضاً لمصر.. فى إطار اللعبة الكونية القذرة للسياسة الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية.

ويقـول الصـحـفـى الأمـريكى لارى شـيـن.. إن أجـهـزة المخـابرات الأمـريكيـة والبريطانية والإسـرائيلية تدعى أنها تتبادل المعلومات مع الأصدقاء والحلفاء فى الشرق الأوسط.. حول الجماعات والعصابات الإرهابية.

جبال الأكاذيب

فى النهاية يكتشف العالم وجود أطنان وجبال من الأكاذيب والمعلومات الخاطئة المضللة.. حول الجماعات والعصابات والخلايا الإرهابية.. بحيث لا نعرف أين توجد الحقيقة.. ببساطة لأن جماعة الإخوان وجميع العصابات الإرهابية المتحالفة معها.. تابعة مباشرة لجهاز المخابرات المركزية الأمريكية.. والمخابرات البريطانية.. فى تحالف مقدس مع جهاز الموساد الإسرائيلى.. وبعض دول الناتو.. لكن المفاجأة.. هى التحالف الجديد بين تركيا وقطر.. الذى ليس له من هدف سوى إسقاط وتقسيم سوريا وتغيير خريطة المشرق العربى.. لصالح إسرائيل وتركيا وربما إيران.

وليست هذه المرة الأولى.. التى يتم فيها استغلال حادث سقوط طائرة.. بسبب خلل فنى.. أو حتى قنبلة.. لأغراض سياسية.. ضد روسيا.. وصداقتها الصاعدة مع مصر.

وتاريخ العمليات السرية الأمريكية القذرة حافل بالجرائم الرهيبة ويشتهر جهاز المخابرات المركزية الأمريكية بالانتهازية.. والقدرة على اقتناص الفرص.. والمرونة فى تنفيذ العمليات القذرة فى التوقيت المناسب.

فى إطار هذه اللعبة القذرة.. يمكن لأمريكا أن تنفى الإرهاب.. أو تحذر من الإرهاب فى إطار ما يخدم آلة الدعاية والإعلام الأمريكية والأوروبية الجبارة.. وما تلقيه أمام آذان وعيون العالم من أنباء كاذبة ومعلومات خادعة ومضللة!

وقد لا يصدق البعض أن ٨٠٪ من الأخبار التى تتردد فى صحف العالم وفى نشرات الأخبار.. ليست إلا أكاذيب ومحاولات خداع لا أساس لها.. صادرة عن غرف عمليات المخابرات الأمريكية فى واشنطن.. وحول العالم.

لكن من الواضح أن الأجهزة السرية فى واشنطن ولندن وتل أبيب أرادت أن تبعث برسالة سياسية وحشية هذه المرة.. إلى مصر وروسيا.

سيناريو المؤامرة

والسيناريو الجديد.. ليس مجرد نظرية مؤامرة.. خصوصاً إذا توقفنا أمام الصورة الكبرى للحقائق القائمة على الأرض.. ويبدو أن الحقيقة.. التى

يتجاهلها البعض.. هى أن الحرب تشتعل حالياً.. ولو بالوكالة.. بين القوى الكبرى.. فى سوريا وأوكرانيا والعراق وليبيا واليمن.

ويتحدث الإعلام الأمريكى عن تدخل عسكرى روسى فى سوريا، لكن فى التطبيق العملى على الأرض نكتشف أن روسيا تحارب تحالف أمريكا والناتو فى سوريا.. الذى يدعم عصابات الإرهاب المنتشرة هناك من جميع الأنواع ومن جميع الجنسيات.

وانتشرت وحدات القوات الخاصة الأمريكية والبريطانية مؤخراً فى سوريا.. لتنضم إلى عصابات الإرهاب التى تحارب هناك.. مع قوات خاصة إسرائيلية وتركية.

أصبحت المواجهة الروسية الأمريكية فى سوريا كاملة بجميع الأسلحة المباشرة وغير المباشرة والحروب بالوكالة الدائرة هناك.. فيها الكثير من ملامح المواجهة المباشرة بين القوى العظمى.. خصوصاً حين تزدحم سماء سوريا بالطائرات الأمريكية والبريطانية - الفرنسية والتركية والإسرائيلية.. الحرب أصبحت الآن مفتوحة بين روسيا وأمريكا.. كما كان يحدث خلال الحرب الباردة بين موسكو وواشنطن.. مع الفارق فى أن المخاطر فى الحروب الجديدة تبدو عالية ورهيبة.. ويمكن أن يغرق فيها كوكب الأرض كله.. وحين يضاف إلى ذلك.. التوتر المتصاعد بين أمريكا والصين.. نكتشف أن خريطة الصراع الدولى امتدت إلى جميع أنحاء كوكب الأرض.

وإذا كانت الطائرة الروسية قد سقطت حقاً نتيجة لجريمة إرهابية.. فإن ذلك لا يعنى شيئاً فى الواقع فى هذه الحرب الرهيبة التى يديرها ويخطط لها.. قيادات خفية.. فى كواليس الإمبراطورية الأمريكية البريطانية فى القرن الجديد.

الرغبة فى العودة

وهم يخططون لعودة الاستعمار من جديد.. بهدف الحرب والغزو والاحتلال والاستيلاء على أراضى وثروات الغير.. بكل الوسائل المشروعة وغير المشروعة.. مع تغيير حدود أنظمة الحكم فى الدول وتشكل ثروات البترول فى الخليج وشمال إفريقيا.. مصدراً للإغراء يثير لعاب أطماع ذئاب الإمبراطورية فى واشنطن ولندن.

واتضح أن عصابات الإرهاب فى سوريا والعراق ليست إلا أرصدة استراتيجية..

لبناة هذه الإمبراطورية فى العصر الجديد.. وتبقى الحقائق.. وهى أنه إذا كانت الطائرة الروسية قد سقطت حقاً فى جريمة إرهابية جديدة.. فإن هذه الجريمة ليست فى الواقع إلا الرد الأمريكى.. البريطانى.. البائس.. على الواقع السياسى الجديد فى مصر.. بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى.. الذى يسعى لبناء دولة وطنية.. تنحاز بشكل مطلق لمصالح مصر الوطنية.. ومصالح العرب القومية.. وليس مصالح القوى العالمية.

الرسالة.. وصلت

وموسكو.. تلقت الرسالة.. وهى أن الحادث قد يكون هو الرد الأمريكى على التدخل العسكرى الروسى فى سوريا.. وحين تأتى الرسالة من داعش.. فهى فى الواقع قادمة من المخابرات المركزية الأمريكية.

لكننا فى كل هذا الحديث الطويل عن حادث سقوط الطائرة الروسية.. نكتشف أن الصحافة الأمريكية والبريطانية تتعمد استباق التحقيقات.. رغم أننا قد نفاجأ فى النهاية وبعد انتهاء التحقيقات.. ربما بعد عام أو أكثر أن الطائرة المنكوبة قد سقطت بسبب خلل فنى واحتراق خزانات الوقود.. مثل طائرة تى.دبليو.إيه الأمريكية فى عام ١٩٩٦.

لكن العجيب فى اللعبة الدولية القذرة الجديدة.. أن نكتشف وجود من يريدون استغلال حادث عابر.. لسقوط طائرة ركاب لتحقيق هدف كبير.. وأثير لدى أوساط الاستعمار الجديد فى واشنطن ولندن وتل أبيب.. هو النيل من استقرار وأمن مصر.. فى لحظة فارقة من التاريخ.. وقريباً.. سوف تتبدد كل سحب الظلام.. وتزول الضوضاء المصاحبة لسقوط الطائرة الروسية.. سوف تنقشع هذه الغمة قريباً جداً.. وتبقى الحقيقة القائمة فى وجه التاريخ والجغرافيا.. وهى مصر القوية.. الواثقة بنفسها.. الراسخة.. تحت قيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى.. ومن حوله ومن خلفه.. ملايين المصريين.. مهما كانت المخاطر والتهديدات.. تحيا مصر.. تحيا مصر.. تحيا مصر.

٤ سيناريوهات للمؤامرة
فى مأساة الطائرة المصرية

التاريخ.. يروى مسيرة الزمن.. ويحكى قصص وتجارب الشعوب.. وفى مصر.. يتحمل هذا الجيل مسئولية ثقيلة.. تفرض عليه ضرورة أن يصنع التاريخ الجديد لهذا الوطن.. فى هذا العصر الصعب.. المشحون بالصراعات والأزمات.. والمؤامرات.. والمخاطر والتهديدات.

لابد أن يترك هذا الجيل.. ميراثاً تاريخياً جديداً.. يليق بقيمة مصر.. الجغرافية.. والحضارية والإنسانية فى هذا العالم. قد نهتز أمام حادثة.. أو حتى فاجعة.. لكننا لا ننهزم.. وتكمن القوة الحقيقية للدول والشعوب العظيمة.. مثل مصر.. فى القدرة على الثبات والصمود.. واحتواء الحوادث والمفاجآت.. ودروس التاريخ.. تفرض علينا.. ضرورة الاستعداد لما هو قادم.. مهما كانت الظروف والمفاجآت.. نعم.. لابد أن نتحسب لكل ما هو غير متوقع.. أو غير منتظر.. لأن هذا هو ما يصنع الفارق العظيم.. فى دولة كبرى مثل مصر.. تدرك جيداً.. أنها وطن.. مستهدف.. بالمؤامرات والأزمات والصراعات.. وبجرائم الإرهاب.. وحروب الجيل الرابع.

.. قد تكون تجاربنا الوطنية فى هذا العصر.. مشبعة بالقسوة والوعورة.. وكل أنواع المصاعب.. لكن هذه التجارب والمصاعب.. هى التى توفر لنا.. الفرصة الذهبية.. لصنع التاريخ والشعب.. ينفرد بصنع تاريخه فى هذا الزمن الصعب.. ولابد أن ندرك أننا نعيش فى عالم.. يتم فيه صنع التاريخ.. ولابد أن تكون مصر.. جزءاً من هذا العالم.. وجزءاً من تاريخ الحضارة فى القرن الحادى والعشرين.. والأمم العظيمة.. تنفرد بالقدرة على صنع التاريخ.. رغم أنف الظروف القاسية والصراعات الكبرى.. والمؤامرات التى لا تعرف الرحمة. إن هذا الجيل من أبناء شعب مصر.. على موعد مع القدر والتاريخ.. فى ظل قيادة وطنية.. للرئيس عبدالفتاح السيسى.. الذى يريد أن يقيم دعائم دولة السيادة

والقـرار الوطنى المسـتـقل.. رغم مـؤامـرات دعـاة الـهـيـمنـة.. ومـؤلفى جـرائم الإرهـاب.. وممولى جماعته وعصاباته.

ورغم أن هنرى كيسنجر.. قال يوماً إن الجغرافيا.. تصنع التاريخ.. وتقرر مصير الشـعوب.. فـإننا نفـاجأ اليـوم.. بمن يريدون.. هدم جـغرافـيـا الـعالم الـعـربى.. وتدمـيـر مـعـالم خـريطتـه السـيـاسـيـة.. لصـالـح مـشـروع الهـيـمنة الأمـريكيـة والإسـرائيليـة فى القـرن الجـديد.. والمأسـاة المريرة.. أن تجـرى هذه المؤامـرة الشيطانية.. بتمويل عربى أحياناً.. حيث يتم تقسيم العـراق.. أو اقتطاع أجزاء من سـوريا.. وليـبـيـا.. بهـدف تدمـيـر الوطـن العـربى والإنسـان العـربى.. وهدم مشروعات العروبة والاستقلال الوطنى.

ووسط غلواء هذا المخطط الشيطانى الرهيب.. تفاجئنا الأحداث.. والجـرائم.. وحتى الكوارث.. ومؤامرات سقوط أو حتى إسقاط طائرة ركاب مدنية.

مصر.. لا تستسلم

وتكمن المأسـاة.. فى أن مصـر.. وجدت نفـسهـا فـجـأة.. تحت حصـار مؤامـرات وجرائم الفوضى والإرهـاب.. وحـروب الجيل الرابع التى تستـهدف تقويض بنـيان الدول والشعوب.. وخلق فراغ جغرافى وسياسى واسع فى العالم العربى.. يخدم مـشـروع الإمـبـراطورية الأمـريكيـة الجـديدة.. للهـيـمنـة والسـيطرة فى القـرن الجـديد.. ويقـال حـاليـاً فى واشنطن.. وبالذات فـى أوسـاط المحـافظين الجـدد صـراحة.. إن الولايات المتحدة الأمـريكية.. هـى الإمبـراطورية التى لا تغيب عنهـا الشـمس حقـاً.. بعد أن امتـد نفوذهـا.. من واشنطـن فى أمـريكا الشـمـاليـة.. إلى قلب أوروبا.. حتى حـدود روسيـا.. ومن العـالم العـربى والشرق الأوسـط الكبيـر.. حتى اليابان وكوريا الجنوبية وأستراليا.

ويبـدو أن بقاء الدولة الـوطنية فى مـصـر.. يثيـر القلق وحتى الذعر.. فى أوسـاط المخطط الأمـريكى.. للهـيمنة على العـالم.. خـصـوصـاً بعد أن وضع المحـافظون الجدد فى اليمين الأمريكى.. برنامج العمل السياسـى.. الذى لابد أن يلتـزم به الرئيس الأمـريكى القـادم للبـيت الأبيض فى العـشـرين من ينايـر ٢٠١٧ وذلك بصـرف النظر عن هويتـه السياسـيـة.. جـمهـورى أم ديمـقـراطى.. دونالد تـرامب.. أم هيـلارى كلينتون.. إنهم يمـثلون صـقـور أمـريكا.. أصـحـاب المصـالح السياسـيـة والصنـاعيـة الكبرى.. أو هو مشروع الصهيونيـة الأمريكية للقرن الجـديد.. ويبدو أن حسـم الصـراع على العـالم العـربى.. لصـالح مـشـروع الهيـمنة الأمـريكيـة.. هو الخطوة الأولى.. فى مشروع شيطانى رهيب.

المفـاجـأة.. أنهم يدركـون.. أن دولـة وطنيـة كـبـرى.. مـثل مـصـر.. لا يمكن أن تسقط.. بمؤامرة سـقـوط.. أو إسـقـاط طائرة ركـاب.. أو حتى طائرتين.. لكنهم يريدون فقط أن تبـقى مصـر.. فى حالة عزلة داخلية.. بعيدة عما يحدث فى محيطها العربى.. لتعيش تحت الحصار الدائم لأزمات الاقتصاد.. وجرائم الإرهاب والفوضى.. وتتعرض مصر.. للابتزاز الدائم.. بعدم احترام الحريات وحقوق الإنسان.. رغم كل ما يتعرض له الأمن القومى من مخاطر وتهديدات مباشرة.. وغير مباشرة.

أكاذيب لندن

وحين سقطت طائرة الركاب الروسية فى سيناء.. قالت الصحافة البريطانية: إن العلاقات بين مصر وروسيا.. لم تعد دافئة.. وحين سقطت طائرة مصر للطيران القادمة من باريس مؤخراً.. اعترفت الصحافة الفرنسية.. بأن علاقات الصداقة بين الرئيسين.. عبدالفتاح السيسى وفرانسوا أولاند.. هى الهدف.

وقد استيقظ العالم.. مع ساعات الصباح الأولى فى يوم ١٩ مايو الماضى.. على أنباء سقوط طائرة مصر للطيران القادمة من باريس.. ومن اللحظة الأولى تساءلت الدنيا بأسرها.. لماذا وكيف.. سقطت الطائرة فى مياه البحر المتوسط العميقة.. قبل دخولها المجال الجوى لمصر بدقائق؟!

حادث إرهابى.. أم خلل فنى.. وذهبت التوقعات والافتراضات بعيداً.. إلى حد.. اتهام إسرائيل بإسقاط الطائرة.. بصاروخ.. خلال مناورات جوية للطيران الإسرائيلى.. أو خلال تجارب للدفاع الجوى فى البحرية الإسرائيلية رغم أننا نعلم جيداً أن إسرائيل لا تريد مطلقاً أى أزمة مع مصر.

لكن سيناريوهات سقوط أو إسقاط طائرة مصر للطيران.. ذهبت بعيداً.. وبعيداً جداً.. واستبق الخبراء والمراقبون الأحداث والتحقيقات.. وقالوا إن انتشال بقايا أجسام بشرية بين فتات حطام الطائرة.. يوحى بحدوث انفجار.. أدى لإسقاط الطائرة.. وقد تم فعلاً انتشال أشلاء بشرية صغيرة جداً.. بما يشير إلى أن الانفجار أدى إلى تمزيق الطائرة.. وتفتيتها تماماً.. بما فيها ومن فيها.

ومع ذلك لم يتم العثور على أي أثر لمواد ناسفة أو قنابل بين حطام الطائرة حتى هذه اللحظة.. الجريمة الإرهابية.. ليست مستبعدة.. ولكن لا يوجد دليل عليها حتى الآن.. ولذلك قالوا إن الخلل الميكانيكى هو الأقرب.. ولكن لا يوجد دليل.

بالصمت الطويل

ويبدو أن الحادث المفاجئ.. قد نزع الصبر من الصدور والعقول.. وتحدثت أجهزة المخابرات الأمريكية.. عن ظاهرة الصمت الطويل الذى أصاب أوساط عصابات الإرهاب.. فى جماعة الإخوان والقاعدة وداعش.. وتساءل الخبراء الأمريكيون.. فى خبث ودهاء.. وقالوا.. لماذا لم يسارع "داعش" إلى الاعتراف بمسئوليته عن إسقاط طائرة مصر للطيران.. كما فعل فى حادث الطائرة الروسية؟!

وقال خبراء وكالة المخابرات المركزية الأمريكية إن الصمت الطويل لتنظيم داعش الإرهابى.. يوحى بأن الطائرة تعرضت لكارثة ميكانيكية.. أدت لانقطاع الكهرباء.. وهذا يؤكد أن أدلة الهجوم أو الجريمة الإرهابية لم تعد قائمة.. أو لم تتوافر بعد!!

ولا ينفى هؤلاء الخبراء أن عدم وجود تنظيم إرهابى يعلن مسئوليته عن الحادث.. لا يعنى استبعاد العمل الإرهابى.. خصوصاً أننا قد لا نعرف سر سقوط طائرة مصر للطيران القادمة من باريس.. قبل شهور طويلة وربما سنوات عديدة قادمة.. لكنه سعار الإعلام والصحافة على استعجال النتائج والتحقيقات.. الذى يصل أحياناً إلى حد المتاجرة المفضوحة فى آلام عائلات الضحايا.

حادث مأساوى

لكن كل الأدلة والمؤشرات تؤكد أن طائرة مصر للطيران.. قد تعرضت لحادث مأساوى.. أدى إلى سقوطها فجأة.

فقد ظلت الطائرة تحلق بصورة طبيعية على ارتفاع ٣٧ ألف قدم وبسرعة ٦١٣ ميلا فى الساعة.. حتى الثالثة و٢٩ دقيقة من فجر يوم ١٩ مايو.

وجاء انقطاع الاتصال المفاجئ بالطائرة.. ليوحى بحدوث مأساة أو شىء ما مدمر.. أدى لسقوط الطائرة. المخابرات المركزية الأمريكية.. وخبراؤها.. لا يستبعدون.. انفجار قنبلة.. أو صاروخ أرض - جو.. وإن كان الإرهابيون فى الشرق الأوسط.. لا يملكون صواريخ أرض - جو.. يمكنها الوصول إلى طائرات ركاب على ارتفاع شاهق.

خلل ميكانيكى

وتبدأ السيناريوهات.. والتساؤلات.. هل تعرضت الطائرة إلى هجوم انتحارى داخلها؟ هل حدث خلل ميكانيكى.. أدى إلى تدمير جسم الطائرة فجأة.. وبصورة لم تعط طاقم الطائرة أى فرصة لإرسال برقية استغاثة؟!!

وهناك من يقولون إن عصابات ومنظمات الإرهاب.. ترفض الإعلان عن مسئوليتها عن سقوط الطائرة هذه المرة.. بهدف إخفاء أساليب إرهابية جديدة فى تكنولوجيا جرائم خطف ونسف الطائرات المدنية؟! هل هناك جماعة إرهابية.. تريد أن تبقى مجهولة؟!

ويبدو لغز سقوط طائرة مصر للطيران هذه المرة.. معقداً.. ويستعصى على الحل أو الإجابة السريعة.. خصوصاً أن حطام الطائرة سقط فى المياه العميقة للبحر المتوسط.. ولن يتم الكشف عن أسرار سقوط الطائرة دون العثور على الصندوقين الأسودين.

سيناريوهات جديدة

لكن سيناريوهات ونظريات سقوط طائرة الركاب المصرية.. تجاوزت كل ما هو متعارف عليه فى الفكر التقليدى هذه المرة. ولذلك وجدنا من يقولون.. إن طائرة إيرباص - ٣٢٠ المصرية.. سقطت فى منطقة من شرقى البحر المتوسط.. تزدحم ليس فقط بالطائرات المدنية والعسكرية.. لكنها تزدحم أيضاً بأعداد هائلة من طائرات الدرونز.. التى تحلق فى السماء دون طيار.

ويحذر خبراء الاتحاد الدولى للنقل الجوى.. من أن الصدام المحتمل بين الطائرات المدنية.. وطائرات الدرونز التى تسير دون طيار.. من أكبر المخاطر التى تهدد الطيران المدنى فى السنوات الأخيرة.

فقد حدث تقدم هائل فى تكنولوجيا صناعة الدرونز.. حتى ازدحمت سماء البحر المتوسط بالطائرات العسكرية التى تحلق دون طيار.. رغم أنها تشكل أكبر خطر على سلامة الطيران المدنى فى هذه المنطقة.. والصدام بين أية طائرة للركاب.. وأية طائرة دون طيار.. يؤدى إلى كارثة مؤكدة.. لأن الصدام يمكن أن يحدث فى الأجواء العليا.

وأكد توناتا تايلر.. مدير المنظمة الدولية للنقل الجوى مؤخراً.. أن الطائرات التى تحلق دون طيار - الدرونز - تمثل تهديداً حقيقياً للسلامة الجوية وللطيران المدنى فى كل مكان.

فقد انتشرت الطائرات دون طيار.. فى كل سماء.. فى كل مكان.. لأغراض عسكرية وتجارية.. رغم أنها يمكن أن تتسبب فى كوارث جوية.. لا يمكن تجنبها.. وقال إن الطائرات التى تحلق دون طيار.. تفاجئ أطقم طائرات الركاب.. فى مناطق غير متوقعة.. وبصورة مفاجئة.. سواء فى مستوى التحليق

المنخفض بالقرب من مطارات الهبوط والإقلاع.. أو حتى فى الأجواء الدولية فى الارتفاعات الشاهقة.. وهذه من المخاطر الجديدة المتفاقمة لسلامة الطيران.. وطائرات الركاب المدنية.

بلا قواعد

وبالطبع لا يوجد حتى الآن قواعد تنظم حركة تحليق الطائرات دون طيار.. كما هي الحال بالنسبة للطائرات المدنية.

وقد تعرضت الطائرات المدنية فى أمريكا لنحو ٩٢١ حادثة بين طائرات الدرونز والطائرات المدنية خلال الفترة ٢٠١٣ و٢٠١٥ و٣٦٤ مرة من هذه الحالات.. تفادت الطائرات المدنية الصدام المباشر.. بطائرات الدرونز بمعجزة من القدرة.. خصوصاً أن قائد الطائرة المدنية الثقيلة.. يضطر فجأة للقيام بمناورات حادة لتفادى الصدام بطائرات الدرونز التى تظهر فجأة وعلى غير انتظار.. فى السماء.

ولذلك.. فرضت دولة مثل فرنسا.. حظراً على تحليق طائرات الدرونز.. على ارتفاع أكثر من ١٥٠ متراً.. خصوصاً قرب المطارات المدنية.. وذكرت مجلة لوبوان الفرنسية مؤخراً.. أن أية طائرة دون طيار.. يمكنها تدمير طائرة ركاب مدنية.. فى ثوان معدودة.. بمجرد الصدام المباشر.

القرصنة الإلكترونية

المعروف أن طائرات الدرونز.. تحلق دون طيارين فى سماءات العراق وسوريا.. والبحر المتوسط.. بصورة عشوائية.. متعددة الجنسيات.. الأمريكية والروسية.. والفرنسية والبريطانية.. والإسرائيلية.. وهى طائرات يتم التحكم فيها عن بعد.. ويقال إن طائرات الدرونز الأمريكية تحلق فى باكستان وسوريا والبحر المتوسط.. رغم أنه يتم التحكم فيها عن بعد فى القواعد الجوية الموجودة داخل أراضى الولايات المتحدة على بعد آلاف الأميال.. وليس فى قطر أو تركيا أو الأسطول السادس الأمريكى. فهل تاهت الحقيقة.. إلى حد أن نتصور أن طائرة مصر للطيران.. قد اصطدمت بطائرة مجهولة تسير دون طيار؟!

ويبدو أن البعض.. لا يقتنع بسهولة بأن الألغاز الغامضة لسقوط طائرات الركاب المدنية.. تستعصى على الإجابات السريعة.

لكن السيناريو الذى لم يتحدث عنه أحد بالتفصيل.. يتعلق بحروب السايبر..

وإمكانية استهداف الطائرات المدنية بالفيروسات الإلكترونية.. التى يمكن إرسالها إلى أجهزة الملاحة الجوية فى طائرات الركاب.. بما يؤدى لحدوث انقلاب.. فى الأجهزة الإلكترونية الخاصة بقيادة الطائرة.. فتتم السيطرة على الطائرات المدنية عن بعد.. والانحراف بها عن مسارها المرسوم.. والسقوط بها فى أعماق البحر أو المحيط.. حيث تغرق.. ويغرق معها سر الجريمة إلى الأبد.

وتحذر الوكالة الأوروبية للسلامة الجوية من مخاطر "القرصنة المعلوماتية" أو حروب السايبر.. التى أصبحت تشكل خطراً حقيقياً على سلامة الطائرات المدنية.

وبعض من يطلقون عليهم "الهاكرز" سواء فى أجهزة المخابرات.. أو حتى الأفراد.. أو بين جماعات الإرهاب.. يشكلون خطراً حقيقياً.. ليس فقط على سلامة الطائرات التى تحلق فى السماء.. ولكن على شبكات الكهرباء.. والمعلومات الخاصة بالبنوك والمؤسسات المالية.

وقد تعرضت أجهزة الكمبيوتر الأمريكية العملاقة فى البنتاجون لعمليات قرصنة شرسة من جانب الصين.. لم يدرك الأمريكيون أبعادها.. حتى حلقت فى سماء بكين.. طائرة مقاتلة صينية خفية من طراز ى - ٢٠ تشبه طائرة إف - ٣٥ الأمريكية.. وقد تردد سيناريو القرصنة المعلوماتية فى حادثة سقوط طائرة الركاب الروسية فى أكتوبر الماضى.. بعد أن انفردت المخابرات البريطانية.. بقصة الجريمة الإرهابية فى الحادثة.

الاختطاف بالمعلومات

ويقول باتريك كاى.. مدير الوكالة الأوروبية للسلامة الجوية.. إن طائرات الركاب المدنية.. يمكن أن تتعرض للقرصنة المعلوماتية.. وهى على الأرض.. أو حتى وهى تحلق فى السماء.. حيث تكون المخاطر عالية لا فرصة فيها للنجاة!

ويؤكد كاى أنه يمكن اختراق أجهزة الملاحة الجوية الإلكترونية فى طائرات الركاب.. خلال دقائق معدودة.. من خلال نظام الرسائل الالكترونية لشركات الطيران.. المعروفة باسم شبكة "أكار" الشهيرة.. خصوصاً فى طائرات إيرباص.. ويمكن لفرق الهاكرز.. اختراق نظم السيطرة الإلكترونية على الطائرات.

وفى إحدى تجارب تأمين النظم الإلكترونية فى الطائرات المدنية.. تمكن شاب من الهاكرز من اختراق نظم القيادة الجوية فى إحدى الطائرات خلال ١٥ دقيقة فقط.. وهذا ما يكشف حجم الخطر الذى تتعرض له الطائرات المدنية.. من

خلال القرصنة الإلكترونية والمعلوماتية.. وهذه التكنولوجيا متوافرة ليس فقط لدى دول كبرى.. مثل روسيا والصين.. ولكن أيضاً لدى جماعات إرهابية وعصابات الجريمة المنظمة.. التى تتلقى الدعم بالمال والتكنولوجيا من بعض أجهزة المخابرات العالمية.

ليست مجرد شاشة

وقد أصبحت سلطات وشركات الطيران المدنى تتحسب لمثل هذا الخطر.. خصوصاً بعد أن تمكن واحد من ركاب إحدى الطائرات من اختراق أجهزة الملاحة الجوية.. من خلال شاشة العرض السينمائى.. الموجودة فى مقعده داخل الطائرة.. واتضح أن شبكة عرض الأفلام لركاب الطائرة.. ترتبط أيضاً بأنظمة قيادة الطائرة.. وقد تمكن مهندس أمريكى يدعى كريس روبرتس فى أبريل ٢٠١٥ من تحويل مسار إحدى الطائرات.. بعد اختراق نظام الملاحة الجوية داخل الطائرة.. وأسفل كابينة القيادة بالتحديد.. حدث ذلك وهو على الأرض!!

ويقول الأمريكيون.. إنه يتم تشكيل خلية أزمة.. للتحقيق فى أسباب سقوط أية طائرة.. دائماً يكون احتمال تعرض الطائرة لعملية قرصنة معلوماتية وإلكترونية.. من بين الأسباب المطروحة للسقوط.. نعم القرصنة المعلوماتية ضد الطائرات المدنية واردة بشدة.. وهناك مذكرة أمريكية تحذر من خطر الحرب الإلكترونية ضد سلامة الطيران المدنى.. والمفاجأة أن الكثير من توصيات هذه المذكرة ظلت سراً.. لم يطلع عليه إلا المسئولون عن السلامة الجوية فى أمريكا.

أسئلة بلا إجابات

وتبقى كل الأسئلة بلا إجابات.. فى لغز السقوط الغامض لطائرة مصر للطيران.. وهى فى طريق العودة من باريس إلى القاهرة.. عمليات التحقيق سوف تدور حول الاحتمالات والنظريات.. حتى يتم العثور على الصندوق الأسود.. والأجزاء الرئيسية من حطام الطائرة.

هكذا.. تتعدد السيناريوهات والنظريات فى قصة أو مأساة طائرة مصر للطيران.. من الخلل الميكانيكى.. إلى الجريمة الإرهابية.. إلى احتمال الصدام المفاجئ بطائرة دون طيار.. وحتى القرصنة الإلكترونية.. التى لا تتوافر بشكل كامل إلا لدى أجهزة المخابرات العالمية.. ولم تتردد الصحافة العالمية فى الحديث عن احتمال إسقاطها بصاروخ.. أين الحقيقة من كل هذه النظريات والافتراضات؟! سؤال لن يجيب عنه إلا المحققون.. اليوم.. أو الغد.. أو بعد شهر أو سنوات.

قصة جيل من المصريين

ويبقى أن مصر.. وطن.. مستهدف.. بجرائم ومؤامرات الإرهاب والفوضى وحروب الجيل الرابع.. وهناك قوى عالمية.. وأجهزة سرية كبرى تسعى بكل قوة لتقويض أمن واستقرار مصر.. بالمؤامرات والمخططات السرية.. وحتى المعلنة.. لن ننسى جريمة استهداف صناعة السياحة المصرية.. بإسقاط الطائرة الروسية.

واليوم.. بدأ الحديث فى واشنطن عن مخاطر الإرهاب فى باريس وانتشار المتطرفين بين عمال الخدمات الأرضية فى المطارات المدنية الفرنسية.. خصوصاً أن ٨٦ ألفاً منهم من العرب والمسلمين القادمين من دول المغرب العربى. وباريس مدينة تعيش على السياحة.. يزورها ٣٦ مليون سائح سنوياً.

لكن هذا الجيل من أبناء شعب مصر.. يتحمل مسئولية ثقيلة فى صنع التاريخ اللائق بمصر.. فى هذا الزمن الصعب.. مهما كانت المؤامرات والمخاطر والتهديدات.. قد تكون مواردنا المادية محدودة.. لكن الطاقة الإنسانية للشعب والقوات المسلحة وأجهزة الأمن القومى.. كفيلة بصنع الفارق الحضارى، والظروف التاريخية الصعبة.. هى فرصة مصر وأبناء مصر.. لصنع التاريخ فى القرن الجديد.. مع القيادة الوطنية.. للرئيس عبدالفتاح السيسى.. ودائماً وأبداً.. تحيا مصر.. نعم.. سوف يصنع هذا الجيل وقيادته الوطنية.. تاريخاً جديداً.. لمصر.

واشنطن: صعود مصر الاقتصادى.. يهدد التوازن الإقليمى مع إسرائيل

مصر.. لم تعد تكتفى بأن تكون قوة إقليمية كبرى فى العالم العربى.. وحوض البحر المتوسط وإفريقيا.. لأن الرئيس عبدالفتاح السيسى.. يتطلع بقوة.. لضم مصر إلى قائمة دول الدرجة الأولى فى خريطة العالم.

هذا ما تتحدث عنه الصحافة الأمريكية والإنجليزية حالياً.. وانتقلت عدوى هذا الجدل حول مصر إلى صحافة باريس وبرلين مؤخرا.

وتساءلت الصحافة الإنجليزية والأمريكية.. حول هذه القضية المحورية فى الشرق الأوسط.. بما فيه من فوضى وإرهاب وأزمة سورية كبرى.. تكاد تعصف بالنظام الدولى كله.. وقالت الصحافة الأمريكية.. لصالح من.. يجب أن تصبح مصر.. قوة إقليمية كبرى.. ودولة من الدرجة الأولى فى خريطة العالم.

ولم تتردد بعض الصحف فى أن تقول إن الرئيس السيسى.. يرى بوضوح أن فرصة تاريخية كبرى.. تعرض نفسها على مصر.. لتحقيق الانطلاق الاقتصادى والتكنولوجى.. فى هذا القرن الجديد.. رغم سحب الأزمة الاقتصادية.. التى تتراكم فى سماء مصر.. ومختلف دول العالم العربى.. وأوروبا.. وحتى أمريكا.

واعترفت صحف أمريكية.. بأن صعود مصر الاقتصادى.. لم يكن يوما فى صالح التوازن الإقليمى فى الشرق الأوسط.. كما تريده واشنطن.. بالتحديد بين مصر وإسرائيل.

وقد اتجهت الولايات المتحدة الأمريكية للتعامل بخشونة اقتصادية دائما مع مصر.. رغم الحديث الدائم عن المساعدات الأمريكية لمصر.. العسكرية والمدنية وحرصت واشنطن دائما.. على إغلاق أبواب أسواقها فى وجه الصادرات المصرية.. حتى فى حقبة "الربيع الاستراتيجى" بين أمريكا ومصر.. فى عصر الرئيس السادات.. وحتى طوال عصر مبارك.

ولم يتم فتح الأسواق الأمريكية أمام الصادرات المصرية إلا بشكل ضئيل جدا..

ومن خلال طرف ثالث هو إسرائيل.. ومن المنطقى أن يترتب على غلق الأسواق.. ألا تتدفق الاستثمارات الأمريكية الحقيقية على مصر.. وبالطبع لم يتم نقل التكنولوجيا.. بالصورة التى تلبى الطموحات المصرية.

وكادت واشنطن تغلق كل الأبواب فى وجه مصر.. بعد ثورة ٣٠ يونيو٢٠١٣ لولا أن صانع القرار الأمريكى أدرك أن خسارة الشراكة مع مصر.. يمكن أن تؤدى آجلا أو عاجلا إلى.. خروج أمريكى غير كريم من الشرق الأوسط كله.

وقد اشتد الحقد والغضب الأمريكى تجاه مصر.. بعد ثورة ٣٠ يونيو.. وصعود كاريزما الرئيس السيسى فى سماء مصر والعالم العربى.. وغضب الرئيس الأمريكى باراك أوباما بشدة من الدعم المالى العربى الخليجى لمصر.. لأنه أدى فى النهاية إلى تآكل كل أدوات الضغوط الأمريكية على مصر.. وأخفق أوباما فى أن يتخذ قرارا بشأن مصر.. ولو حتى بالتعليق الجزئى للمساعدات العسكرية الأمريكية.. ولأول مرة يدرك صانع القرار الأمريكى أن مصر.. بالثورة.. أصبحت كاملة السيادة على قرارها الوطنى.. ولا تقبل الضغوط.. أو محاولات التدخل فى شئونها.. واتضح أن "جمهورية الموز" التى تصور البعض فى واشنطن.. أنها موجودة فى القاهرة.. لم يعد لها وجود.. ولن يكون لها وجود مرة أخرى.

ولا يخفى البعض فى واشنطن ولندن.. أن الغرب الأمريكى الأوروبى.. يريد فى هذه الأيام.. محاسبة مصر.. وقيادتها الوطنية.. على ما حدث من تحولات وطنية كبرى خلال ثورة ٣٠ يونيو.٢٠١٣, نعم يريدون الآن محاسبة مصر وقائدها.. على الثورة ومنجزاتها.. فى مصر والعالم العربى والهدف النهائى.. لهذا المخطط الأمريكى طويل المدى.. هو ضرورة أن يتم حرمان مصر.. من الفرصة التاريخية المتاحة أمامها.. لتحقيق الانطلاق الاقتصادى والتقدم.. بل وحرمان مصر من قيادتها الوطنية.. التى صعدت بتأييد تاريخى لم يسبق له مثيل من جانب ملايين المصريين.

لم يكن مثيرا للدهشة أن يتحدث رئيس البرلمان الإفريقى فى شرم الشيخ منذ أيام.. عن مصر.. بقيادة السيسى.. بأنها مصر التى تعود لأيام المجد القومى.. العربى والإفريقى.. فى عصر جمال عبدالناصر.

من مصلحة من أن يتحقق لمصر إذن الانطلاق الاقتصادى والتكنولوجى.. الذى طال انتظاره.. من قرن إلى قرن؟!

ليس من صالح الغرب الأمريكى الأوروبى.. بكل تأكيد.. خصوصاً وسط طوفان

الفوضى والإرهاب والثورات الملونة.. التى أطلقتها المخابرات المركزية الأمريكية والبريطانية.. فى المشرق العربى.. وفى ليبيا واليمن!!

حقيقة المؤامرة

وهذا هو جوهر المؤامرة على مصر.. التى يحاول البعض أن ينفى وجودها.. بوازع العمالة للمؤامرة.. وأحيانا بسبب انعدام القدرة على رؤية ما وراء الأحداث.

ولا يخفى البعض فى واشنطن ولندن وجود رغبة جامحة فى كواليس الغرب السرية.. لإعادة اختراع الثورة والفوضى والإرهاب.. فى مصر بأى ثمن.. وبأى صورة.. ولهذا صدرت التحذيرات الغامضة من سفارات أمريكا وبريطانيا وكندا.. من احتمالات حدوث عمليات إرهابية بالقاهرة يوم الأحد الماضى.

وقد أثارت تحذيرات السفارات الأمريكية والبريطانية.. سخرية البعض فى الشارع المصرى.. وقال المصريون من الواضح أن الأجهزة السرية الغربية.. تخطط لجرائم الإرهاب مع جماعة الخيانة والإرهاب.. لتسارع سفارات أمريكا وبريطانيا إلى التحذير من الجرائم.. قبل أن تحدث.. وجوه لا تعرف الخجل.. وأجهزة سرية أدمنت اختراع جماعة الخيانة والإرهاب.. كما اخترعت القاعدة وداعش وجبهة النصرة.. وكل مرتزقة الخيانة والإرهاب فى سوريا والعراق وليبيا.

الهدف الكبير

ويبدو واضحا أن مصر.. هى الهدف الكبير والنهائى للإمبراطورية الأمريكية.. التى تخشى أن تغرب عنها شمس المجد فى القرن الجديد.

ويعترف كبار قيادات المخابرات المركزية الأمريكية.. السابقون والحاليون بأن الولايات المتحدة أصبحت تجيد فن صناعة الثورات وتغيير نظم الحكم فى العالم العربى.. سواء بالثورات المصطنعة.. أو من خلال شبكات الإرهاب والفوضى وعصاباتها.. التى تتلقى المال والسلاح من المخابرات الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية.. وعبر تركيا.. ودول خليجية كبرى.. ولم تكن مفاجأة أن يعترف ضابط كبير سابق بالمخابرات التركية بأن الرئيس التركى أردوغان.. يحرص على استغلال تنظيم داعش الإرهابى.. لأسباب جيوسياسية.. تتعلق بأطماع تركيا فى أراضى سوريا والعراق.. واليوم ترفض تركيا سحب قواتها من الأراضى العراقية قرب الموصل.. كما فرضت سيطرتها على أجزاء من شمال سوريا.

أكاذيب بالتكنولوجيا

وبالطبع.. ليس جديدا أن نعرف أن الإعلام الغربى يجيد فن صناعة الأكاذيب.. وتحويلها إلى حقائق لا تقبل الجدل.. خصوصاً فى هذا العصر.. عصر المعلومات الكاذبة.. وكله بالإنترنت.. وبالتكنولوجيا الرقمية!!

ولأول مرة ترتفع أصوات صحفية أمريكية تدعى أن أهمية مصر الاستراتيجية فى الشرق الأوسط.. لا تكفى للحصول على الدعم الاقتصادى والاستثمارات الأمريكية.. من هنا نكتشف أن جوهر المؤامرة الأمريكية ضد مصر.. يكمن فى حصار اقتصادى غير معلن تعرضت له مصر.. منذ منتصف السبعينيات حتى اليوم.. وهذا هو ما أطلق عليه الخبير الاقتصادى الأمريكى "بلا كويل" اسم "الحرب بوسائل أخرى"

.. ولذلك وجدنا فى واشنطن ولندن من يتصورون.. عن حماقة أحيانا وعن حقد سياسى دفين دائما.. أن المصاعب الاقتصادية والمالية التى تواجه مصر حالياً من شأنها أن توفر الفرصة للغرب الأمريكى والأوروبى أن يتخلص من ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فى مصر.. وكل منجزاتها السياسية.. وحتى الاقتصادية.. التى تحققت حتى اليوم.

.. بصراحة صحيفة الإيكونوميست البريطانية.. مازالت تتصور أن كل الظروف مهيأة فى مصر.. لحدوث انفجار اجتماعى وسياسى جديد.. يفتح الأبواب لعودة تنظيم جماعة الخيانة والإرهاب إلى الشارع السياسى المصرى.. رغم أنف الشعب وقيادته الوطنية.

الشراكة مع مصر

ورغم أن خبراء التخطيط الاستراتيجى فى واشنطن.. يعترفون بأن الشراكة الاستراتيجية بين مصر وأمريكا.. وفرت القدرة والفرصة للولايات المتحدة على مدى عقود طويلة.. لتشكيل خريطة العالم العربى.. حسب المصالح الأمريكية والإسرائيلية.. إلا أن أصواتا ترتفع كذبا اليوم فى واشنطن.. وتدعى أن أهمية مصر الاستراتيجية لاتكفى لدفع أمريكا لتقديم المزيد من الدعم الاقتصادى لمصر.. ويقولون.. ماذا يمكن أن تقدم أمريكا لمصر.. وقد حصلت على أكثر من ٦ مليارات دولار.. مساعدات عسكرية منذ ٢٠١١ وحتى ٢٠١٦

وقد رحبت كل من اليابان وكوريا الجنوبية.. بالانفتاح الاقتصادى والتكنولوجى على مصر.. لكن الاستثمارات والمشروعات.. مازالت فى شبكات الأنابيب

المعقدة.. لايمكن أن تتدفق وتصل إلى مصر.. دون ضوء أخضر أمريكى وواضح وقوى.. صادر من البيت الأبيض!

قد تتبسم الوجوه أمامنا فى طوكيو وسول.. لكن لعبة الماريونيت الاقتصادى فى الشرق الأقصى.. تتعلق دائما بالأنامل الأمريكية.. قد يدعى الأمريكيون أن المال والاستثمار والتكنولوجيا.. بلا دين أو جنسية.. لكنها فى الواقع من أدوات الرخاء الاقتصادى.. التى لاتتحرك إلا بقرار سياسى.. صادر من واشنطن.. وهذه هى المفاجأة.. ولم يخف خبراء البنك الدولى يوما بعد أزمة الانهيار المالى فى آسيا فى ١٩٧٧ أن الاستثمارات العالمية.. لا تتحرك دون قرار وغطاء سياسى سميك فى واشنطن ونيويورك.

لقد عاشت مصر فى عصر مبارك الطويل فى شراكة استراتيجية طويلة الأمد مع الولايات المتحدة.. لكن هذه الشراكة.. لم تتحول إلى رخاء اقتصادى وتقدم تكنولوجى.. لأن أمريكا لاتتصور مطلقا أن تتمكن مصر من تحقيق التفوق الاقتصادى على إسرائيل. وهم يرون فى واشنطن أن تفوق مصر الاقتصادى على إسرائيل.. أكثر خطراً من أية أسلحة تتوافر لمصر.. أو يمكن أن تمتلكها القوات المسلحة المصرية. هل نقول إن فى واشنطن من يرفضون الصعود السلمى لمصر فى الشرق الأوسط!!

القرار الوطنى

من هنا.. نكتشف وجود من يخططون لبقاء مصر الطويل.. فى ظلام الأزمات.. الاقتصادية والأمنية.. إنهم يريدون أن تبقى مصر.. فى عزلة اقتصادية وسياسية عن العالم.. وكان حادث إسقاط طائرة الركاب الروسية فى سيناء.. هو ضربة البداية الاقتصادية.. فى مؤامرة إسقاط ثورة ٣٠ يونيو فى مصر.. والنظام السياسى الوطنى المستقل.. بقيادة الرئيس السيسى.

ويبدو أن أقذر ما فى زمن الفتنة.. والمؤامرة على مصر.. هو أن تسعى القوى العالمية فى أمريكا وأوروبا.. لحرمان دولة كبرى ذات سيادة.. مثل مصر.. من القدرة على اتخاذ أى مواقف أو قرارات سياسية.. وطنية.. تخدم الصالح القومى العربى.. فى هذا الزمن العاصف.. بالأزمات المالية والاقتصادية. وهذه هى الحرب بوسائل أخرى.. كما يتحدث عنها خبراء الاقتصاد والاستراتيجية فى واشنطن هذه الأيام.. وخصوصا إذا تعلق الأمر.. بدولة مثل مصر.. تتحمل أعباء سكانية ثقيلة.. على قلة ما لديها من موارد اقتصادية طبيعية أو صناعية.. وفى النهاية تتعرض مصر.. لضربات اقتصادية تحت الحزام.. تستهدف خنق

صناعة السياحة ووقف الرحلات الجوية من وإلى مصر.. كما حدث على مدى عام كامل منذ سقوط أو إسقاط طائرة الركاب الروسية وحتى اليوم.

القرار والثمن

هكذا.. ليس مثيرا للدهشة أن نجد أن أى قرار وطنى تتخذه مصر فى لحظة ما.. يمكن أن يكون له ثمن اقتصادى من نوع ما.

وقد سبق أن دفعت دول الخليج العربى ثمنا باهظا.. لوقوفها إلى جانب مصر خلال ثورة ٣٠ يونيو.. واتخذ الأمريكيون فى نيويورك قرارا غامضا.. أدى إلى خفض أسعار البترول فى الأسواق العالمية من ١٣٠ دولارا للبرميل إلى أقل من ٣٥ دولاراً للبرميل بالأسعار الحالية. ويؤكد الخبراء الأمريكيون أن الأسعار القائمة للبترول حالياً.. يمكن أن تبقى حتى منتصف ٢٠١٧ .

أى أن الاقتصاد العربى سوف يواصل النزيف.. لأن الانتعاش الاقتصادى العربى.. ليس فى صالح واشنطن. وأصبحت الودائع المالية الخليجية الهائلة فى بنوك أمريكا وأوروبا.. فى مهب الريح.. بالبيع أو التصفية.. أو من خلال الاستنزاف لتوفير السيولة المالية اللازمة لسد العجز فى ميزانيات السعودية والكويت والإمارات.. بعد الانخفاض الحاد لأسعار البترول.

أرصدة عربية

ويؤكد خبراء المال والأعمال فى نيويورك أن أربعاً من دول الخليج العربى هى السعودية والإمارات والكويت وقطر.. تمتلك ما تزيد قيمته على ٧ تريليونات دولار من الودائع والاستثمارات المالية فى البنوك المركزية.. للولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وإيطاليا.. واليابان.

ويتردد أن المملكة العربية السعودية وحدها تنفرد بدعم بنك الاحتياط الفيدرالى الأمريكى.. بأكثر من ٧٥٠ مليار دولار.. مشتريات سعودية من أذون الخزانة الأمريكية.

ويتحدث خبراء فى واشنطن حالياً.. عن العالم الذى نعيش فيه باعتباره ظلاً أسيرا فى قبضة الإمبراطورية الأمريكية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية.. وحتى اليوم.

ولكن يبدو أن نهاية النظام الدولى الأمريكى.. قد اقتربت والأزمة العاصفة بين روسيا وأمريكا.. حول سوريا تؤكد أن نظاما دوليا جديدا يتشكل فى بدايات

القرن الجديد. لم تعد أمريكا هى القوة العالمية المنفردة.. لكن البديل العالمى لأمريكا لم يظهر بعد.. ومازالت الصين.. لا تملك القدرة الكاملة على منافسة الولايات المتحدة.

الوقيعة

ومن يتأمل ملف المؤامرة على مصر.. قد يتعرض لصدمة كبرى.. حين يكتشف أنه يوجد من يحاولون الوقيعة بين مصر وشركائها فى العالم العربى وحول العالم.

وقد تولت وكالة الأناضول التركية.. ملف الوقيعة بين مصر وإثيوبيا.. بدعوى أنٍ مصر تقف وراء الاضطرابات القبلية والعرقية فى إثيوبيا.. ولم يجدوا دليلاً يؤكد أكاذيبهم سوى صورة لوجه مصرى يبدو غريبا وسط طوفان الوجوه الإفريقية الغاضبة فى أديس أبابا وما حولها. وتبدو أصابع التنظيم الدولى لجماعة الإرهاب والخيانة واضحة أيضا فى هذه المؤامرة.

وتستهدف تركيا وجماعة الخيانة من وراء هذه المؤامرة.. أن يتم دفع إثيوبيا للتراجع عن الشراكة الحيوية مع مصر فى ملف مياه النيل.. وليست قضية سد النهضة فقط.

هناك من يريدون دفع مصر دفعاً.. لارتكاب حماقة سياسية أو عسكرية من نوع ما.. مع إثيوبيا.. وهم لايدركون فيما يبدو أن القرار السياسى المصرى.. لا يتم إلا بناء على حسابات وطنية دقيقة للغاية.. كما أنه لم يسبق لمصر أن ارتكبت أى حماقة عسكرية ضد أحد.. أو ضد أى دولة إفريقية شقيقة.. خصوصاً إثيوبيا.. التى لا يوجد معها سوى ما يستوجب التعاون والشراكة الأزلية.. فى المياه وفى كل ملفات التنمية.

وربما كان ملف العلاقات بين مصر وإثيوبيا يتمتع بحساسية خاصة.. لكن أصابع العبث امتدت حتى للعلاقات مع الأشقاء فى المملكة السعودية ولا يخفى المراقبون فى لندن.. عاصمة المؤامرات الغربية ضد العرب.. أن الخلافات العربية حول سوريا.. ترجع فى جوهرها إلى العبث الأمريكى بمقدرات السياسة العربية.

ويؤكد هؤلاء الخبراء أن العبث الأمريكى بأبجديات وأولويات الأمن القومى العربى.. قد وصل إلى صورة صارخة.. تبعث على القلق على مستقبل دول وشعوب المشرق العربى كلها.. بلا استثناء واحد.

الصراع البديل

وفى إطار الأزمة السورية.. التى وصلت مؤخرا إلى طريق مسدود.. نجدهم يتحدثون فى إسرائيل وأمريكا وبريطانيا عن "نهاية الصراع العربى الإسرائيلى" الذى اختفت أسبابه ودواعيه.. حتى دون إيجاد حل للمشكلة الفلسطينية.

وأصبح الصراع العربى الإيرانى.. هو البديل الذهبى للصراع الفلسطينى الإسرائيلى.. فقد أصبح الصراع المذهبى السنى الشيعى.. هو البديل الجديد.. الذى يعفى إسرائيل من أى مسئولية عن مأساة الشعب الفلسطينى.. كما أن تصفية القضية الفلسطينية.. يعتبر ضرورة سياسية.. لأن الملف الخاص بالضياع والشتات السورى.. هو الملف الساخن الجديد.. الذى من شأنه أن يجدد الأحزان العربية فى نكبة جديدة.. تحطم القلب والعقل العربى فى القرن الجديد. وإذا كانت نكبة فلسطين.. هى قضية العرب فى القرن الماضى.. فإن النكبة فى سوريا.. ستكون أشد وطأة على الشعب السورى.. ومعه كل دول وشعوب العالم العربى.

قوة دبلوماسية كبرى

وتتحدث الصحافة الفرنسية.. عن الإنجازات السياسية والدبلوماسية التى تمكن الرئيس السيسى من تحقيقها.. من خلال مشاركته فى قمة العشرين الأخيرة التى انعقدت فى الصين.. ومن خلال حرصه على الوجود خلال الدورة الحادية والسبعين للجمعية العامة للأمم المتحدة فى نيويورك.

ويقول المراقبون فى باريس.. إن الرئيس السيسى تمكن من الصعود بمصر عالميا.. حتى أصبحت قوة دبلوماسية كبرى.. بأى مقياس سياسى أو دولى.. ولم يعد ينقص مصر.. سوى الانطلاق الاقتصادى.. حتى يصبح لصوت مصر السياسى.. وجود مالى ورصيد اقتصادى حقيقى فى أسواق العالم.

وهذه هى المعجزة التى يسعى الرئيس السيسى إلى إنجازها فى أقصر وأسرع وقت ممكن.. من خلال الانفتاح على الصين والهند واليابان وكوريا فى آسيا.. ومن خلال الانفتاح على روسيا.. الصديق القديم لمصر.

ويسعى الرئيس السيسى أيضا إلى تعزيز الشراكة الاستراتيجية بين مصر وفرنسا.. فى قلب أوروبا.. لتتجاوز.. صادرات السلاح الفرنسى لمصر.. إلى مجالات التكنولوجيا والطاقة والبنية الأساسية. وتمكنت مصر من تحقيق

اختراق واسع للعلاقات الاقتصادية مع ألمانيا وإيطاليا وترفض مصر.. حتى هذه اللحظة.. التفريط فى علاقاتها التقليدية مع الولايات المتحدة الأمريكية.

إن مصر.. تواجه اليوم.. لحظة حقيقية فاصلة.. ما بين حصار الأزمات والمؤامرات المالية والاقتصادية والأمنية.. وما بين الفرصة التاريخية التى صنعها القدر.. من خلال ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ الخالدة فى مصر.

فلم تعد مصر.. تكتفى بأن تكون قوة إقليمية تقليدية فى العالم العربى وإفريقيا.. لكن الرئيس السيسى يسعى لقيادة مصر القوية القادرة على الانضمام إلى قائمة دول الدرجة الأولى فى خريطة العالم.. بالطاقات الاقتصادية والتكنولوجية الجديدة.. وباستعادة الوجه الحضارى لمصر.. ودائما.. تحيا مصر.. وتسقط المؤامرة.. ولا مكان للمتآمرين.. تحت سماء مصر، وإرادة الشعب الموحدة مع الجيش والقيادة السياسية الوطنية.. كفيلة بإسقاط المؤامرة.. والمتآمرين.. ودائما وأبدا.. تحيا مصر.

قناة السويس القديمة.. والسد العالى.. والقناة الجديدة
٣ معجزات إنشائية عالمية فى مصر خلال ١٥٠ عاماً

تنفرد مصر.. بين مختلف الأمم والشعوب.. بأنها الدولة القديمة التى تعرف كيف تتجدد وتجدد من نفسها وكيانها مهما توالى الليل بعد النهار.. فى كل دورة جديدة للزمن وفى كل قصة جديدة للتاريخ ويحسب لمصر الأمة العريقة أنها تعرف دائماً كيف تكون جزءاً من الحضارة العالمية القائمة فى أى وقت وفى كل عصر مهما كانت التحديات والعداءات.. ومهما كانت التضحيات ومهما اشتدت مؤامرات الاستعمار والإرهاب والفوضى!!

ويحسب لمصر أنها هى الأمة التى انتصرت دائما على كل تحديات الأمن والوجود واعترفت الدنيا بأسرها أن فى مصر شعباً يعرف كيف يصنع التاريخ ويعرف كيف ينتقل برشاقة حضارية لا نظير لها من نهاية عصر إلى بداية عصر جديد وتؤكد الشواهد الخالدة فى أهرامات الجيزة.. أن بقاء ووجود الشعب المصرى ذاته فى هذا الجزء من العالم.. ليس إلا معجزة إنسانية وحضارية كبرى خالدة ما بقى للبشر وجود فوق كوكب الأرض.

وتقف وفود الدنيا مبهورة أمام المعجزة الحضارية والمعمارية الكبرى للهرم الأكبر.. ويقول المؤرخ الفرنسى الكبير إلكسندر موريه إن الباحثين والسائحين القادمين من مختلف دول أوروبا وأمريكا يتأملون وجوه المصريين ويتصفحونها بعمق فى شوارع القاهرة والأقصر وأسوان والإسكندرية وفى النهاية يعترفون لشعب مصر بقوة الإرادة وشدة البأس رغم كل تقلبات الزمن وتحديات الوجود فالشعب الذى أقام الأهرامات منذ فجر التاريخ لم يعجزه شىء على مر التاريخ ولن يعجزه شىء فى هذا القرن الحادى والعشرين الذى يطل على دول وشعوب العالم بالكثير من التحديات الرهيبة التى لم يسبق لها مثيل.

أرض المشروعات العبقرية

ربما كانت هذه هى معجزة عبقرية المكان والموقع الجغرافى الفريد لمصر ربما كانت المعجزة فى نهر النيل والتفاعل الخالد بين المصريين والأرض والنهر أو كما يقول الأمريكى فيكتور كوستوف إن من يعرف مصر الجغرافيا والأرض والتاريخ يدهشه بشدة اساطير المشروعات العبقرية العملاقة التى أقامها المصريون على مر الزمن.

يقول كوستوف إن مصر كانت دائما دولة أسطورية كبرى مهما اختلف الزمن وتغير التاريخ ومصر بطبيعتها تعيش على تاريخ طويل يمتد لآلاف السنين ترسخت فى العقل المصرى المبتكر الخلاق تقاليد أقامة المشروعات الفرعونية العملاقة وخرج من بين صفوف شعب مصر دائما سلسلة طويلة لن تنتهى أبدا من كبار الملوك والقادة أصحاب الرأى والرؤية والمواقف الكبرى وفى كل عصر قديما وحديثا اعتاد عظماء الملوك والزعماء فى مصر البدء بإقامة المشروعات الكبرى العملاقة وربما كانت أهرامات الجيزة من شواهد الحضارة التى تتحدى الزمن وتؤكد عبقرية العقل المصرى القادر على الابتكار والبناء وصنع الفارق الحضارى الخلاق.

مشروعات فرعونية

ويقول الأمريكى زكارى كاربل الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية فى كتابه "شق الصحراء.. إقامة قناة السويس" إن من يتأمل خريطة مصر الدولة والشعب فى العصر الحديث قد لا يصدق مطلقا أن أرض الحضارة الفرعونية فى الزمن القديم تنفرد بين كل أمم وشعوب العالم.. بأنها أقامت أعظم المشروعات الإنشائية الكبرى من منتصف القرن التاسع عشر وحتى بدايات القرن الحادى والعشرين.

لم يتصور أحد حين جرت احتفالات افتتاح قناة السويس التاريخية فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩ أن هذا المشروع العبقرى ينطوى على تغيير هائل فى الخريطة السياسية والجغرافية لثلاث قارات عالمية كبرى هى أوروبا وإفريقيا وآسيا.. ربما انطوى مشروع حفر القناة التاريخية على الكثير من المغامرة وحتى المؤامرة لكن هذا المشروع فى النهاية أدى إلى تغيير هائل فى شكل وخريطة اليابسة فوق كوكب الأرض.. ربما تغيرت طرق التجارة بين أوروبا وآسيا عبر قناة السويس مرة واحدة وإلى الأبد لكن مشروع القناة أيضاً أسهم فى تغيير شكل الحضارة الإنسانية الحديثة.

من القناة إلى السد العالى

وبعد مئة سنة بالتمام والكمال وبالتحديد فى عام ١٩٦٩ انتهت مصر من بناء مشروع السد العالى فوق مياه النيل فى أسوان وكان المشروع العملاق هو محور المشروع الوطنى للزعيم جمال عبدالناصر لإعادة بناء مصر الدولة الحديثة فى القرن العشرين وإذا كانت قناة السويس التاريخية هى أكبر المشروعات الإنشائية العالمية فى القرن التاسع عشر فإن السد العالى بمصادفة تاريخية عجيبة هو أعظم المشروعات الإنشائية العالمية فى القرن العشرين.

قيادة.. بالتخطيط

ويتساءل العالم الآن: ما قصة مصر مع المشروعات الفرعونية العملاقة من قرن إلى قرن ومن عصر إلى عصر ويبدى المراقبون حول العالم دهشة بالغة أمام قدرة المصريين على الإنجاز فلم يكن سهلا أن يتمكن المصريون تحت قيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى من شق قناة السويس الجديدة خلال ١١ شهرا فقط وليس ثلاثة أعوام كما كان يقول الخبراء.. هناك شىء عجيب فى جينات المصريين يدفعهم للعمل الجاد والإنجاز الوطنى خصوصاً إذا تعلق الأمر بمواجهة التحدى والإصرار على بناء المشروعات العملاقة مثل قناة السويس الجديدة التى تستعد مصر خلال الأيام القليلة القادمة للاحتفال بافتتاحها أمام حركة الملاحة العالمية بين الشرق والغرب ويؤكد الخبراء أن الرئيس السيسى يجيد القيادة بالتخطيط للمشروعات الكبرى فى زمن صعب.

ولم يصدق العالم مدى تأييد الشعب المصرى للرئيس عبدالفتاح السيسى إلا حين وقفت حشود المصريين بالآلاف لتوفير التمويل الهائل لمشروع قناة السويس الجديدة من مدخراتهم ولم يصدق الخبراء حول العالم أن يقدم المصريون ٥,٨ مليار دولار لهذا المشروع خلال ستة أيام فقط فى أجواء ثورة وأزمة مالية واقتصادية شديدة الصعوبة لكنها قوة الإرادة والرغبة الوطنية فى التحدى والبناء.

ويقول الأمريكى فيكتور كوستوف كان واضحا أن الجماهير المصرية الواسعة تعلن تأييدها للسيسى بشراء شهادات استثمار قناة السويس الجديدة ويؤكد أن هذه كانت خطوة اقتصادية عبقرية وخطوة سياسية جريئة واليوم أصبح مشروع قناة السويس الجديدة أكبر المشروعات الإنشائية فى القرن الحادى والعشرين بمقاييس الإنشاء واختصار زمن الإنجاز ليصبح هذا المشروع فى النهاية رمزا

وطنيا هائلا لوحدة المصريين خلف القائد عبدالفتاح السيسى فى لحظة فارقة من التاريخ ومن الصراع والحرب الطويلة ضد الإرهاب وجماعته وعصاباته.

صنع القرار

وتقول أليسون بيلى، خبيرة شئون الشرق الأوسط بجامعة أوكسفورد البريطانية، إن افتتاح قناة السويس الجديدة فى هذا المناخ البشع للإرهاب وجرائمه يؤكد قدرة مصر على البناء والإنجاز مهما كانت التحديات ويفتح هذا المشروع العظيم صفحة جديدة فى تاريخ مصر تؤكد قدرة الرئيس السيسى على القيادة وصنع القرار السياسى بالأفكار الخلاقة وبالمشروعات الكبرى التى تغير وجه الحياة فى إقليم ومحور قناة السويس.

وتوكد أليسون بيلى أن القناة الجديدة سوف تضاعف دخل مصر من القناة ثلاث مرات ليرتفع من ٥ مليارات دولار سنويا إلى ١٥ مليار دولار لكن استكمال المشروعات الاستثمارية والصناعية فى إقليم قناة السويس سوف يضيف أكثر من مئة مليار دولار سنويا إلى دخل مصر السنوى بما يعادل ٣٥٪ من دخل مصر القومى.

وتقول أليسون بيلى أيضا إن العد التنازلى للانتهاء من المشروع وافتتاحه اقترب من النهاية والعمل يجرى ليل نهار لافتتاح المشروع فى حضور زعماء وشخصيات عالمية كبرى فى ٦ أغسطس ٢٠١٥ لكن قناة السويس الجديدة ليست مجرد مشروع إنشائى عملاق له عوائد اقتصادية كبرى محتملة ومنتظرة لأن قناة السويس ذاتها تتمتع بمكانة خاصة فى الأعماق الوطنية والسيكولوجية للمصريين ومرة أخرى تلعب الصدفة التاريخية دورها لأن المصريين أضافوا قناة جديدة لقناة السويس القديمة التى احتفل المصريون فى ٢٦ يوليو ٢٠١٦ بالذكرى الستين لقرار جمال عبدالناصر التاريخى بتأميم القناة.

ثورة يوليو.. والقناة

ويحتفل المصريون بالذكرى الثالثة والستين لثورة يوليو ١٩٥٢ بقيادة جمال عبدالناصر قد يكون ترتيب الأيام والذكريات التاريخية من صنع آلة الزمن لكن من الواضح أن مصر تعيش مع الذكريات الخالدة لثورة يوليو ١٩٥٢ التى ارتبطت فى الذاكرة الوطنية المصرية بالمشروعات العملاقة منذ تأميم القناة وبناء السد العالى ومشروعات التصنيع الكبرى طوال الخمسينيات والستينيات.

وتؤكد الخبيرة البريطانية أليسون بيلى أن القناة الجديدة تضيف رصيدا هائلا

للرئيس عبدالفتاح السيسى الذى يبدو واضحا فى العقل المصرى أنه يسير على درب عبدالناصر فى إقامة المشروعات القومية الكبرى وتضيف ليست صدفة أن تتعمد مصر استلام الدفعة الأولى من طائرات الرافال الفرنسية فى يوم ٢٣ يوليو.. ببساطة لأن بناء القوات المسلحة المصرية الحديثة ارتبط باسم جمال عبدالناصر وبثورة يوليو ١٩٥٢

وقد نجح الرئيس عبدالفتاح السيسى فى تجديد شباب القوات الجوية المصرية والبحرية خلال أقل من عام واحد انطلاقا من مبدأ راسخ فى أعماق الوطنية المصرية بأن القوات المسلحة هى درع مصر وسيفها فى مواجهة كل التحديات والعداءات وفى تأكيد سيادة مصر على كامل ترابها الوطنى.

شق الصحراء

تؤكد أليسون بيلى أن مشروع قناة السويس الجديدة أصبح من الآن جزءا من تاريخ الرئيس عبدالفتاح السيسى ويقول زاكارى كارابل فى كتابه "شق الصحراء وإقامة قناة السويس" لقد بدأ العمل فى حفر القناة فى ١٨٥٩ بمجموعة تتكون من ١٥٠ فردا يقودهم قنصل فرنسا فى مصر الدبلوماسى الشهير فرديناند ديليسبس وصلوا عند منطقة الحفر الأولى عند بورسعيد حالياً وهم يحملون الفئوس فى أياديهم ورفع ديليسبس الفأس بنفسه مع مجموعة من العمال الفلاحين المصريين ليبدأ الضربة الأولى فى حفر القناة التى لم ينته العمل فيها إلا بعد عشر سنوات كاملة وبالتحديد فى ١٧ نوفمبر ١٨٦٩,

يقول كارابل لقد تنافست الدول الأوروبية الكبرى فيما بينها على حفر القناة وحاولت الدولة العثمانية الاعتراض على المشروع ومنع البدء فيه ولكن فى النهاية توجهت الإمبراطورة أوجينى زوجة نابليون الثالث ملك فرنسا ومعها ملوك وأمراء أوروبا إلى مصر للاحتفال بافتتاح قناة السويس وأقيمت احتفالات صاخبة فى مصر على مدى أسبوع كامل ووجه إسماعيل باشا خديو مصر الدعوة للوفود الملكية فى لندن وباريس وفيينا لحضور احتفالات الافتتاح.

ويقول زاكارى كارابل إن الانتهاء من حفر قناة السويس فى ١٨٦٩ كان انتصارا حقيقيا لقيم الحضارة الحديثة فى القرن التاسع عشر لكن قناة السويس غيرت من خريطة العالم وأكدت أن الجغرافيا لم تعد تفصل الشرق العربى عن الغرب الأوروبى ولم تعد الجغرافيا تفصل أوروبا عن آسيا.. خصوصاً عن الهند التى كانت محورا لحركة التجارة بين الشرق والغرب ورغم أنه لم يعبر القناة فى عامها الأول سوى ٥٠٠ سفينة فقط فإنها سرعان ما اكتسبت أهمية بالغة فى

حركة التجارة البحرية بين مختلف أنحاء العالم حتى أصبحت قناة السويس اليوم مركز العالم كله وربما لم يدرك العالم القيمة الاقتصادية والاستراتيجية لقناة السويس إلا حينما وقف الزعيم الراحل جمال عبدالناصر أمام جماهير الشعب المصرى فى الإسكندرية ليعلن تأميم قناة السويس فى يوليو ١٩٥٦ فى تحد صارخ لبريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة الأمريكية.

رفاهية العالم

كان واضحا أن العالم يعيش فى عصر فريد وغريب فقد أصبحت قناة السويس جزءا من رفاهية العالم ومصيرها يثير الفزع فى أوروبا ومختلف دول العالم فقد أقيمت القناة بعرق ودماء مئات الآلاف من المصريين ويقال إن أكثر من مليون فلاح مصرى اشتركوا فى حفر القناة على مدى ١٠ سنوات كاملة لقى منهم أكثر من ١٢٠ ألفا مصرعهم أغلبهم مات بسبب الفقر والجوع وانتشار وباء الكوليرا الذى لم يكن له علاج فى ذلك الوقت.

بدأ العمل فى القناة باتفاق غامض حتى اليوم بين ديليسبس قنصل فرنسا وخديو مصر محمد سعيد باشا الذى كان يرى فى فرنسا وبريطانيا.. النموذج الحضارى الذى يتمناه لمصر ولم يتمكن من تحقيقه وجاء خليفته الخديو إسماعيل الذى حاول أن يشترى مستقبلا أفضل بالقروض التى حصل عليها من بنوك أوروبا الكبرى.

ويؤكد زاكارى كارابل أن المصريين انتظروا طويلا حتى ظهر جمال عبدالناصر فى حياتهم وفاجأ العالم كله بمشروعه القومى لتجديد وجه مصر الحضارى وكان قراره بتأميم قناة السويس هو نقطة الانطلاق لبدء مشروع مصر الوطنى للتنمية والتقدم. كان عبدالناصر على يقين كامل بأن استعادة مصر لقناة السويس هو البداية الحقيقية لمستقبل مصر المشرق وبالفعل تصور المصريون أن حلم التقدم الذى ضاع منهم فى القرن التاسع عشر.. يمكن أن يتحقق فى القرن العشرين.

العودة للملفات البريطانية

وفيما تستعد مصر للاحتفال بافتتاح قناة السويس الجديدة نجد فى لندن من يعودون للملفات القديمة والوثائق السرية التى تكشف حقيقة المؤامرة الكبرى التى تعرضت لها مصر فى ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ حين بدأ العدوان الثلاثى على مصر بمؤامرة سرية بين بريطانيا وفرنسا وإسرائيل وتعترف الوثائق البريطانية

الجديدة بأن قرار عبدالناصر بتأميم قناة السويس.. أنهى عصرا وبدأ عصرا جديدا تماما بالنسبة لأوروبا والولايات المتحدة والعالم العربى.

فقد وقف جمال عبدالناصر أمام الجماهير الحاشدة فى الإسكندرية بوجه وسيم وقامة طويلة وصوت معدنى مشحون بالعواطف الساخنة ليذهل العالم كله بقراره التاريخى.. تأميم قناة السويس وتعمد عبدالناصر خلال الخطاب أن يسترسل ويعود لقصص التاريخ بما يساعده على تكرار اسم ديليسبس ١٣ مرة وكان هذا هو الاسم الكودى الرمزى وإشارة البدء التى قامت بعدها القوات المسلحة المصرية بالاستيلاء على مقر الشركة العالمية لقناة السويس فى الإسماعيلية وعلى كل منشآت الشركة من السويس إلى بورسعيد تنفيذا لقرار التأميم.

فى الذكرى الستين للتأميم

ويتوقفون فى لندن هذه الأيام أمام ذكرى ٢٦ يوليو ١٩٥٦ فى إطار الاستعداد للذكرى الستين لأزمة السويس فى ٢٠١٦ ومن هنا بدأنا نطلع على الوثائق الخفية الجديدة لقصة المؤامرة الدولية الكبرى التى خطط لها كل من أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وجى موليه رئيس وزراء فرنسا وديفيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل وربما تكشف الوثائق السرية البريطانية لأول مرة أن الهدف من مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر لم يكن مجرد استعادة قناة السويس والسيطرة عليها مرة أخرى لأن هدف بريطانيا وفرنسا الحقيقى كان هو غزو مصر وإسقاط جمال عبدالناصر وتغيير النظام السياسى الذى أقيم فيها بعد يوليو ١٩٥٢.

نقطة تحول

تعترف الوثائق البريطانية بأن فشل مؤامرة غزو مصر فى نوفمبر ١٩٥٦ كان يمثل نقطة تحول هائلة فى تاريخ السياسة العالمية بين أوروبا والشرق الأوسط والولايات المتحدة فلم ينتظر العالم طويلا وخلال شهور قصيرة جدا بعد قرار تأميم القناة شهدت الدنيا بأسرها النهاية المهينة لنفوذ الاستعمار لكل من بريطانيا وفرنسا فقد حدثت تغييرات عميقة فى كل من لندن وباريس عجلت بسقوط أنتونى إيدن رئيس وزراء بريطانيا وبسقوط الجمهورية الفرنسية الرابعة وقيام الجمهورية الخامسة بقيادة الجنرال شارل ديجول ولأول مرة تتعرض مدن لندن وباريس لتهديد بالضرب والحرب من جانب رئيس وزراء الاتحاد

السوفييتى السابق بولجانين وتصاعدت الدراما العالمية بعد قرار التأميم فى أيام معدودة اكتشفت بريطانيا وفرنسا خلالها مدى هيمنة الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى السابق على السياسة العالمية.

دولة فى الذيل

وتعرضت بريطانيا لضربة قاسية.. اكتشفت بعدها أنها لم تعد القوة الاستعمارية أو الإمبراطورية التى ربما كانت خريطة العالم تختلف عما نراه اليوم لكن فى هذا العصر كانت الطبقة السياسية الحاكمة فى لندن وباريس تؤمن بحق بريطانيا وفرنسا فى إدارة شئون الشعوب الأخرى والسيطرة عليها ويعترف الإنجليز اليوم بأن قرار عبدالناصر بتأميم قناة السويس كان مشروعا وصحيحا من الناحية القانونية لكن إيدن رئيس الوزراء بريطانيا كان يرى فى قناة السويس رصيداً استراتيجياً واقتصادياً لبريطانيا.. ولذلك اتخذ إيدن قراره بغزو مصر واحتلال منطقة القناة بالغريزة الاستعمارية التقليدية المتوارثة بين مختلف أجيال الطبقة السياسية الحاكمة فى بريطانيا.. لم يكن إيدن يريد القناة فقط بل كان يريد غزو مصر وإسقاط عبدالناصر.

عام المفاجآت

ويبدو أن ١٩٥٦ كان عام المفاجآت الكبرى فى تاريخ مصر والسياسة العالمية فقد قرر جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكى فجأة سحب عرض تمويل السد العالى وبقروض أمريكية رغم أن واشنطن كانت تدرك أن المشروع هو محور حلم ومشروع عبدالناصر لبناء مصر الحديثة وفى لندن لم تكن بريطانيا تثق فى عبدالناصر وسحبت أيضاً العرض الخاص بتقديم قرض لمصر لتمويل السد العالى.

وقال دالاس إنه من الأفضل أن نترك لروسيا عبء بناء السد العالى الذى يريده عبدالناصر لكنه لم يتصور مطلقاً رد فعل عبدالناصر ولم يرد بخياله أن هذا الزعيم المصرى الجديد يمكن أن يتخذ قراراً جسوراً بتأميم قناة السويس بهدف استغلال دخل القناة فى تمويل السد العالى بدلاً من الاعتماد على القروض الأمريكية والبريطانية وقروض صندوق النقد الدولى.

عبدالناصر.. الغاضب!

اشتعلت مدينة لندن فجأة بالغضب من قرار عبدالناصر بتأميم القناة وأجمعت الصحافة البريطانية على إدانة القرار وقالت صحيفة ديلى ميرور البريطانية

فى عناوينها الرئيسية: عبدالناصر الغاصب!! وقالت لو أفلت عبدالناصر بقناة السويس فلن يوقفه أحد سوف يقلده زعماء الحركات الوطنية فى المستعمرات البريطانية حول العالم ورفض إيدن التنازل عن قناة السويس وقال إنها شريان الحياة العظيم للإمبراطورية البريطانية ولذلك لا يمكن أن نسمح لعبدالناصر بوضع يده على القناة.

ولم يكن رد الفعل فى فرنسا أقل غضباً فقد كان لدى فرنسا مصالح كبرى فى قناة السويس والمقر الرئيسى للشركة العالمية للقناة يوجد فى باريس ولذلك كانت فرنسا مثل بريطانيا على أتم استعداد للانتقام من عبدالناصر وإسقاطه خصوصاً بعد دعمه الهائل لثوار الجزائر.

خيوط المؤامرة

من هنا بدأت المؤامرة السرية بين بريطانيا وفرنسا من أجل التخطيط لغزو مصر واحتلال منطقة القناة وإسقاط عبدالناصر بالقوة المسلحة وتكشف الوثائق البريطانية من جديد أن أنتونى إيدن كان يخطط لإعادة الملك فاروق الأول لعرش مصر علىٍ أن يتولى تنظيم الإخوان المسلمين تشكيل حكومة الخيانة الجديدة فى مصر بدلاً من حكومة ثورة يوليو بقيادة جمال عبدالناصر ويبدو أن إيدن كان يتصور أنه يستطيع التخطيط لغزو مصر بالتواطؤ مع فرنسا ومن وراء ظهر الرئيس الأمريكى فى ذلك الوقت دوايت أيزنهاور وفى الكواليس المظلمة للمؤامرة فى باريس ولندن.. تقدم ديفيد بن جوريون رئيس وزراء إسرائيل بأوراقه واقترح أن تبدأ إسرائيل الحرب على مصر وتكون هذه هى نقطة البداية لإصدار بريطانيا وفرنسا إنذارا إلى مصر بالابتعاد عن منطقة القناة ورقص إيدن فرحا حين عرضوا عليه خطة المؤامرة والغزو بعد الاجتماعات السرية التى جرت فى سيفو خارج باريس وحين رفض عبدالناصر الإنذار البريطانى الفرنسى قامت ألف طائرة بريطانية وفرنسية بقصف مختلف القواعد الجوية المصرية وبدأت قوات الغزو البريطانى الفرنسى النزول على شواطئ بورسعيد.

أمريكا فى الظلام

ووقف العالم على أطراف أصابعه واهتزت عواصم العالم وشعر الرئيس الأمريكى إيزنهاور بأنه فى الظلام لا يعلم شيئا عن خطة غزو مصر ووصف العملية بأنها خيانة من الحلفاء فى لندن وباريس ورفض إيزنهاور السماح لصندوق النقد الدولى بتقديم قرض لبريطانيا ينقذها من شبح الإفلاس

وبالفعل حين أدرك إيدن أن الاقتصاد البريطانى على وشك الانهيار استسلم وأصدر قراره بوقف عملية الغزو رغم غضب فرنسا وفشلت المؤامرة ضد مصر ولكن بعد أن تغير وجه التاريخ وأدركت بريطانيا أنه لا مكان لها فى السياسة العالمية إلا فى ذيل الولايات المتحدة الأمريكية وهذا هو الدرس الذى استوعبه تونى بلير رئيس وزراء بريطانيا فى عملية غزو العراق القذرة فى مارس ٢٠٠٣.

وخرج عبدالناصر من أزمة السويس زعيما لمصر ولشعوب الأمة العربية وأصبح تيار القومية العربية جارفا من المحيط الأطلنطى إلى الخليج العربى وتقول الوثائق والملفات البريطانية إن انتصار عبدالناصر فى ١٩٥٦ مازال عالقا فى الذاكرة العربية باعتباره كان بداية لحقبة مشرقة من الفخار القومى لمصر والأمة العربية.

المشروع القومى

وإذا كان قرار عبدالناصر بتأميم قناة السويس فى ١٩٥٦ هو البداية الحقيقية للمشروع القومى لبناء مصر الحديثة فى القرن العشرين فإن افتتاح قناة السويس الجديدة وازدواج حركة السفن فيها شمالا وجنوبا.. يعد هو البداية الحقيقية لتحقيق حلم مصر الجديدة فى التنمية والتقدم فى القرن الجديد تحت قيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى وكل مشروعات التقدم لا تتحقق إلا بالعرق والدم والدموع.

لقد تمكنت مصر من مضاعفة حجم قناة السويس بنسبة ٤٠٠٪ خلال الفترة من ١٩٥٦ وحتى ٢٠١٤ وبعد قناة السويس الجديدة تضاعف حجم قناة السويس بنسبة ١٠٠٠٪ وهى بذلك أصبحت ثورة كبرى وانقلابا هائلا فى حركة التجارة البحرية فى العالم وهذا المشروع القومى الكبير يعد القوة المحركة لحركة التنمية والتقدم فى مصر خلال القرن الجديد.. هو فى الحقيقة فرصة مصر الذهبية فى بداية الألفية الثالثة رغم كل مؤامرات الاستعمار والإرهاب.. تحيا مصر.. ويسقط الإرهاب.. جماعته وعصاباته!!

من دفتر المجد والنصر فى أكتوبر ٧٣
السقوط العسكرى لموشى ديان

خلال الشهور التى سبقت حرب أكتوبر ١٩٧٣ كانت النزعة العسكرية قد تغلبت على قادة وجنرالات إسرائيل.. كانت جولدامائير رئيسة وزراء إسرائيل.. قد بدأت تعانى من كل أعراض الوهن والضعف الجسمانى والسياسى.. وبدأت الاستعدادات السياسية تجرى فى إسرائيل للبحث عن خليفة للسيدة مائير. واشتعل الطموح السياسى فى قلب الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت.. وقد رأى فى نفسه أنه الوحيد فى إسرائيل القادر على تحقيق الحلم الصهيونى الكبير.. بالامتداد بالحدود السياسية والجغرافية لإسرائيل من الجولان السورى فى الشمال.. إلى القدس والضفة الغربية على نهر الأردن.. وحتى سيناء فى الجنوب.

كان نجم ديان قد صعد فى سماء إسرائيل بعد الانتصار العسكرى الزائف الذى تحقق لإسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ وأصبح منصب وزير الدفاع أقل من طموحات موشى ديان.. الذى بدأ يرى فى نفسه الجنرال الوحيد فى إسرائيل.. الذى يمكن أن يحقق حلم صهيون.. فى إقامة إسرائيل الكبرى على يديه.. وذات يوم وقف ديان فى تل أبيب وسط حشد هائل من مؤيديه.. ليعلن صراحة أن السيدة جولدامائير رئيسة الوزراء.. تمثل الحرس الصهيونى القديم.. من رفاق ديفيد بن جوريون مؤسس دولة إسرائيل.. وقد حان الوقت للتخلص من هذا الجيل.. الذى يمتاز بالعجز السياسى عن اتخاذ القرار.. الذى ينتظره أبناء صهيون فى إسرائيل.. واعترف ديان بأن السيدة جولدامائير رئيسة الوزراء لا تريد حقًا الانسحاب من الأراضى التى احتلتها إسرائيل فى القدس والضفة الغربية والجولان السورية وغزة وسيناء المصرية.. لكنها عاجزة عن اتخاذ القرار السياسى التاريخى.. بإعلان ضم هذه الأراضى رسميًا إلى دولة إسرائيل.. وتحقيق أحد الأحلام الصهيونية الرئيسية.. فى إقامة إسرائيل الكبرى.

مشروع ديان

وبدأ الجنرال موشى ديان الحديث طويلاً عن مشروعه الصهيونى الكبير للاستيطان والتوسع فى القدس والضفة الغربية وغزة والجولان.. وحتى سيناء المصرية.. وقال إنه يخطط لبناء مستوطنة ياميت فى شمال سيناء على البحر المتوسط.. ليجعل منها أول ميناء عميق يقام فى إسرائيل.. وتحدث الرئيس أنور السادات بمرارة عن خطة ديان للاستيطان فى سيناء وقال.. إنها خنجر فى القلب.. وقال إن خطة ديان لإقامة هذه المستوطنة فى سيناء وحدها.. تكفى لاتخاذ القرار بالحرب.

ولم ينسَ ديان أن يشيد بقرار الجنرال الإسرائيلى أريل شارون بنقل معسكرات تدريب الجيش الإسرائيلى إلى الضفة الغربية.. ورحب بالجنرال العظيم الذى يسعى لفرض الحقائق الصهيونية على الأرض الفلسطينية المحتلة!!

الشعب الفلسطينى

وقف ديان أمام شاشات التلفزيون الأمريكى ليعلن أن الشعب الفلسطينى.. شعب مهزوم.. وفلسطين لم يعد لها وجود.. انتهت.. ووضع ديان خطته الشاملة للاستيطان فى الأراضى العربية المحتلة فى أبريل ١٩٧٣ ما يؤكد أن وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت كان يخطط للاحتلال الإسرائيلى الدائم للضفة الغربية وغزة والقدس.. وقال لا يوجد أمام الشعب الفلسطينى سوى القبول بالحياة إلى جوار الشعب الإسرائيلى.. تحت الاحتلال الإسرائيلى.. وتحت السيادة الإسرائيلية!!

وتفرغ الجنرال موشى ديان للقيام بحملاته السياسية.. استعدادًا لاقتناص منصب رئيس الوزراء من السيدة جولدامائير ليكون هو فقط الخليفة المنتظر لها.. وقال داخل أروقة حزب العمل الإسرائيلى الحاكم.. إننى مستعد للرحيل عن حزب العمل.. لو لم أحصل على التأييد والدعم المناسب من هذا الحزب.. فى هذه اللحظة شعر موشى ديان بأنه الجنرال المتوج بانتصارات إسرائيل الأسطورية على العرب.. قد أصبح أكبر من أى حزب سياسى فى إسرائيل.. حتى لو كان حزب العمل.. الذى يدعى دائمًا أنه حزب ديفيد بن جوريون.. مؤسس دولة إسرائيل.

الإعلان الصهيونى

ومرة أخرى وقف ديان أمام مؤيديه فى تل أبيب.. ليعلن أنه يرى حدود إسرائيل الجديدة بعيدة وواسعة.. قوية وحصينة.. وغير قابلة للاختراق.. بعد أن امتدت سلطة الدولة فى إسرائيل من الضفة الغربية لنهر الأردن.. إلى سيناء وقناة السويس!! وقال ديان إن ما يقوله هو الإعلان الصهيونى الجديد.. الذى يجب أن تقبل به السيدة جولدامائير وكل من يبقى حولها من الحرس الصهيونى القديم.. من عملاء الاستعمار البريطانى والأمريكى.

الشهور الحاسمة

فى ذلك الوقت بدأت الشهور الحاسمة التى سبقت الحرب على جبهتى قناة السويس والجولان.. بدأت القوات المسلحة المصرية العد التنازلى للحرب.. وقامت بتدريبات ومناورات واسعة على عملية عبور قناة السويس.. واقتحام خط بارليف.

ولم تتصور إسرائيل للحظة واحدة.. أن الرئيس أنور السادات سوف يتمكن ذات يوم من اتخاذ القرار الحاسم بالحرب.

حدث انقسام سياسى هائل على مستوى القمة داخل إسرائيل وجنرالات المؤسسة العسكرية بقيادة موشى ديان وزير الدفاع.. يرون أنهم ملوك الصهيونية الجدد.

واشتعل الجدل والنقاش واسعًا فى إسرائيل حول كيفية ضم الأراضى العربية المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ إلى دولة إسرائيل.. وكيف يمكن لإسرائيل أن تفرض سلطتها على الشعب الفلسطينى فى القدس والضفة الغربية وغزة.

تحول انتصار إسرائيل العسكرى فى حرب يونيو ١٩٦٧ إلى أسطورة كبرى.. ملأت العقل السياسى الإسرائيلى حتى أصبح هو الحقيقة الوحيدة.. التى تفرض نفسها على الكيان الإسرائيلى والذى سيطرت عليه النزعة العسكرية التوسعية.. بما لم يبقَ فى الأفق أى مساحة لأى تسوية سياسية للصراع العربى الإسرائيلى.. ودأبت السيدة جولدامائير رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت على الحديث بنعومة سياسية صهيونية مع الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون.. لكنها كانت تسلق الحرب بلسانها أمام الصحافة الإسرائيلية والعالمية.. وهى تقول.. لا يوجد شىء اسمه.. الشعب الفلسطينى!! وأدركت جولدامائير مبكرًا.. أن استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية.. هو

وسيلتها الوحيدة لضمان البقاء فى السلطة.. رغم أن عافيتها الصحية.. كانت تخذلها أحيانًا.. بحكم سنين العمر والأمراض التى كانت تحاصرها.

بين جولدا وديان

وتصور البعض خطأ أن المرأة العجوز فى إسرائيل أكثر اعتدالا من موشى ديان.. مع أنها فى الواقع.. لم تكن تختلف معه سياسيًا.. حتى فى التفاصيل.. هى لا تريد الانسحاب من الأراضى العربية مطلقًا.. وموشى ديان يريد ضم هذه الأراضى لإسرائيل.

.. جولدامائير تخطط لاحتلال إسرائيلى دائم.. وديان يخطط لاحتلال إسرائيلى يجعل من الأراضى العربية جزءًا من أراضى إسرائيل.

سحب الحرب

وهكذا.. تحول موشى ديان إلى أكبر شخصية سياسية فى إسرائيل فى صيف ١٩٧٣ فى وقت كانت سحب الحرب تتجمع فيه بكثافة فى سماء الشرق الأوسط.

فى هذا الوقت أصدرت هيئة أركان الجيش الإسرائيلى قرارها بإعفاء الجنرال أريل شارون من منصب قائد القيادة الجنوبية الإسرائيلية على جبهة قناة السويس.. واضطر شارون إلى تسليم القيادة للقائد الجديد.. الجنرال شموئيل جونين وفشل الجنرال شارون فى الحصول على تنازل من الجنرال ديان وزير الدفاع.. بما يعطيه الفرصة للاستمرار فى الخدمة العسكرية.. وفى النهاية وافق له ديان على أن يكون أحد ضباط الاحتياط فى الجيش الإسرائيلى.. واضطر الجنرال شارون للتفرغ لحياته الخاصة.. لكنه اتجه أيضًا للسياسة.. وسرعان ما تلاقت خطاه مع الصهيونى القبيح مناحم بيجن زعيم حزب حيروت اليمينى الصهيونى.. واتفق شارون وبيجن على تأسيس تكتل جديد لليمين الصهيونى يحمل اسم الليكود.

واكتشف العالم كله.. الوجه القبيح للمشروع الصهيونى فى إسرائيل.. فقد اتضح أن اليسار الإسرائيلى.. بقيادة جولدامائير وموشى ديان.. لا يختلف كثيرًا.. عن اليمين الإسرائيلى بقيادة مناحم بيجن وأريل شارون.. موشى ديان يريد التوسع والاستيطان فى جميع أنحاء الأراضى العربية المحتلة.. وكل من أريل شارون ومناحم بيجن.. يريدان أن تتوفر لإسرائيل الجرأة والشجاعة.. ما

يكفى للامتداد بحدودها حتى الجولان والقدس والضفة الغربية.. وسيناء.. وقال شارون لابد أن نتذكر دائمًا عبارة ديفيد بن جوريون الشهيرة.. حين قال: «لا يهم ماذا يقول العالم.. ولكن المهم هو ما يقوله اليهود»!!

مفارقات القدر والتاريخ

ومن مفارقات القدر والتاريخ.. أن يتوجه الجنرال أريل شارون إلى سيناء فى يوم السبت التاسع والعشرين من سبتمبر ١٩٧٣ أى قبلٍ حرب أكتوبر بأسبوع واحد.. كان شارون فى زيارة لسيناء ليس باعتباره جنرالاً.. ولكن باعتباره أحد زعماء حزب الليكود الجديد.. وقد اصطحب شارون معه زوجته "ليلى" وولديه جيلاد وعمرى.. فى نزهة خلوية على شاطئ قناة السويس.

وقف شارون على شاطئ القناة بجوار زوجته وولديه يشاهد الجنود المصريين وهم يقومون بدعم تحصيناتهم على شاطئ القناة.. ومع ذلك أكد شارون لكل من حوله.. رغم كل الاستعدادات العسكرية التى يقوم بها المصريون.. فإن كل شىء يبدو هادئا.. وشبح الحرب.. يبدو أبعد ما يكون!! حدث ذلك قبل اندلاع حرب أكتوبر بسبعة أيام فقط.. ما يؤكد أن خطة الخداع الاستراتيجى المصرية كانت فائقة الدقة.. وتامة النجاح.

خيال ديان المريض

وفى مقر وزارة الدفاع الإسرائيلية فى تل أبيب.. بدأ خيال الجنرال موشى ديان يذهب به بعيدًا.. لدرجة أنه بدأ يتحدث مع من حوله.. عن احتمالات انهيار الجيش المصرى.. قبل أن يبدأ أى حرب جديدة مع إسرائيل.. واستبعد ديان أيضًا احتمالات الحرب مع مصر أمام جنرالات هيئة الأركان الإسرائيلية.

ومرة أخرى.. ابتلعت إسرائيل خطة الخداع الاستراتيجى المصرية تمامًا.. وفى هذه الأيام جلس موشى ديان فى مكتبه فى تل أبيب مع الدبلوماسى الأمريكى نيكولاس فاليتوس الذى أصبح سفيرًا للولايات المتحدة بالقاهرة فيما بعد.. وقال له ديان.. إن الجيوش العربية أصبحت مثل السفن القديمة.. التى تقف على رصيف مهجور فى أحد الموانئ.. وقد أكلها الصدأ من جميع الجوانب!!

وقام نيكولاس فاليتوس بجولة على الجانب الإسرائيلى من جبهة القناة فى رفقة جنرال إسرائيلى.. قال له.. إن المصريين قد يمكنهم عبور القناة ليلاً.. ولكن حين يشرق الصباح لن يكون لهم وجود على الأرض؟ لأننا سوف نقتلهم.

تقارير الموساد

وبدأ موشى ديان بتلقى تقارير المخابرات الإسرائيلية.. وكلها كانت تؤكد حول أواخر سبتمبر والأول من أكتوبر ١٩٧٣ أن الجيوش العربية لا يمكنها المغامرة بدخول الحرب مع إسرائيل.. ببساطة لأنها لا تمتلك التفوق الجوى.. وأن سلاح الطيران الإسرائيلى.. مازال هو ذراع إسرائيل الطويلة القادرة على حسم المعركة لصالح إسرائيل فى أى حرب قادمة ودون التفوق الجوى.. لا يمكن للعرب مواجهة قوة الدبابات والمدرعات الإسرائيلية.. ودون حصول مصر على طائرات مقاتلة بعيدة المدى.. لا يمكنها نقل الحرب إلى عمق إسرائيل.

أصبح هذا هو التقدير الثابت للمخابرات الإسرائيلية بشأن القدرات العسكرية للجيوش العربية.

قال الجنرال إيلى زعيرا.. رئيس جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية.. إن العرب لا يمكنهم تحمل مهانة الهزيمة العسكرية مرة أخرى.. دون توفر التفوق الجوى لديهم.. واتفق مع الجنرال زعيرا.. كل من الجنرال ديفيد بن أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى والجنرال ثيفى زايد رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلى الموساد.. واتضح أن ثلاثى الجنرالات.. قد أصيب بالعمى السياسى والعسكرى.. وانضم إليهم الجنرال الرابع موشى ديان وزير الدفاع.. وعجز الجميع فى إسرائيل عن فهم وإدراك حقيقة نوايا وخطة الرئيس أنور السادات.

تحرير ٤١

وفشل جنرالات إسرائيل فى فهم كل أحاديث الحرب التى كانت تتردد فوق رءوسهم وحين أعلنت مصر مناورات الخريف فى أوائل أكتوبر ١٩٧٣ تحت اسم تحرير ٤١ لم يحرك ديان وجنرالاته ساكنًا.. وكانوا جميعًا على يقين من أن الحرب أبعد من أن تحدث.

ولم تدرك إسرائيل إلا متأخرًا جدًا.. أن مناورات الخريف المصرية كانت جزءا من خطة الخداع المصرية.. لبدء الحرب.. ولكن بعد فوات الأوان.

تقارير ساخنة فجأة

وفجأة تلقت المخابرات الإسرائيلية تقارير ساخنة واردة من لندن وكبريات عواصم أوروبا.. تؤكد أن الرئيس أنور السادات.. والسورى حافظ الأسد قد اتفقا على بدء الحرب على إسرائيل فى ساعة واحدة على جبهتى الجولان

وسيناء.. وبالتحديد فى الساعة السادسة من مساء السادس من أكتوبر ١٩٧٣ مع آخر ضوء من نهار هذا اليوم.

وكشفت الملفات الإسرائيلية السرية أن السيدة جولدامائير رئيسة الوزراء لم تعرف بتقارير الموساد حول الحرب القادمة فى صباح اليوم التالى.. ولكن صباح يوم الحرب. السادس من أكتوبر ١٩٧٣ أى قبل نشوب الحرب بساعات معدودة!!

مع ذلك اتضح أن التقارير الأخيرة للموساد.. خاطئة، لأن الحرب اندلعت فى الثانية عند الظهر.. وليس فى السادسة مساء كما قال الموساد.. وكانت مفاجأة قصمت ظهر إسرائيل فى بداية الحرب.. وطوال أيام معارك ٦ أكتوبر ١٩٧٣ .

فى توقيت واحد

وبدأت معارك الحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ فجأة.. على جبهة قناة السويس وفى الجولان فى توقيت واحد.. وجنرالات إسرائيل فى جدال واسع فى حضور جولدامائير رئيسة الوزراء، وقد عقدوا مجلس حرب مفاجئ.. وهم لا يعرفون كيف يمكنهم مواجهة الحرب.. وقد اندلعت فجأة.. وحاصرتهم بغتة.. وهم بالملابس الداخلية.. كما يقولون!!

فقد وقعت الحرب بغتة.. فى يوم السادس من أكتوبر.. وقد تعمد الرئيس السادات أن تبدأ مصر الحرب فى يوم الغفران.. أقدس أعياد اليهود.. الذى تتعطل فيه جميع صور ووسائل الحياة فى جميع أنحاء إسرائيل.

وقد بدأت القوات المصرية الحرب.. بضربة جوية شاملة لجميع المواقع الإسرائيلية فى سيناء.. مع تركيز خاص على مراكز القيادة والسيطرة وعلى الحشود العسكرية الإسرائيلية والمطارات الإسرائيلية فى سيناء.. وامتد القصف الجوى المصرى إلى اثنتين من القواعد الجوية الإسرائيلية فى جنوب صحراء النقب.

وكانت هذه هى المفاجأة المصرية الأولى فى الحرب.. لكن المفاجأة الأكبر.. كانت من الضربة الافتتاحية للمعارك عبر قناة السويس.. فقد بدأت المدفعية المصرية الحرب بقصف كثيف ومركز لجميع حصون وقلاع خط بارليف.. بصورة لم يسبق لها مثيل فى تاريخ الحرب من قبل.. كما يؤكد ويسجل المؤرخون العسكريون حتى اليوم.

مفاجأة الصواريخ

ولأول مرة يدرك جنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية أنهم أساءوا تقدير قيمة الأسلحة الروسية الحديثة فى ترسانات الجيوش المصرية والسورية.. خصوصًا الصواريخ المضادة للدبابات.. ومظلة الصواريخ المضادة للطائرات.

وقد أجادت القوات المصرية استخدام صواريخ الدفاع الجوى فى إسقاط طائرات الفانتوم الإسرائيلية التى تساقطت مثل الذباب فوق جبهة القناة.. أما الدبابات الإسرائيلية فقد سقطت فى مفرمة اللحم.. فى مواجهة الصواريخ المصرية الجديدة المضادة للدبابات.. وكانت هذه من مفاجآت الحرب الكبرى فى أكتوبر ١٩٧٣ .

السادات خطط للمفاجأة الاستراتيجية..
بإنذار زائف بالحرب فى مايو ١٩٧٣

فشلت الولايات المتحدة الأمريكية.. فى تغيير الخريطة السياسية لدول جنوب شرقى آسيا.. خلال حرب فيتنام الرهيبة.. ورغم المؤامرات والانقلابات التى خططت لها المخابرات المركزية الأمريكية.. فى دول أمريكا اللاتينية.. طوال الخمسينيات والستينيات.. فإن الولايات المتحدة.. فشلت فى النهاية فى تغيير خريطة الحدود بين الدول.

لكن الولايات المتحدة.. تحاول حالياً بكل ما لديها من جبروت وشراسة أن تقوم بتغيير الخريطة السياسية لدول المشرق العربى.. بما يؤدى فى النهاية إلى اختفاء العراق وسوريا تماماً.. من خريطة العالم العربى.. ويفتخر كبار القادة والجنرالات فى وزارة الدفاع الأمريكية حالياً.. بأن وحدات القوات الخاصة الأمريكية.. المنتشرة فى العراق وسوريا.. قد تمكنت من تغيير استراتيجية وخطط الحرب الحديثة.. من خلال تغذية عناصر وتيارات الإرهاب والتطرف الدينى.. مما أدى إلى نشر الإرهاب والفوضى فى العراق وسوريا.. وحتى ليبيا واليمن!!

.. واختفت من الذاكرة القومية للعرب كل دعاوى الوحدة والتضامن.. بعد أن أصبح بعض العرب.. يتآمرون مع أمريكا وإسرائيل.. ضد أشقائهم العرب.. ولن يرحمنا التاريخ.. ولن تغفر لنا الشعوب العربية.

لم نعد نتغنى "بالوطن الأكبر".. تتداعى إلى العقل كل هذه المعانى الحزينة.. ونحن نستعد فى هذه الأيام للاحتفال بذكرى خالدة فى الوجدان القومى العربى.. لانتصاراتنا الكبرى فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

.. وحقاً يقولون حالياً فى واشنطن ولندن وتل أبيب.. بالكثير من الشماتة والزهو.. إن العرب يعيشون حالياً فى مأساة قومية لا حدود لها.. بعد أن تحولت خريطة المجد العربى فى أكتوبر ١٩٧٣ إلى خريطة للحزن العربى القومى الشامل فى ٢٠١٥ ويالها من أحزان.

ماذا حدث؟

.. لن ندرك حجم ما حدث من تغييرات هائلة فى حياتنا وحياة الشعوب العربية من الكويت إلى المغرب.. إلا إذا عدنا إلى خريطة المجد القومى العربى فى أكتوبر ١٩٧٣ لابد أن نعود بالذاكرة.. إلى الوراء.. لنراجع ونسترجع ما حدث وما جرى وما كان.. كيف كان الموقف العالمى من الصراع العربى الإسرائيلى؟.. وماذا كان يحدث فى الولايات المتحدة الأمريكية؟ وكيف كان العالم فى عصر الاتحاد السوفييتى السابق؟ وكيف كانت مصر تستعد وتخطط فى صمت وسرية مطلقة للانطلاق على طريق الحرب.. بقيادة الرئيس الراحل أنور السادات الذى تحمل المسئولية بعد الرحيل المفاجئ للرئيس عبدالناصر عن الحياة.

وكيف نجحت مصر فى التخطيط لصنع المفاجأة الاستراتيجية والتكتيكية الكاملة ضد إسرائيل فى هذه الحرب.. ومازالت خطة المفاجأة الاستراتيجية التى صنعتها مصر فى هذه الحرب.. درساً ثابتاً ومقرراً.. على كل الدارسين فى الأكاديميات العسكرية الكبرى فى العالم.. حتى بعد مرور ٤٢ عاماً على الحرب.

.. يقول المؤرخ الأمريكى باتريك تايلر فى كتابه الشهير.. "إسرائيل القلعة".. إن النزعة العسكرية تغلبت على العقل والفكر الإسرائيلى.. بعد الانتصار الزائف الذى تحقق لها فى يونيو ١٩٦٧ وانحازت إسرائيل للحرب.. ضد السلام.. وفى النهاية تعرضت للهزيمة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ ودفعت إسرائيل ثمناً باهظاً للغرور العسكرى لجنرالاتها.. وللغطرسة السياسية التى استبدت بقياداتها.. خاصة المرأة العجوز.. جولدا مائير رئيسة الوزراء فى ذلك الوقت.

.. والعودة بالذاكرة إلى الوراء قليلاً.. نكتشف أن إسرائيل تدعى حتى اليوم أن جهاز المخابرات الإسرائيلى الموساد.. تلقى منذ أوائل ١٩٧٣ معلومات مؤكدة.. تقول إن المناورات العسكرية الكبرى التى ستقوم بها القوات المسلحة المصرية فى مايو ١٩٧٣ ليست إلا ستاراً من الدخان يخفى وراءه.. خطة مصر للقيام بالحرب الشاملة ضد إسرائيل.. وعبور قناة السويس.. وبالتحديد فى يوم ١٩ مايو ١٩٧٣ ولم يكن هذا التاريخ الزائف للحرب.. سوى موعد زائف.. وجزء من خطة الخداع العسكرى المصرية.

معلومات مؤكدة

.. وتؤكد الملفات السرية فى تل أبيب أن إسرائيل كانت على يقين من صحة المعلومات التى حصل عليها الموساد الإسرائيلى من مصادره فى أوروبا.. خصوصًا فى العاصمة البريطانية.. لندن.

وحين أعلنت مصر عن بدء مناورات الربيع فى مايو ١٩٧٣ تأكدت إسرائيل فعلاً من صحة المعلومات.. وأجمع جنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بقيادة موشى ديان وزير الدفاع على أن الحرب أصبحت وشيكة.. وأن مناورات تحرير-٣٥ التى أعلنت عنها القيادة العامة للقوات المسلحة المصرية.. هى الموعد المقرر للحرب.

كانت الصورة تختلف تماماً.. داخل الولايات المتحدة.. فقد كانت الجيوش الأمريكية غارقة فى مستنقع الحرب فى فيتنام.. فى حين كانت العاصمة الأمريكية واشنطن غارقة فى مستنقع الوحل.. الخاص بفضيحة ووترجيت.. والتى أدت فى النهاية إلى سقوط الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون.. الذى أعلن استقالته من منصبه.. مقابل ألا يتعرض للمحاكمة.

العجيب أن الرئيس الأمريكى نيكسون كان يتمتع باحترام بالغ فى معظم عواصم العالم من أوروبا حتى موسكو والشرق الأوسط والصين.. وفى ذلك الوقت اعترف مسئول إسرائيلى كبير أن أى شىء ينال من الرئيس الأمريكى نيكسون.. ينال من إسرائيل.

رعب الحرب النووية

فى تلك الأيام.. كان العالم يعيش فى حالة رعب دائم من احتمالات نشوب حرب نووية مفاجئة بين القوتين الأعظم.. الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى السابق.. ومن أجل هذا السبب.. كان الرئيس الأمريكى نيكسون.. يستعد للقاء قمة جديد فى واشنطن مع الزعيم السوفييتى ليونيد بريجنيف.

اختلف الوضع فى الشرق الأوسط.. ففى تل أبيب ساد نوع من الفزع من احتمالات اتفاق نيكسون وبريجنيف.. على إجبار إسرائيل على الانسحاب من الأراضى العربية المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ وسادت شكوك قوية فى القاهرة من مخاطر واحتمالات اتفاق بريجنيف ونيكسون على تكتيك دبلوماسى من نوع ما.. قد يمنع مصر من القيام بالحرب ضد إسرائيل.

.. وفى احتفالات عيد العمال بالمحلة الكبرى فى الأول من مايو ١٩٧٣ أعلن الرئيس السادات رفضه للحل الأمريكى.. وقال إنه أسطورة بلا أساس.. أكذوبة ووهم كبير.. وبالفعل كانت مصر تستعد للحرب.

.. على مسرح الحرب فى جبهة قناة السويس كان الجنرال الإسرائيلى شارون يتولى منصب قائد القيادة الجنوبية للجيش الإسرائيلى فى سيناء.. وبالتالى كان

واحـداً من حـفنة قليلة جـداً من الجنرالات والقـادة فى إسـرائيل.. الذين تم إبلاغهم فجأة.. بآخر ما توفر لدى جهاز المخابرات الإسرائيلى من معلومات.. حول الحرب الوشيكة مع مصر.

أكدت هذه التقارير أن الحرب قادمة بالتحديد فى مايو ١٩٧٣ أكدت تقديرات الموقف لدى جنرالات إسرائيل.. أن خطر الحرب مع مصر حقيقى وقائم.. ولذلك قام الجنرال شارون بالتحرك سريعاً كما كتب فى مذكراته فيما بعد.. وقال قمنا باستدعاء تعزيزات من قوات الاحتياط.. ووضعنا اللمسات الأخيرة على خطط إسرائيل العسكرية.. لمواجهة الهجوم المصرى الوشيك.. وقام شارون أيضاً بإجراء مناورات واسعة لتدريب قواته على خطة الحرب.

خط بارليف

.. كان خط بارليف.. بتحصيناته وقلاعه.. هو خط الدفاع الأول لإسرائيل فى سيناء.. ويتكون من ٤٤ موقعاً حصيناً.. تنتشر على طول قناة السويس بامتداد مئة ميل كاملة.. وقد أقيمت هذه القلاع والحصون بنوعيات خاصة من الخرسانة المسلحة التى تتحمل انفجارات قذائف المدفعية الثقيلة والصواريخ.. وعلى حافة القناة أقامت إسرائيل سلسلة متصلة من تلال الرمال العالية بارتفاع ٢٠ متراً.. كانت أيضاً كثيفة بما يكفى لتحمل انفجارات قذائف المدفعية.

.. وتوجد فى كل حصن إسرائيلى فى خط بارليف مجموعة تضم ٣٠ جندياً.. تتوفر لديهم مجموعة من الأسلحة الثقيلة.. التى تجعل من خط بارليف.. خطاً حصيناً.. غير قابل للاختراق!!

.. ومع ذلك يدعى شارون فى مذكراته أنه كان يرى دائماً أن خط بارليف غير صالح للدفاع عن القوات الإسرائيلية على خط القناة.. وأن موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يتفق معه فى هذا الرأى.. ويدعى شارون أن ديان.. رفض الوقوف ضد خطة الجنرال حاييم بارليف رئيس الأركان الإسرائيلى لإقامة خط التحصينات على طول القناة.. بل ورفض توجيه أى انتقادات لبارليف.

يقين الموساد

.. وبعد أن تواترت تقارير الموساد الإسرائيلى حول الهجوم المصرى الوشيك فى ١٩ مايو ١٩٧٣ قام ديان بالطيران فوراً إلى سيناء.. حيث التقى هناك بالجنرال أريل شارون.. وقاما معاً بتفقد المواقع الإسرائيلية على طول قناة السويس.. وحدثت المفاجأة الكبرى فقد تمكنت القوات المصرية من رصد موكب ديان

وشـارون علـى الجبهـة.. وقـامت على الفـور بإطلاق قـذائف المدفعيـة الثقيلة على المكان الذى يتواجدان فيه!!

واضطـر ديان للانبطاح على الأرض فـى فناء أحـد الحـصـون الإسـرائيليـة حـتى لا يتعرض للمـوت.. وامتلأ قلبه بالذعـر.. وهو يرى القنابل تتفجر على بعد أمتار منه.. فوجئ بوجود شارون بجواره نائماً على بطنه.. فلم يجد ديان ما يقوله سوى.. إن هذا خطـأ فـادح يا إريل اسم الدفع لشـارون فـى إشـارة لخط بـارليف وطلب منه أن يقنع هيئة أركان جيش الدفـاع الإسـرائيلى بذلك.. وقبل ذلك بسـاعـات قليلة.. كان شـارون قد دخل فى شـجـار حـاد مع الجنرال حـاييم بارليف رئيس الأركان الإسـرائيلى حـول خطة إسـرائيل للدفاع عن سيناء.. وحول جدوى خط بارليف.

خطة شارون البديلة

واقـتـرح شـارون خطة بديلة.. تقـضـى بانسـحـاب القـوات الإسـرائيلية إلى مـسـافـة عـشـرة أمـيـال فـى عـمق سـينـاء.. علـى أن تقـوم وحـدات مـتـحـركة من الدبابات والمدرعـات الإسـرائيليـة بالدفـاع عن خط قناة السـويس ضـد أى مـحاولة مـصـرية للهجوم والعبور.

ويبـدو أن إسـرائيل تتـحـدث الآن عن فـشل خط بارليـف.. والهـزيمـة فـى الحـرب.. رغم أنهم قـبل الحـرب كانـوا يؤكدون أن مصـر لا يمكنهـا عبـور قنـاة السـويس.. إلا بعد الاسـتعانة بسـلاح المهندسـين فـى الجيشـين.. الأمريكـى والسـوفييتـى.. أو ربما باستخدام القنابل الذرية.. وكل ذلك من المستحيلات العسكرية على المصريين.

ويروى شـارون فـى مذكـراته أن مـوشـى ديان كـان يريد أن يدفع شـارون إلـى انتـقـاد خطة رئيس الأركـان حـاييم بارليف.. ليـقـوم بإصـدارٍ أمـر بإعـفـاء شـارون من منصبه فـى الجيش الإسـرائيلى.. وقد حـدث ذلك فعلاً.

النجم الساطع

وحـدث سـيناريو آخـر فـى واشنطن.. حيث صـعـد نجم الدكـتـور هنـرى كيسنجـر.. الذى أصـبح وزيراً للخارجيـة الأمـريكيـة.. بدلاً من وليـام روجـرز.. واحـتفظ أيضـاً بمنصب مـسـتـشـار الرئيس للأمن القـومـى.. ومن البـداية رفض كيـسـنجـر القـيـام بأى مبـادرة فـى الشـرق الأوسط لتسـوية النزاع العـربى الإسـرائيلـى فـى١٩٧٣ وقـال إننـى علـى يقـين بـأن العـرب ليس لديهم خـيـار عـسكرى.. لتـحـدى الاحـتـلال الإسـرائيلى للقدس والضـفة الغـربيـة والجـولان وسـيناء.. وبـالتالى ليس أمـام العـرب سـوى الاسـتسـلام للأمر الواقع الذى تفرضـه إسـرائيل.

وأضاف كيسنجر ساخراً.. لماذا لا نترك المصريين يتحملون نار الهزيمة.. وأكد أنه لا يمكن أن يغامر بأى مبادرة دبلوماسية فى الشرق الأوسط.. وإسرائيل تستعد لانتخابات عامة فى نوفمبر ١٩٧٣ وواشنطن غارقة فى أوحال الفضائح بسبب ووترجيت.

اختلفت الصورة فى موسكو تماماً.. وكان الزعيم السوفييتى ليونيد بريجنيف على يقين من أن الاتفاق الأمريكى السوفييتى يمكن أن يؤدى للحد من مخاطر الحرب فى الشرق الأوسط.. بما يؤدى إلى ضمان أمن إسرائيل.. مقابل انسحابها الكامل من الأراضى العربية المحتلة فى ١٩٦٧ .

بريجنيف يحذر كيسنجر

وحدث فى أوائل مايو ١٩٧٣ أن قام بريجنيف باستضافة الدكتور هنرى كيسنجر فى موسكو.. حيث أبلغه بسلسلة طويلة من التحذيرات.. كان أولها أن الحرب أصبحت وشيكة فى الشرق الأوسط.. وأنه لا يوجد ما يمنع هذه الحرب سوى الاتفاق الأمريكى السوفييتى على ضمان أمن إسرائيل مقابل الانسحاب من الأراضى العربية.

فى ذلك الوقت واجه بريجنيف ورطة حقيقية كبرى.. لأنه فقد خطوط التواصل والتفاهم مع الرئيس السادات.. ولذلك حاول إغراق مصر بكل شحنات السلاح التى سبق أن تعاقد عليها الرئيس جمال عبدالناصر.. وقام بتزويد مصر بأربعة أسراب من أحدث الطائرات الروسية فى ذلك الوقت.. خاصة طائرات "ميج-٢٣" وطائرات "سوخوى-٢٠" ومع ذلك وقف الرئيس السادات يتحدث أمام الشعب المصرى ليعلن أن الأصدقاء السوفييت يقفون مع مصر إلى حدود معينة.. لكن أمريكا تقف مع إسرائيل بشكل كامل.

خداع الأعداء والأصدقاء

.. وخلال عدة أيام علمت موسكو أيضاً أن السادات يخطط للحرب فى التاسع عشر من مايو ١٩٧٣ وهكذا نجح السادات فى خداع الأعداء والأصدقاء.. بالتمويه حول موعد الحرب.. بهدف صنع المفاجأة الاستراتيجية الكاملة لإسرائيل ودول العالم.

وقد بعث بريجنيف برسالة عاجلة للسادات.. عبر الرئيس السورى حافظ الأسد يبلغه فيها بضرورة تأجيل الحرب.. إلى ما بعد القمة السوفييتية الأمريكية القادمة فى واشنطن.

ونجح بريجنيف فى إقناع السادات بتأجيل الحرب.. وبقى الجنرال شارون فى سيناء فى حالة تعبئة وتأهب شامل للحرب الوشيكة.. التى تأجلت فجأة.. وعلمت إسرائيل بموعد الحرب التى لم تحدث.. ولم تعلم بقرار التأجيل.. وظلت إسرائيل تنفق عشرات الملايين من الدولارات على حالة تأهب.. بلا هدف.

.. وحين مضى يوم ١٩ مايو ١٩٧٣ دون حرب.. بدأت إسرائيل تراجع أوراقها.. وتراجع تقارير جهاز المخابرات الإسرائيلى الموساد.. وقام جنرالات إسرائيل بقيادة موشى ديان بإعادة تقدير شامل للموقف على جبهة قناة السويس بين مصر وإسرائيل.

الوثائق السرية الإسرائيلية.. تكشف خفايا يوم "كيبور" "جولدا مائير" انهارت.. وديان طالب بالاستسلام

ماذا بقى من حرب أكتوبر١٩٧٣ كى نتحدث عنه للتاريخ.. وللزمن.. فى العقد الثانى من القرن الحادى والعشرين؟!

ولماذا.. نتوقف.. لنفتح صفحات وسجلات هذه الحرب وما فيها من أسرار كبرى.. لم يتم الكشف عنها حتى اليوم؟!

للحقيقة وللتاريخ.. سيبقى السادس من أكتوبر١٩٧٣ أعظم أيام العرب والعروبة فى العصر الحديث كله.. ربما من عصر صلاح الدين الأيوبى.. حتى اليوم.

نعم.. حرب السادس من أكتوبر١٩٧٣ هى أشرف وأطهر.. وأمجد معارك العرب.. من أجل الحرية والتحرير فى أى عصر.. وهى أعظم منجزات حقبة الكفاح القومى العربى على الإطلاق، وهى تختلف تماماً.. وتتناقض مع المشاهد المأساوية لدول وشعوب العالم العربى.. فى حقبة "البترودولار" الأمريكية.. وما فيها من خيانة وإرهاب وفوضى.. ومؤامرات.. تستهدف إسقاط وتغيير النظم الوطنية العربية بحروب الجيل الرابع.. التى ابتدعها كبار جنرالات البنتاجون.

ولا يخفى على العقل العربى مطلقاً أن الهدف من مؤامرات الإرهاب والفوضى.. ضد الدول والشعوب العربية.. هو ألا يتكرر سيناريو الكفاح القومى العظيم للعرب.. كما حدث فى السادس من أكتوبر١٩٧٣ حين خرج العالم العربى من هذه الحرب.. والدنيا بأسرها تشهد بأن العرب قد أصبحوا القوة السادسة فى العالم.. كما كان يردد الرئيس الراحل أنور السادات دائماً.

.. من أين نبدأ.. فى الحديث عن حرب أكتوبر ١٩٧٣ هذه المرة وكل ما فيها من منجزات عسكرية تاريخية.. يدعو للفخر والزهو والكبرياء.. والثقة المطلقة فى جنود مصر.. أبناء القوات المسلحة.. خير أجناد الأرض على مر التاريخ.

فقد جرت وقائع هذه الحرب من بدايتها.. فى الطريق المعاكس تمامًا.. لمنطق الحرب وفنون القتال فى العصر الحديث كله.. أو كما يقول خبراء البنتاجون

حالياً فى واشنطن إن العرب أجادوا استخدام ما لديهم من أسلحة روسية فى الحرب ضد إسرائيل.. ورغم إدراكهم الكامل لمدى تفوق إسرائيل العسكرى عليهم.. فإنهم تمكنوا من تحقيق النصر.. فى مشاهد افتتاحية لحرب خالدة على مر الزمن، وهذه هى المفاجأة الاستراتيجية الأساسية لهذه الحرب.. والنتيجة النهائية للحرب.. وهى أن العرب تمكنوا من تحقيق النصر على إسرائيل.. التى تفوقت عليهم دائمًا فى السلاح والتكنولوجيا التى تحصل عليها من الولايات المتحدة الأمريكية.

معلومات سرية

وحين تلقت إسرائيل معلومات استخباراتية من مصادر موثوق بها فى لندن فى الساعات الأولى من فجر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بأن الحرب قد أصبحت وشيكة.. وأنها ممكنة الحدوث بالتحديد فى الساعة السادسة من مساء السادس من أكتوبر ١٩٧٣ انهارت جولدا مائير.. رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت.. وفقدت صوابها تماما.. وتقول الوثائق الإسرائيلية إن جولدا مائير.. تحولت فى هذه اللحظات إلى مجرد امرأة عجوز محطمة.. وأدرك موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى أن دولة إسرائيل على وشك الانهيار.. بسقوط الهيكل الثالث لدولة.. اليهود الصهيونية.

وارتسمت أعراض الهزيمة على وجه الجنرال ديفيد أليعازر رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت.. ومعه كبار جنرالات قيادة الجيش الإسرائيلى. وتكشف الوثائق الإسرائيلية الجديدة أن جنرالات الجيش الإسرائيلى أدركوا لأول مرة أن أسطورة إسرائيل التى لا تقهر.. قد تحطمت مرة واحدة وإلى الأبد.

وقد كشفت إسرائيل مؤخرًا.. فى نوبة اعترافات تاريخية عجيبة الكثير من الوثائق السرية للحرب.. التى كان محظورًا نشرها والحديث عنها من قبل.

امرأة دمرتها الحرب

ومن هذه الوثائق.. ما يتحدث عن رحلة السيدة جولدا مائير.. أو الجدة العجوز كما كانوا يقولون عنها فى إسرائيل.. إلى واشنطن بعد وقف إطلاق النار مباشرة.. والتقت جولدا هناك بكل من الرئيس الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون.. والدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية.. الذى تطوع بوصف السيدة جولدا مائير فى واشنطن.. بقوله: حين وصلت مائير لواشنطن.. كانت أعراض التوتر والفزع خلال الحرب مطبوعة بعمق على وجه المرأة العجوز.. وكان

واضحًا أن الحرب قد دمرتها تمامًا.. ومن الوثائق الإسرائيلية ما يكشف لأول مرة أن القدر وحده.. هو الذى أنقذ مدينة تل أبيب من القصف بقنابل الطائرات والصواريخ العربية.. فقد كانت تتوفر لدى مصر القدرة على قصف تل أبيب بالطيران والصواريخ.. والطيران السورى كان على بعد أقل من مئة كيلومتر من المدينة.

وتروى الوثائق الإسرائيلية أن السيدة جولدا مائير دخلت فى نوبة بكاء حادة.. بالدم قبل الدموع.. لأنها رفضت الاستجابة لطلب موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى.. بقيام إسرائيل بانسحاب منفرد لمسافة ٢٠ كيلو فى عمق سيناء.. بهدف إعادة فتح قناة السويس.. وحرمان مصر من أى دوافع.. قد تدفعها إلى الحرب ضد إسرائيل، وقالت جولدا مائير لأول مرة أعترف بأنه كان يمكن تجنب هذه الحرب!!

ولكن هل كان مثل هذا الانسحاب الإسرائيلى كافيًا لمنع مصر من خوض الحرب.. دفاعا عن الأرض والعرض والشرف والكرامة؟!

كمين الموت

وتكشف الوثائق الإسرائيلية لأول مرة أن الجنرال أريل شارون ومعه العديد من كبار الجنرالات فى إسرائيل.. كانوا يصفون خط بارليف.. والتحصينات الإسرائيلية على خط جبهة قناة السويس.. بأنها كمين الموت لجنود جيش الدفاع الإسرائيلى.

لقد عاشت إسرائيل أيامًا طويلة للسقوط المدوى.. ليس فقط للسيدة جولدا مائير ووزير دفاعها موشى ديان.. لكن أيضًا كان السقوط.. هو مصير جنرالات هيئة الأركان الإسرائيلية بالكامل.. وسقط معهم بالطبع كل من الجنرال زامير رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلى الموساد.. والجنرال إيللى زعيرا رئيس جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية.

فى أيام الحرب طوال شهر أكتوبر ١٩٧٣ ذاقت إسرائيل.. الدولة والجنرالات والرأى العام مرارة الهزيمة.. والسقوط المدوى لنظرية الأمن الإسرائيلى لأسطورة جيش الدفاع الإسرائيلى الذى لا يقهر.

هزيمة أمريكية إسرائيلية

كان قرار الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ مفاجأة مذهلة فى إسرائيل أثبتت مدى الفشل الذريع لأجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية فقد اتفقت تقديرات الموقف لدى المخابرات المركزية الأمريكية.. مع تقديرات جهاز الموساد

الإسرائيلى.. بأن الجيوش العربية أضعف من أن تخوض حربًا ضد إسرائيل.. ومصر لن يمكنها خوض الحرب.. ما لم تحصل على نوعية جديدة من الطائرات المقاتلة القاذفة.. القادرة على الوصول لعمق إسرائيل، وحمدا لله أنهم اقتنعوا بذلك فى تل أبيب.. وواشنطن.

مصر وسوريا

وتحكى الوثائق الإسرائيلية الجديدة أن مصر.. نجحت فى تنفيذ خطة الخداع الاستراتيجى.. فى جميع المراحل السابقة للحرب.. وتمكنت من تحقيق المفاجأة الاستراتيجية الكاملة خلال الحرب.. بعد أن اتفق الرئيسان الراحلان.. أنور السادات.. والسورى حافظ الأسد.. على بدء الحرب على الجبهتين.. المصرية والسورية فى شهر مارس١٩٧٣ وكان الاتفاق المبدئى.. أن تبدأ الحرب فى شهر مايو١٩٧٣ لكن تأجلت فى اللحظات الأخيرة إلى ٦ أكتوبر.. وتغير أيضًا موعد بدء الحرب من السادسة مساء ٦ أكتوبر إلى الساعة الثانية ظهرًا.. وكانت هذه مفاجأة أخرى مذهلة لم يتوصل إليها عملاء الموساد والمخابرات المركزية الأمريكية.. وهو ما يشهد بالوطنية والولاء المطلق.. لكل من شارك فى هذه الحرب الظافرة من جنود وضباط وقيادات سياسية وتنفيذية فى مصر وسوريا.. من القاعدة إلى القمة.

ولكن.. ماذا حدث فى إسرائيل.. حين تلقى الموساد الإسرائيلى معلومات عاجلة من لندن فى فجر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بأن الحرب قادمة خلال ساعات على جبهتين.. قبل غروب الشمس؟!

تروى الوثائق الإسرائيلية أن السيدة جولدا مائير رئيسة الوزراء الإسرائيلية انتقلت فى هذه الليلة المشئومة على إسرائيل.. من مقر إقامتها الرسمى فى مدينة القدس الغربية.. إلى شقة ما فى تل أبيب.

وظل مجلس الوزراء الإسرائيلى.. فى حالة انعقاد شبه دائم من السابعة والنصف صباحًا. وحين قامت جولدا مائير بإبلاغ أعضاء الحكومة الإسرائيلية بأن إسرائيل يمكن أن تتعرض لهجوم عسكرى مصرى - سورى مشترك خلال ساعات.. أصيب أعضاء الحكومة الإسرائيلية بالذهول.. واهتزت الأرض من تحت أقدامهم ومقاعدهم.. وهم لا يصدقون أن العرب يمكن أن تتوفر لديهم الجرأة الكافية.. للقيام بهجوم عسكرى ضد إسرائيل.. وعلى الجبهتين.. المصرية والسورية.. فى وقت واحد. فهل فهمنا الآن.. لماذا كل هذا السعار الأمريكى من أجل إسقاط وتقسيم سوريا؟!

وقائع اجتماع

ولأول مرة تتحدث وثيقة إسرائيلية قديمة عن وقائع اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلى بقيادة جولدا مائير فى الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر السادس من أكتوبر.. حيث دخل الجنرالات مع أعضاء الحكومة الإسرائيلية فى نقاش وجدال مفتوح وطويل.. حول الحرب القادمة خلال ساعات معدودة.. وخلال الاجتماع طالب الجنرال ديفيد بن أليعازر بقيام سلاح الطيران الإسرائيلى فورا.. بضربة إجهاض استباقية للحشود العسكرية المصرية والسورية.. فى جبهتى الجولان وقناة السويس.. لمنع العرب من بدء الحرب.

وفى هذه اللحظات العصيبة.. رفض الجنرال بينى بيليد قائد سلاح الطيران الإسرائيلى فى ذلك الوقت أن يجازف الطيران الإسرائيلى بالاقتراب من مظلة صواريخ الدفاع الجوى المصرى والسورى.. وقال إن خسائر الطائرات الإسرائيلية ستكون فادحة.. والنتائج لن تكون مؤثرة.

امرأة.. فى الهاوية

وجرى نقاش طويل آخر حول إمكانية قيام إسرائيل باستدعاء قوات الاحتياط.. التى تشكل ٦٥٪ من قوة جيش الدفاع الإسرائيلى.. وبصعوبة ووافقت جولدا مائير على استدعاء محدود لجنود الاحتياط بالجيش الإسرائيلى.

وبينما ارتفعت ضوضاء الخلافات الساخنة داخل مجلس الوزراء الإسرائيلى خلال الاجتماع المغلق.. ارتفعت دقات شبه صاخبة على الباب الكبير لقاعة مجلس الوزراء الإسرائيلى.. ودخل إلى القاعة واحد من الضباط من مساعدى موشى ديان وزير الدفاع وسلمه قصاصة صغيرة من الورق.. مكتوبًا عليها "إن سلاح الطيران المصرى.. يقوم بغارات كثيفة على جميع مواقع قوات الاحتلال الإسرائيلى فى سيناء".

طلب الاستسلام

فى هذه اللحظات.. كادت جولدا مائير.. رئيسة الوزراء.. أن تتهاوى وتسقط من فوق مقعدها.. ورفعت سماعة التليفون.. وطلبت من مساعدتها وصديقتها القديمة.. السيدة "لوكيدار".. أن تنهض بسرعة للقائها فى قاعة مجلس الوزراء الإسرائيلى.. وحين التقت المرأتان.. انهارت جولدا مائير وألقت بنفسها فى

أحضان الجدار الموجود خلفها.. وهى تبكى وتقول إن موشى ديان يطالبنا فى إسرائيل بالاستسلام!!

ويدعى الإسرائيليون حالياً أن موشى ديان لم يكن يقصد استسلام إسرائيل التام للعرب.. لكنه كان يقصد استسلام إسرائيل والانسحاب من الأراضى المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ ولكن الوثائق الإسرائيلية تتحدث فقط عن جولدا مائير.. التى خرجت تبكى من اجتماع مجلس الوزراء الإسرائيلى.. وهى تقول لصديقتها المقربة.. إن موشى ديان يطالب إسرائيل بالاستسلام!!

لكننا نكتشف بعد ٤٣ عامًا من حرب أكتوبر١٩٧٣ أن هذه الحرب الظافرة.. مازالت هى الجرح القومى الغائر فى صدر إسرائيل.. وتاريخها القصير بأى مقاييس حضارية وإنسانية.. وتاريخية.

دقة فى التخطيط والتنفيذ

ويعترف جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلى بأن طائرات سلاح الجو فى مصر.. تمكنت من توجيه ضربة جوية لإسرائيل.. دقيقة التخطيط والتنفيذ.. ببراعة كاملة واستطاعت ٢٢٠ طائرة مصرية أن تقوم خلال أقل من عشرين دقيقة فقط بتدمير جميع المطارات والطائرات الإسرائيلية فى سيناء.. كما تمكنت من تدمير مراكز القيادة والسيطرة الإسرائيلية وتدمير مواقع التشويش والتنصت الإلكترونى فى أم خشيب.. مع تدمير الحشود الرئيسية للدبابات والمدرعات الإسرائيلية فى مختلف أنحاء سيناء.

وقبل أن يفيق موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى من هول صدمة الضربة الجوية المصرية الأولى.. تلقى أنباء ضربة المدفعية المصرية المكثفة لمواقع وحصون خط بارليف على طول قناة السويس.. وكانت هذه هى الصدمة الثانية له.. قبل أقل من ساعة وقبل أن يفيق موشى ديان من زلزال الصدمات المتوالية.. تلقى الأنباء الخاصة بنجاح القوات المصرية فى عبور قناة السويس.. واقتحام كل المواقع الإسرائيلية فى عمق سيناء فى وقت واحد.

مصائب فوق رأس ديان

ولم تسقط المصائب فرادى فوق رأس موشى ديان فى هذا اليوم.. فقد تلقى أيضا الأنباء بنجاح القوات السورية فى اقتحام الجولان بأكثر من ٨٠٠ دبابة خلال أقل من ساعتين.. فى حين تمكنت مصر من اقتحام مانع قناة السويس

المائى بأكثر من ألف دبابة خلال أقل من ست ساعات. ولذلك بكى ديان بحرقة أمام جولدا مائير.. وطالبها.. بكلمة واحدة "الاستسلام".. بصرف النظر عن التفسير الإسرائيلى الحديث للمعنى الذى يقصده ديان.. بالاستسلام.. كما يتحدث عنه المؤرخ الإسرائيلى إبراهام رابينوفيتش فى كتابه الشهير "ملحمة المواجهة الكبرى".

زلزال الوثائق

وقد حدث زلزال سياسى رهيب فى إسرائيل حين تم الكشف منذ شهور مضت عن بعض الوثائق السرية المحظورة عما جرى وحدث فى معارك حرب أكتوبر١٩٧٣ التى يطلق عليها الإسرائيليون اسم "حرب يوم كيبور".. أى حرب عيد الغفران.. الذى تتعطل فيه جميع مظاهر الحياة فى إسرائيل.

ويقول ميتش جينز برج المحرر العسكرى لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية.. إن الوثائق التى يتم الكشف عنها مؤخرا فى إسرائيل.. ليست إلا اعترافًا إسرائيليًا واضحًا بالهزيمة فى هذه الحرب.. رغم ادعاءات بعض الجنرالات فى إسرائيل.. بأن الحرب.. بدأت بالهزيمة.. وانتهت بالنصر.. أو أن القوات الإسرائيلية تمكنت من تحويل الهزيمة إلى نصر.. بفضل الجسر الجوى الأمريكى الرهيب.. الذى حصلت إسرائيل خلاله على أكثر من ٥٢ ألف طن من الأسلحة والطائرات والصواريخ.. وقالت جولدا مائير صراحة فى شهادتها التاريخية أمام لجنة التحقيقات الإسرائيلية فى إخفاقات الحرب.. وتولى رئاسة اللجنة شيمون أجرانات رئيس المحكمة العليا وإيجال يادين رئيس الأركان الإسرائيلى السابق وحاييم لاسكوف.. جنرال سابق.

شهادة للتاريخ

ولأول مرة.. يتم الكشف فى إسرائيل عن تفاصيل الشهادة الكاملة للسيدة العجوز.. جولدا مائير أمام اللجنة.. ورغم أن اللجنة برأت جولدا مائير من أى أخطاء أثناء إدارتها السياسية لهذه الحرب.. إلا أن الرأى العام الإسرائيلى فوجئ لأول مرة أن السيدة جولدا مائير.. تولت رئاسة الحكومة فى إسرائيل.. وهى تتمنى من أعماق فؤادها.. ألا تقود إسرائيل ونكتشف أن الجدة العجوز.. كما يصفونها فى إسرائيل جلست أمام اللجنة فى انكسار تام.. وهى تعترف بأنها امرأة تعمل بالسياسة.. وليس لديها أدنى معرفة بالشئون العسكرية.. وأنها كانت تعتمد دائماً على الجنرال ديان.. ورفاقه من كبار الجنرالات.. الذين أصبحوا النجوم اللامعة فى سماء إسرائيل.. "الواطئة".

معلومات ملك

ولأول مرة نكتشف أن إسرائيل تلقت المعلومات الأولية عن هجوم عربى وشيك ضدها.. قبل أيام من الحرب من ملك عربى.. توجه لإسرائيل قبل الحرب.. والتقى مع السيدة جولدا مائير.. فى شقة آمنة تابعة للموساد الإسرائيلى خارج تل أبيب.. وخلال هذا اللقاء قام الملك العربى.. بإبلاغ السيدة جولدا مائير بأن الحرب القادمة ستكون على الجبهتين.. المصرية والسورية فى وقت واحد.

ويقول ميتش جينزبرج إن الموساد الإسرائيلى يرفض حتى الآن الإفراج عن الوثيقة الخطيرة الخاصة بلقاء هذا الملك العربى مع جولدا مائير.. لأن أسرار هذا اللقاء يمكن أن تلحق الضرر بأمن إسرائيل القومى.

ورغم أن إسرائيل كشفت عن تقرير مبدئى مختصر لتحقيقات لجنة أجرانات الإسرائيلية فى أبريل ١٩٧٤ أى بعد الحرب بستة أشهر.. فإن أن هذه هى المرة الأولى التى يتم فيها الكشف عن الشهادة الكاملة للسيدة جولدا مائير أمام اللجنة.

قرارات وإجراءات

تناولت التحقيقات القرارات والإجراءات التى اتخذتها السيدة جولدا مائير.. وموشى ديان وزير الدفاع.. وكبار جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلى.

دافعت جولدا مائير خلال التحقيقات عن قرارها السياسى الخطير بعدم توجيه ضربة إجهاض استباقية لحشود القوات المصرية على جبهة قناة السويس.. أو الحشود السورية فى الجولان، وكان الهدف من ضربة الإجهاض هو منع المصريين من بدء الحرب بأى وسيلة، ومن المذهل أن إسرائيل كانت تخطط لمنع الحرب.. بضربة إجهاض.. تسبق الساعة السادسة من مساء ٦ أكتوبر ١٩٧٣

ودخلت الجيوش العربية والإسرائيلية فى سباق غريب مع الزمن.. من الذى سيبدأ الحرب أولا؟!

إسرائيل بضربة إجهاض.. أم مصر.. بهجوم واسع مفاجئ على طول جبهة قناة السويس.. وجاءت الإجابة القاطعة من قواتنا المسلحة.. بضربة جوية قاصمة.. فى الساعة الثانية وخمس دقائق تمامًا من بعد الظهر أى أن التخطيط والتنفيذ المصرى للحرب.. سبق كل سيناريوهات إسرائيل.. للقيام بضربة إجهاض.

إجهاض.. ضد من.. وقد بدأت الحرب فعلا؟ كما قال ديان أثناء اجتماع مجلس

الوزراء الإسرائيلى ولأول مرة تعترف جولدا مائير أمام اللجنة بأنها تجهل تماما كل القضايا والمسائل العسكرية.. ودافعت جولدا.. عن القرار السياسى الذى اتخذته صباح السادس من أكتوبر بالقيام بضربة إجهاض.. كما أنها رفضت استدعاء قوات الاحتياط.. رغم تردد موشى ديان وزير الدفاع، وقالت إنها رفضت استدعاء الاحتياط.. عن عدم خبرة رغم أن أقرب ملوك العرب لإسرائيل جغرافيًا.. أبلغها باقتراب الحرب.

جولدا.. تدافع

واضطرت جولدا مائير للدفاع عن قرارها بعدم استدعاء قوات الاحتياط.. لمواجهة خطر الحرب الوشيكة.. وقالت لا بكل تأكيد.. لم يكن لهذا القرار أى علاقة بالانتخابات التشريعية العامة التى كان من المقرر إجراؤها فى إسرائيل فى أواخر أكتوبر ١٩٧٣ .

ولأول مرة نكتشف أن السيدة جولدا مائير.. لا تجيد الحديث باللغة العبرية.. اللغة الرسمية لدولة إسرائيل.

وقالت.. إن معرفتها باللغة العبرية لا تكفى لمساعدتها على الحديث بتعبيرات برلمانية مناسبة عن هذا القرار المعروف أن السيدة جولدا مائير.. روسية المولد.. أمريكية النشأة والتربية.

وفيما يتعلق بضربة الإجهاض اعترفت جولدا مائير بأنها لم تشعر بالندم لاتخاذها مثل هذا القرار.. وقالت إننى أعرف أبناءنا وضباطنا فى سلاح الطيران الإسرائيلى.. وأعرف أيضا أن قتلانا فى هذه الحرب كان يمكن أن يكونوا أحياء بيننا اليوم ولم تنس مائير أن تدعى كذبا أن جنود الجيش الإسرائيلى كانوا يعانون من نقصًا حادًا فى الأسلحة والمعدات.

امرأة.. انكسرت

وجلست جولدا مائير أمام اللجنة وهى فى حالة انكسار حادة وهى تتحدث عن قصة الساعات الرهيبة التى عاشتها.. بعد أن تلقت المعلومات من الملك العربى.. ومن أحد مصادر الموساد فى لندن، تحدثت مائير عن قصة الساعات الأولى التى سبقت انطلاق الرصاصة الأولى فى الحرب.. وقالت إننى بمشاعرى الكاملة ومن أعماق القلب كنت مع قرار القيام بضربة إجهاض لتدمير الحشود المصرية والسورية على الجبهة فى قناة السويس والجولان.. لكنها كانت تشعر

بالخوف إلى درجة الفزع.. من مخاطر قيام إسرائيل ببدء الحرب.. بضربة إجهاض للجيوش العربية.. مما قد يؤدى لإثارة غضب الرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون.. وبذلك تفقد إسرائيل الدعم العسكرى الأمريكى.. حين تكون فى أشد الحاجة إليه أثناء الحرب.

كانت حيرة سياسية وعسكرية واستراتيجية كاملة فى إسرائيل.

وقالت أمام اللجنة.. دعونى أقل لكم بوضوح إن الجسر الجوى الأمريكى الذى أنقذ إسرائيل من الهزيمة الكاملة فى حرب أكتوبر١٩٧٣ لم يكن ليحدث.. لو كانت إسرائيل هى التى بدأت الحرب.

صواريخ ودبابات جديدة

وادعت جولدا مائير أمام اللجنة بأن إسرائيل حصلت على ٢٦ ألف طن من الأسلحة والدبابات والصواريخ الأمريكية أثناء الحرب.. وبعض هذه الأسلحة وخاصة دبابات إم - ٦٠ وصواريخ تاو المضادة للطائرات.. لم يسبق لإسرائيل الحصول عليها من قبل.

وقالت إن إجمالى ما حصلت عليه إسرائيل من مساعدات وأسلحة أمريكية أثناء وبعد الحرب.. وصلت إلى أكثر من ٦٢ ألف طن.. وقالت لقد حصلنا أثناء الحرب على ٤٠ طائرة أمريكية متطورة من طراز فانتوم - إف - ٤ و٥٣ طائرة أخرى من طراز سكاى هوك كما وصلت مع هذه الطائرات الأمريكية الحديثة مجموعات كبيرة من الطيارين الأمريكيين.. الذين تولوا قيادة هذه الطائرات فى الحرب ضد العرب.

ولم ينس الأمريكيون أن يقوموا بإرسال مجموعات كاملة من أطقم الخدمات الأرضية إلى المطارات الإسرائيلية.. للقيام بصيانة المقاتلات الأمريكية وتزويدها بالوقود والقنابل والصواريخ.

بيانات الهزيمة

اعترفت جولدا مائير بأن حالتها النفسية تدهورت تماما أثناء الحرب.. وتحطمت معنوياتها.. وهى فى كل صباح تتلقى البيانات والمعلومات بأن إسرائيل قد تعرضت للهزيمة والخسارة فى كل المعارك.. فى سيناء والجولان.

وفى هذه اللحظات العصيبة.. اقترحت جولدا مائير على أعضاء الحكومة الإسرائيلية أن تقوم على الفور بمغادرة تل أبيب والتوجه إلى واشنطن فى زيارة سرية للولايات المتحدة للقاء الرئيس نيسكون وهنرى كيسنجر.

وقالت جولدا.. لأعضاء اللجنة.. إنكم تسألوننى الآن كيف كان بإمكانى أن أفعل ذلك وأغادر إسرائيل أثناء الحرب.. وأقول لكم.. لست أدرى.. لكن مشاعر اليأس سيطرت علينا جميعا داخل الحكومة الإسرائيلية وفى قيادة جيش الدفاع الإسرائيلى.. خوفًا من مخاطر الهزيمة الكاملة.. خصوصًا أمام القوات المصرية فى سيناء.. التى اعترف ديان رسميًا أمام الصحفيين وأمام جولدا مائير.. بأن إسرائيل لا يمكنها دفع القوات المصرية إلى التراجع فى سيناء.. وطلب من جولدا مائير وهو يبكى.. بضرورة الاستسلام.. وبصعوبة بالغة طلبت مائير من ديان عدم الظهور على شاشات التلفزيون الإسرائيلى حتى لا ينقل الإحساس بالهزيمة إلى الشعب الإسرائيلى.

انتصارات مصرية

اعترفت جولدا مائير أمام اللجنة بأن الانتصارات الباهرة المتتالية التى حققتها القوات المصرية على جبهة سيناء.. جعلتها تهتز إلى الأعماق.. بصورة لم يسبق لها مثيل طوال حياتها.. وطوال تاريخ إسرائيل القصير كله.

فقد سقطت حصون وقلاع خط بارليف خلال الساعات الأولى للحرب.. واتضح أن جنرال الاحتياط فى ذلك الوقت إريل شارون كان على حق.. حين قال إن حصون خط بارليف على جبهة القناة هى كمائن الموت لجنود جيش الدفاع الإسرائيلى.

ويقول المؤرخ العسكرى لصحيفة هاآرتس الإسرائيلية إن القوات المصرية تمكنت من عبور قناة السويس واقتحام جميع المواقع والحصون الإسرائيلية على الضفة الشرقية للقناة خلال ساعات قليلة جدا.. بالحركة السريعة والوثبة المذهلة.. التى زلزلت الأرض تحت أقدام الجنود الإسرائيليين.. الذين سارعوا بالاستسلام بالمئات أمام الجنود المصريين.

غضب وهزيمة

ولذلك طلب الرأى العام الإسرائيلى بسرعة تشكيل لجنة قانونية وعسكرية متخصصة.. لمعرفة أسباب الإخفاقات والهزائم الإسرائيلية خلال الحرب ورغم أن اللجنة برأت كلاً من جولدا مائير وموشى ديان وزير الدفاع من الخطأ.. فإنها طالبت بإزاحة الجنرال ديفيد أليعازر رئيس الأركان من جميع مناصبه العسكرية.. مع خمسة آخرين من كبار جنرالات هيئة أركان جيش الدفاع

الإسرائيلى. وتوفى الجنرال ديفيد أليعازر كمدًا.. بعد نشر التقرير المبدئى للجنة فى إبريل ١٩٧٤ بعامين فقط وهو فى الثانية والخمسين من العمر.

الاستقالة

ورفض الرأى العام الإسرائيلى نتائج التحقيقات وقامت مظاهرات واسعة فى إسرائيل.. تطالب بالتغيير.. وبعد أسبوع واحد اضطرت جولدا مائير لتقديم استقالتها.. وهى تقول.. إننى لم أعد قادرة على تجاهل غضب الرأى العام الإسرائيلى.. بعد الهزائم المريرة التى تعرض لها الجيش الإسرائيلى خلال الحرب.

وبعد وقف إطلاق النار.. تلقت جولدا مائير رسالة من الرئيس أنور السادات.. نقلها إليها هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية خلال رحلاته المكوكية بين القاهرة وتل أبيب.. وفوجئت جولدا مائير فى هذه الرسالة.. بأن الرئيس السادات يقول لها.. كان يجب أن تأخذى كلامى بالجدية الواجبة حين هددت بالحرب.. فقد كنت أعنى الحرب فعلاً.. وحين أتحدث الآن عن السلام.. فأنا أعنى السلام.. دعينا نتحدث عن طريق هنرى كيسنجر.

وحين سألها الصحفيون فى إسرائيل.. ماذا تقولين الآن عن الرئيس السادات.. قالت لا أستطيع أن أقول سوى أنه بطل هذه الحرب.

القدر.. كتب على إسرائيل الهزيمة

يتوقف المصريون والعرب اليوم.. بالإجلال والتقدير.. أمام تجربة الحرب والنصر فى أكتوبر ١٩٧٣ ولذلك من المستحيل أن يفوتنا درس التاريخ الثابت فى حياة المصريين.. وهو أنه لا بقاء ولا مجد ولا خلود لمصر.. دون امتلاكها قوات مسلحة قوية وقادرة على حماية الوجود والحدود.. وردع الأعداء فى الداخل والخارج.. وحماية السلام.

ويتوقف الإسرائيليون اليوم أمام تجربة الهزيمة فى أكتوبر ١٩٧٣ وقادتهم العسكريون والسياسيون يتعهدون للشعب الإسرائيلى بأن هزيمة أكتوبر ١٩٧٣ غير قابلة للتكرار.

وربما بصدفة من صدف الزمن.. جاءت احتفالات إسرائيل بأعياد الغفران فى ٢٠١٤ متزامنة مع احتفالات مصر بانتصارات أكتوبر.. وكذلك احتفالات المصريين والمسلمين بعيد الأضحى المبارك.. وأيضاً احتفالات الإسرائيليين بعيد الغفران.. الذى تصاب فيه الحياة فى إسرائيل بالشلل التام.. لأن اليهودية تحرم على الإسرائيليين فى هذا اليوم القيام بأى نشاط.. غير التفرغ للصلاة فى المعابد وحتى فى البيوت.. والصوم التام حتى عن الحياة!!

لكن إسرائيل فى ٢٠١٤ مازالت تراجع أوراقها القديمة.. وتعيد الحسابات.. وتعود لدراسة أخطائها العسكرية الرهيبة.. التى جعلتها تتذوق مرارة الهزيمة خلال الأيام الأولى للحرب.. التى كادت تقضى على إسرائيل تماماً لولا الجسر الجوى الأمريكى الشهير.. الذى أنقذ إسرائيل من الهزيمة الكاملة والاستسلام التام فى مواجهة العرب.. والجيوش المصرية والسورية المتقدمة.. بحشود هائلة فى الجولان وسيناء.

وكما قالت السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل للدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى بعد الحرب.. إن هذا يجب ألا يتكرر مرة أخرى.. عاد

الجنرال موشى يعالون وزير الدفاع الإسرائيلى.. ليؤكد أمام الإسرائيليين مرة أخرى بعد ٤١ عاماً من الهزيمة، أن هذا يجب ألا يتكرر مرة أخرى.. وعلى إسرائيل ألا تستهين بأعدائها.

ويعترف الخبراء العسكريون فى إسرائيل.. وفى الأكاديميات العسكرية العالمية الكبرى.. بأن مراجعة سيناريو الحرب والمعارك فى أكتوبر ١٩٧٣ اليوم بعد ٤١ عاماً.. تؤكد أن إسرائيل خسرت الحرب.. قبل أن تبدأ.. بل وخسرت أسلحتها الرئيسية قبل أن تنطلق الرصاصة الأولى فى المعركة.

فقد كانت إسرائيل تزهو وتفتخر بتفوقها الجوى علي أسلحة الطيران العربية.. وتحدث موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى طويلاً قبل الحرب عن طائرات الفانتوم الإسرائيلية بعيدة المدى.. التى جعلت من سلاح الطيران.. ذراع إسرائيل الطويلة.

وكان الجنرال الإسرائيلى إريل شارون يتباهى دائماً بتفوق إسرائيل على العرب فى معارك الدبابات.

وكانت المفاجأة المذهلة على مستوى التخطيط الاستراتيجى والعمليات للحرب.. أن تخطط مصر بجرأة وجسارة لم يسبق لها مثيل فى التاريخ.. لاستخدام الأسلحة الدفاعية الحديثة.. مثل الصواريخ المضادة للطائرات.. والصواريخ المضادة للدبابات فى عمليات هجومية واسعة وشديدة التعقيد.. وذلك لأول مرة فى تاريخ الحرب.

سقوط أسطورة

واكتشف الإسرائيليون منذ اللحظة الأولى للحرب.. أن تفوقهم الجوى فى معارك الطيران.. لم يعد له وجود.. بفضل شبكة صواريخ سام المضادة للطائرات المنتشرة بكثافة مذهلة على جبهة قناة السويس.. وحتى فى الجولان.

وقبل أن تنطلق الرصاصة الأولى فى الحرب.. كانت إسرائيل قد خسرت أيضاً تفوقها المزعوم فى معارك الدبابات والمدرعات.. بفضل صواريخ ساجر الروسية الشهيرة المضادة للدبابات.

ولم يكن غريباً أن يعترف الإسرائيليون بعد ذلك بأن القدر قد كتب عليهم الهزيمة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ حتى قبل أن تبدأ المعركة!!

تعرضت إسرائيل قبل الحرب لعملية خداع استراتيجى واسعة من جانب مصر..

وظل موشى ديان وكبار جنرالات إسرائيل حتى الساعات الأخيرة على يقين تام بأن الحرب مع مصر مستبعدة تماماً.. ببساطة لأن مصر لا تنوى الحرب.

ولذلك حين بدأت مصر وسوريا الحرب فجأة.. ارتعد جنرالات المؤسسة العسكرية فى إسرائيل بشدة من هول المفاجأة الرهيبة.. وتعرض الإسرائيليون لصدمة بالغة القسوة حين اكتشفوا أن الحرب بدأت.. دون أن تستعد إسرائيل لمثل هذه الحرب.

ففى الساعة الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر السادس من أكتوبر ١٩٧٣ بدأت الجيوش المصرية والسورية الحرب فى لحظة واحدة.. وقامت طائرات القوات الجوية المصرية "٢٢٢ طائرة" بقيادة اللواء طيار حسنى مبارك بغارات جوية شاملة على جميع المواقع الرئيسية للقوات الإسرائيلية فى سيناء.. وتركزت الضربة الجوية المصرية الأولى على القواعد الجوية الإسرائيلية الثلاث الموجودة فى سيناء.. وعلى قواعد صواريخ هوك الإسرائيلية المضادة للطائرات.. وتولت القاذفات الثقيلة المصرية من طراز كابو ١٦ تدمير مركز القيادة والسيطرة الإسرائيلى فى أم خشيب وسط سيناء.

كانت المفاجأة فى إسرائيل وتعرض جنود إسرائيل لصدمة قاسية حين شاهدوا طائرات الميج ٢١ المصرية تدمر مواقعهم الحصينة فى عمق سيناء.. بدقة وسرعة مذهلة.

وكان القدر يخفى مفاجأة أكبر لإسرائيل.. لأن الجنرال إيلى زعيرا رئيس جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية كان يتصور أن الحرب مستبعدة وأن ما يمكن أن يحدث فقط هو غارات جوية هنا أو هناك.. لكن حجم الضربة الجوية المصرية أزال كل الشكوك وفتح الأبواب واسعة فى إسرائيل أمام كل المخاوف.

ومع بداية الضربة الجوية الأولى.. بدأت المدفعية المصرية الثقيلة تعزف أعظم سيمفونيات النصر.. وقامت بتوجيه قذائفها الكثيفة إلى مواقع وحصون خط بارليف على طول جبهة قناة السويس بامتداد ١٧٨ كيلو متراً.

وفى لحظة واحدة.. قامت مصر بالهجوم على إسرائيل من الجنوب عند قناة السويس.. قامت سوريا بالهجوم من الشمال عند الجولان.. وتعمدت القيادة العسكرية المصرية أن يتم استدراج إسرائيل للحرب فى يوم الغفران.. الذى تتعطل فيه الحياة فى إسرائيل.. بحيث لا تتوفر لدى إسرائيل أى فرصة لاستدعاء قوات الاحتياط.. وهى قوة القتال الرئيسية فى جيش الدفاع الإسرائيلى.. حتى اليوم!!

لم تتصور إسرائيل للحظة واحدة أن تتمكن القوات المصرية من اقتحام وعبور قناة السويس.. بقوات هائلة يزيد قوامها على خمس فرق كاملة من المشاة وفرقتين من المدرعات وثلاث فرق من المشاة الميكانيكى.. أى نحو ١٠٠ ألف جندى.. تدعمهم ١٥٥٠ دبابة و١٨٥٠ قطعة مدفعية ثقيلة والمئات من بطاريات صواريخ (فروج-٧) ذات الرءوس الثقيلة شديدة الانفجار.

ويبكى الإسرائيليون اليوم بدموع ساخنة قتلاهم داخل حصون خط بارليف.. الذى لم يكن يزيد عددهم على ٤٣٦ جندياً تدعمهم ٢٨٠ دبابة و٧٠ قطعة مدفعية على طول خط قناة السويس.

كانت ثقة الإسرائيليين فى قدراتهم وقوات جيش الدفاع الإسرائيلى كاملة.. وكانت الثقة أكبر فى قدرة طائرات الفانتوم وسكاى هوك الإسرائيلية على تدمير وردع القوات المصرية ومنعها من القيام بأى محاولة لعبور قناة السويس.

بدأ الجيشان المصرى والسورى.. الهجوم بموجات من القوات تتلوها موجات.. ويقول المؤرخ العسكرى هادرد بلوم فى كتابه "صبيحة "الدمار".. إن الهجوم المصرى- السورى كان مفاجئاً وشاملاً.. بالطائرات والمدفعية والمشاة والمدرعات.

وبدأت الحرب على مدى ساعات النهار الباقية من يوم ٦ أكتوبر وعلى مدى ساعات الليل.. بضراوة ووحشية.. لم يشهد لها مسرح عمليات الشرق الأوسط مثيلاً.

فى لحظة الرعب الأولى للحرب.. سقطت فوق المواقع والحصون الإسرائيلية فى خط بارليف نحو عشرة آلاف قذيفة مدفعية ثقيلة.. بواقع ١٧٥ انفجاراً رهيباً فى الثانية الواحدة.. ولم يتوقف قصف المدفعية المصرية على مدى ٥٣ دقيقة.

وفى هذا اليوم.. قال الفريق سعد الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المصرية.. إن المدفعية المصرية حولت حصون خط بارليف إلى قطعة من جهنم.

ولكن هذه كانت مجرد المقدمة.. وبداية الحرب!!

فقد اشتركت دبابات تى- ٦٢ الروسية فى القصف ووجهت مدافعها الحديثة عيار ١١٥ مللى نحو المواقع الإسرائيلية.. وكانت هذه من المفاجآت الأخرى التى لم تتخيلها إسرائيل.

وتحركت فرق ووحدات القوات المسلحة المصرية بسرعة فاقت كل الحسابات.. خصوصًا حين تحركت فرق الكوماندوز والقوات الخاصة المصرية فى زوارق المطاط السريعة لعبور واقتحام قناة السويس.. بهدف حصار حصون ومواقع خط بارليف الإسرائيلى والاستيلاء عليها وشارك فى هذه العملية أربعة آلاف من جنود المشاة المدربين تدريباً راقياً.

ولم يكن غريباً أن يقول خبراء وجنرالات الحرب حول العالم بعد ذلك إن عملية عبور القوات المصرية لقناة السويس جرت بدقة مذهلة.. أقرب إلى الأعمال الفنية الراقية.

وفى تاريخ الحرب.. لا يوجد ما يشبه عبور الجنود المصريين لقناة السويس.. وفى كل سيناريوهات الحرب.. لا يوجد ما يشبه الخطة المصرية من حيث دقة التخطيط.. وكمال التنفيذ.. ولا يوجد وراء كل هذا من أسرار سوى الروح القتالية العالية للجنود المصريين.. خير أجناد الأرض.

وحين وصلت الأخبار الأولى إلى مقر القيادة المصرية فى المركز رقم عشرة.. تبادل الرئيس أنور السادات التهنئة مع صديقه.. وزير الحربية.. الفريق أول أحمد إسماعيل على.

وحين بدأت موجة العبور الثانية.. قام ضباط وجنود سلاح المهندسين المصريين.. بنقل السلاح السرى للعبور.. مدافع المياه الألمانية العملاقة وعبروا بها إلى الشاطئ الشرقى للقناة.. حيث قاموا بفتح ثغرات هائلة فى تلال الرمال العالية على شاطئ القناة.. حيث يمكن للدبابات المصرية عبور القناة فوق الجسور والكبارى إلى الضفة الشرقية للقناة.. وكانت هذه عملية مذهلة لم يتصور جنرالات إسرائيل إمكانية حدوثها على الإطلاق.. وبكل هذه البساطة.. وكان الجنرال الإسرائيلى ديفيد بن أليعازر.. رئيس أركان جيش الدفاع يردد دائماً أن عملية عبور المصريين لقناة السويس.. تبدو أعقد وأصعب من قدراتهم الذهنية والعملياتية!!

لكن المفاجأة أن جنود سلاح المهندسين المصريين تمكنوا من فتح سبعين ثغرة هائلة فى جبال وتلال الرمال على الضفة الشرقية للقناة.

وخلال أقل من سبع ساعات تمكنت القوات المصرية من إقامة عشرة من كبارى العبور الثقيلة للربط بين الضفتين الغربية والشرقية للقناة، وكانت فرق المشاة والدبابات والمدرعات المصرية تنتظر هذه اللحظة فى شوق حار.. بعد طول انتظار.. لم تتحرك الدبابات وحدها.. ولم تتحرك فرق المشاة فقط.. لكن إسرائيل فوجئت بعبور بطاريات صواريخ سام ٦ المضادة للطائرات.. وكانت هذه الصواريخ من أكبر مفاجآت الحرب فى ١٩٧٣ وواحدة من أهم الأسلحة السرية للنصر.

فقد كان هذا النوع من الصواريخ محمولاً على عربات متحركة.. فى مفاجأة لم تتوقعها إسرائيل، واستمر تدفق القوات المسلحة المصرية عبر قناة السويس إلى

سيناء طوال ساعات الليل.. وحتى أول ضوء من صباح النصر.. يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ .

واكتملت رءوس الكبارى المصرية على الشاطئ الشرقى للقناة سريعاً.. وتعمد الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان المصرى أن يصدر الأوامر بنشر القوات والدبابات فى المناطق الخالية بين حصون خط بارليف بعد أن تعرضت لما يشبه الدمار التام خلال قصف المدفعية المصرية المركز فى بداية الحرب وقال الفريق الشاذلى إن هذه الحصون الإسرائيلية سوف تضطر للاستسلام فى النهاية.

وحين أشرق نور الثامن من أكتوبر ١٩٧٣ كانت إسرائيل قد خسرت أكثر من ٩٠٪ مما لديها من طائرات الفانتوم وسكاى هوك.. وتعرضت الدبابات الإسرائيلية فى سيناء إلى الدمار التام.. وبكى الجنرال موشي دايان أمام الجنود والصحفيين الإسرائيليين فى الخطوط الخلفية الإسرائيلية فى عمق سيناء وهو يقول: لم يعد بإمكان إسرائيل أن ترد المصريين على أعقابهم.. ولا يوجد لدينا من الدبابات ما يمنع المصريين من التقدم نحو تل أبيب.

إسرائيل.. سيدة تبكى

وبكت السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل أمام مجلس وزرائها بالكامل.. ورفعت سماعة التليفون واتصلت بالرئيس الأمريكى ريتشارد نيكسون وهى تتوسل إليه وترجوه أن يسارع إلى إنقاذ إسرائيل بتزويدها بالأسلحة والدبابات والطائرات.. وقالت له إن إسرائيل تواجه خطر الفناء!!

وقد صدر فى واشنطن منذ أيام كتاب جديد بعنوان "أسرار نيكسون".. توقف الإسرائيليون أمامه فى ذهول.. لأنهم اكتشفوا من خلال وثائق الرئيس الأمريكى الأسبق الشخصية وتسجيلاته الصوتية أنه كان شديد العداء للسامية.. وشديد الكراهية لليهود الأمريكيين! ومع ذلك فى لحظة الحقيقة.. قام نيكسون بتزويد إسرائيل بأضعاف ما طلبته من أسلحة ومعدات وطائرات وأحدث الصواريخ وأحدث أجهزة الإعاقة والشوشرة الإلكترونية.

يكشف كتاب "أسرار نيكسون" أن البداية المفاجئة للحرب والمعارك كانت مفاجأة كاملة فى مجتمع السياسة الخارجية والمخابرات الأمريكية.. واعترف مركز دراسات المخابرات المركزية الأمريكية مؤخراً بأن مفاجأة الحرب فى أكتوبر ١٩٧٣ تعادل أعلى درجات الفشل المخابراتى فى العالم.. فقد فشلت المخابرات الأمريكية فى توقع حدوث الحرب تماماً!

وحين قام الجنرال الأمريكى ألكسندر هيج بإيقاظ الرئيس نيكسون فى الساعة السادسة من صباح السادس من أكتوبر.. وهو فى منزله بولاية كاليفورنيا أصيب نيكسون بما يشبه الصدمة حين علم أن مصر وسوريا قد بدأتا الحرب ضد إسرائيل.

كان البيت الأبيض فى عهد نيكسون مليئاً باليهود.. وكبار مستشاريه جميعاً من اليهود.. وعلى رأسهم الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية ومستشار نيكسون للأمن القومى.

جولدا ونيكسون

اعترفت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل قبل وفاتها بأن الرئيس الأمريكى نيكسون هو الذى أنقذ إسرائيل من الهزيمة الكاملة.. فقد كان واضحاً فى الأيام الأولى للحرب أن مصر وسوريا قد نجحتا فى مفاجأة إسرائيل بالحرب.. التى شكلت أكبر خطر يهدد بقاء إسرائيل منذ حرب ١٩٤٨، فقد تعرضت إسرائيل لهزائم ونكسات عسكرية مريرة خلال معارك هذه الحرب.. وفى هذه اللحظات التاريخية اتخذ نيكسون قراره الاستراتيجى بضرورة أن تقف أمريكا إلى جانب إسرائيل ضد العرب!!

وقال لابد من إنقاذ إسرائيل من خطر الهزيمة الكاملة.. وأصدر أوامره بإقامة أكبر جسر جوى فى التاريخ لتزويد إسرائيل بالسلاح والطائرات والصواريخ.. وأكد نيكسون أن هزيمة إسرائيل أمر لا يمكن تخيله.. وطلب من وزارة الدفاع الأمريكية ضرورة استخدام كل طائرة نقل عسكرية أمريكية فى تزويد إسرائيل بالسلاح.

وعلى مدى ٥٦٧ رحلة جوية حصلت إسرائيل على ٢٢٠ ألف طن من الأسلحة والدبابات والطائرات الأمريكية، وقامت سفن البحرية الأمريكية بتزويد إسرائيل بنحو ٩٠ ألف طن أخرى من الدبابات وقطع المدفعية.. ومازالت وثائق الجسر الجوى الأمريكى لتزويد إسرائيل بالسلاح فى ١٩٧٣ من أسرار الأمن القومى الأمريكى المحظور الكشف عنها حتى اليوم، فقد حصلت إسرائيل على الطائرات والطيارين الأمريكيين.. كما حصلت على أحدث الدبابات الأمريكية بأطقم القيادة من الجنود الأمريكيين مزدوجى الجنسية.. وتغيرت مشاهد الحرب فى الأيام الأخيرة.. لكن النصر فى أكتوبر.. مازالت ذكراه مريرة فى تاريخ إسرائيل ومجيدة فى تاريخ مصر والعرب!!

أكتـــوبر ١٩٧٣
أعظم مفاجأة فى تاريخ الحروب

فى سجلات التاريخ.. يبقى السادس من أكتوبر١٩٧٣ هو أعظم أيام العرب فى العصر الحديث كله.

وفى ذاكرة الوطن.. يبقى السادس من أكتوبر١٩٧٣ هو أغلى أيام العمر.. فى قلب كل مواطن.. مصرى وسورى وعربى.. كتب له القدر.. أن يشارك فى صنع هذا اليوم.. بالفداء والقتال والتضحية بالنفس والدم.

وهو أجمل أيام العمر.. حتى لكل الذين عاشوا هذا اليوم فى الخطوط الخلفية.. داخل قرى ومدن مصر.. يقدمون كل دعم ممكن للجنود والضباط فى الخطوط الأمامية.. أو عند خط النار.. كما كنا نقول فى هذه الأيام الخالدة.

وسوف تبقى ملحمة الحرب والفداء فى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ أكبر من أى قلم.. وأقدس من أى وصف.. وأجمل من أى صفات، فهذه الملحمة الخالدة تروى قصة كفاح مصر والأمة العربية كلها.. مرحلة من الزمن ليس لها مثيل فى تاريخ العرب الحديث كله.

ففى هذه اللحظة القاسية.. رفضت الأمة العربية بقيادة مصر الاستسلام للهزيمة.. والاستسلام للهيمنة الإسرائيلية الأمريكية.. التى حاولت طويلاً.. كسر إرادة الاستقلال الوطنى لمصر.

وكل من يريد أن يعرف.. معنى وقيمة حرب أكتوبر١٩٧٣ عليه أن ينظر إلى الصورة فى الناحية الأخرى.. هناك بعيدًا فى تل أبيب.. حين وقعت الحرب.. وتصاعدت معاركها فجأة على الجبهتين.. المصرية والسورية.. فى وقت واحد متزامن.

كانت الصدمة فى إسرائيل بالغة القسوة.. والمفاجأة كاملة لقادة إسرائيل.. بدءًا من السيدة جولدا مائير رئيسة الوزراء وموشى ديان وزير الدفاع وديفيد بن أليعازر رئيس أركان جيش الدفاع الإسرائيلى.. وحتى أصغر ضابط وجندى

إسـرائيلى.. كـتب لـه القـدر أن يحـاول أن يخـتـفـى بعـيـدًا عـن نيـران المدفعـيـة والصواريخ المصرية داخل حصون وقلاع خط بارليف على خط قناة السويس.

ويشهد كبار جنرالات إسرائيل حتى اليوم للقيادة العسكرية المصرية بعبقرية التخطيط والتنفيذ.. لافتتاحية الحرب المذهلة فى أكتوبر ١٩٧٣.

وبعد ثلاثة أيام من الهزائم المتوالية فى الجولان وسيناء.. اكتشفت إسرائيل أنها لم تكن مستعدة للحرب.. وأن تفوقها العسكرى المزعوم.. لم يعد له وجود.

أسوأ أيام جولدا

ولم تتصور السيدة جولدا مائير.. رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت أن يمتد بهـا العـمـر.. إلى اليـوم الذى تـضطر فـيـه إسـرائيل للقـتـال مـن أجل بقـائهـا ووجودها.. والقوات المصرية تتوغل فى سيناء.. ولا يوجد لإسرائيل قوات يمكنها الوقوف فى وجه القوات المصرية.. فى الشمال.. تتوغل القوات السورية فى عمق مرتفعات الجولان.. بما يهدد قلب إسرائيل، كان العرب يريدون استعادة الكرامة والشرف العسكرى.. وكانت إسرائيل تريد الاحتفاظ باحتلالها للأراضى العربية فى سيناء والجولان والقدس والضفة وغزة.

ومن يعود إلى وثائق الحرب فى إسرائيل ومذكرات واعترافات جنرالات جيش الدفـاع الإسـرائيلى فى هذه الأيام.. ربما يصـاب بالذهول، لأن الإحـسـاس بالمفاجأة والصدمة فى إسرائيل كان كاملاً، فلم يتصور جنرالات إسرائيل مطلقا أن تتوافر للعرب والمصريين القدرة أو حتى الفرصة لبدء الحرب والقتال.. وتصوروا أن العرب بالهزيمة.. ضاعت منهم شجاعة القتال.. وإرادة القتال.. وجسارة اتخاذ القرار السياسى بالحرب.

رجال من مصر

ويتوقف الإسرائيليون.. بالكثير من الدهشة وربما حتى الإعجاب.. بمجموعة من الجنرالات المصريين.. الذين تفرغوا للتخطيط لحرب أكتوبر١٩٧٣ منذ اليوم الأول بعد هزيمة يونيو١٩٦٧ وبالتحديد الفريق أول محمد فوزى أول وزير للحربية فى مصر بعد الهزيمة والفريق عبدالمنعم رياض.. الجنرال الذهبى.. الذى خطط لمعارك حرب الاستنزاف.. وأشرف على تنفيذ خطط المعارك بنفسه.. حتى سقط شهيدًا فى إحدى معاركها النبيلة، ويأتى من بعدهما الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس أركان حرب القوات المسلحة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣

وربما أضيف لهم الجنرال الرابع.. اللواء إبراهيم الرفاعى.. الرجل الأسطورة.. وبطل معارك القوات الخاصة المصرية خلف خطوط العدو فى سيناء.. طوال حرب الاستنزاف.. وحتى معارك حرب أكتوبر١٩٧٣ إنهم حفنة من رجال صنعوا أعظم أمجاد العسكرية المصرية فى التاريخ الحديث.. ومعهم الآلاف من الضباط والجنود.. الذين حاربوا بشرف.. ولم يبخلوا بدمائهم دفاعًا عن تراب الوطن المقدس ويستحق أى اسم من هؤلاء الجنرالات الأربعة لقب "فيلدمارشال" أو مشير.. بسهولة.. فى أى جيش من جيوش العالم العريق.. مثل القوات المسلحة المصرية.

لم تكن يومًا واحدًا

لم تكن حرب أكتوبر١٩٧٣ يوماً واحداً.. ولم تبدأ الحرب فى السادس من أكتوبر.. رغم أن المعارك بدأت رسميًا فى الثانية وخمس دقائق من بعد ظهر ذلك اليوم الخالد. فهذا يوم سبقته أيام أخرى طويلة من المعاناة ونزيف الدم والعرق.. حتى وصل بنا الزمن.. لهذا اليوم.. وسجلنا فى التاريخ.. حدث الحرب العظيم من أجل استعادة الكبرياء القومى للأمة العربية كلها.

ذاكرة الوطن.. لا تنسى بطولة الرجال.. لكن التاريخ لا يصنعه رجل واحد.. ولا حتى مجموعة من الرجال.. التاريخ العظيم الحقيقى تصنعه أمة بأسرها.. وهذه هى القيمة الكبرى ليوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ فى تاريخنا وحياتنا.. وفى مستقبلنا.. وحقًا الأيام المجيدة لدى الشعوب هى التى تصنع المستقبل.. أو هى أيام من أجل المستقبل.

ولذلك سيبقى الرصيد العسكرى الخالد لمعارك السادس من أكتوبر.. حياً وقائماً فى عقول وقلوب كل من يتخذ القرار ويصنعه فى مصر على مر الأجيال.

على الناحية الأخرى.. فى تل أبيب.. سوف يبقى السادس من أكتوبر ١٩٧٣ يوماً تتحسب له إسرائيل.. تخشاه وتخاف منه.. وتتمنى ألا يتكرر مرة أخرى.. أو كما قالت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل أمام الدكتور هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكى فى ذلك الوقت.. إن هذا يجب ألا يحدث مرة أخرى!

الإعداد للحرب

ويروى المؤرخون العسكريون الأمريكيون والإسرائيليون قصة حرب أكتوبر.. ويتوقفون طويلاً أمام صورة الفريق الراحل سعد الدين الشاذلى رئيس أركان

حرب القوات المسلحة المصرية.. حين تولى منصب القائد الميدانى للجيوش المصرية.. بعد وفاة الزعيم جمال عبدالناصر وتلخصت مسئولية الفريق سعد الدين الشاذلى فى عبارة واحدة من كلمتين.. الإعداد للحرب!

تولى الفريق الشاذلى الإشراف على إعداد وتدريب وحدات القوات المسلحة المصرية.. على القيام بعملية هجومية واسعة بطول وامتداد قناة السويس.

انغمس الشاذلى فى عملية تفكير طويلة جدًا.. مع ضباط سلاح المهندسين.. لتطوير خطة الهجوم والعبور العظيم لقناة السويس.. التى تعتبر أكبر مانع مائى فى تاريخ الحرب.

ويقف الإسرائيليون فى ذهول أمام السلاح السرى لعبور قناة السويس الذى اكتشفه المصريون فى ألمانيا الغربية.. طلمبات المياه التوربينية.. التى استخدموها فى إزالة سواتر الرمال الهائلة على الضفة الشرقية للقناة.. مما ساعد الجنود المصريين على اختراق وإسقاط وتدمير حصون وقلاع خط بارليف فى ساعات معدودة خلال اليوم الأول للحرب.

القلق فى سماء القاهرة

.. كان المشهد فى القاهرة يدعو للقلق.. خصوصًا بعد قرار الرئيس السادات بطرد الخبراء والمستشارين السوفييت من مصر.

ولأيام عديدة تصور الفريق الشاذلى أن الرئيس السادات ربما يكون قد اتخذ قرارا بتأجيل الحرب.

وشعر الشاذلى بشىء من الحزن خوفًا من احتمالات قيام السوفييت بسحب "طائرات الميج - ٢٥" الثلاث الموجودة فى مصر.. والتى كانت معجزة تكنولوجية كبرى فى ذلك الوقت.. لأنها كانت تحلق فى الجو وتطير بسرعة تفوق سرعة الصوت ثلاث مرات.

وقد قامت هذه الطائرات بعمليات استطلاع وتصوير جوى واسعة للمواقع الإسرائيلية فى جميع أنحاء سيناء.. كما قامت بالتحليق فوق تل أبيب ومفاعل ديمونة مرات عديدة.. وشعرت إسرائيل بالفزع حين فشلت طائرات الفانتوم الأمريكية فى اللحاق بهذه الطائرات والتصدى لها، فى هذه الأيام طلبت إسرائيل.. حسب الوثائق الأمريكية.. ضرورة تزويد طائرات الفانتوم الموجودة لديها.. بمحركات جديدة.. حتى تتمكن من الطيران بثلاثة أضعاف سرعة الصوت مثل «الميج - ٢٥».

وحين تصور الفريق الشاذلى أن الحرب.. ربما لم تعد ممكنة.. فوجئ بأن الرئيس السادات يفوز فى المواجهة مع السوفييت.. وأن قادة الكرملين سارعوا بتزويد مصر بنوعيات جديدة من الأسلحة.. التى لم يسبق لها مثيل فى مسرح عمليات الشرق الأوسط.. وقاموا بتزويد مصر بشحنات من الأسلحة الجديدة.. مثل صواريخ سكود.. أرض - أرض بعيدة المدى وآر - ١٧ مع سربين من مقاتلات الميج - ٢٣ وسوخوى - ٢٠ المتطورة.

الأمل فى النصر

فى هذه الأيام أصبح المشهد فى القاهرة مشحونًا بالأمل والتطلعات الكبرى للحرب والنصر.. خصوصًا بعد أن عقد الرئيس السادات اجتماعًا فى منزله بالجيزة للمجلس الأعلى للقوات المسلحة.. أبلغ كبار الجنرالات خلاله بأن مصر أصبحت فى موقف.. إما تكون أو لا تكون.. وإذا لم تنجح القوات المسلحة فى هذا الاختبار التاريخى.. فسوف تتلاشى قضية الأراضى العربية المحتلة من جدول أعمال العالم مع أوائل ١٩٧٣ وانتهى اللقاء عند منتصف الليل.

وفى اليوم التالى.. قام الرئيس السادات باستدعاء الفريق سعد الدين الشاذلى مرة أخرى وأبلغه بأن العد التنازلى للحرب قد بدأ.. وهنا شعر الشاذلى بأنه قد حصل فعلاً على ما يريد.. ويقول هاوارد بلوم فى كتابه الشهير.. "صبيحة الدمار".. إن هذا الجنرال.. سعد الدين الشاذلى.. هو الذى أخذ على عاتقه التخطيط لحرب أكتوبر ١٩٧٣ التى دمرت إسرائيل تقريبا.. وغيرت وجه الشرق الأوسط إلى الأبد.

السادات والأسد

وحدث مشهد آخر فى القاهرة.. لن ينساه التاريخ.. فقد اجتمع الراحلان.. الرئيس أنور السادات والرئيس السورى حافظ الأسد.. فى إحدى القواعد الجوية المصرية.. فى يوم من أيام إبريل ١٩٧٣ وكان هذا اللقاء حاسمًا وتاريخيًا.

فقد تحدث السادات بصراحة وقال للأسد.. إننى أخطط لبدء المعركة هذا العام.. ما رأيك؟! كان السادات يدرك أن النصر فى الحرب يعتمد على إجابة الأسد.. الذى استجمع أفكاره سريعًا.. ثم قال للسادات.. إننا فى سوريا سنكون معك.. لقد قمنا بالاستعداد للمعركة منذ فترة طويلة.

خطة الخداع

بدءا من الثانى والعشرين من سبتمبر ١٩٧٣ بدأت فى القاهرة خطة الخداع الاستراتيجى.. التى سبقت الحرب.. وبدأت مشاهد الجنود المصريين على شاطئ القناة توحى بالاسترخاء.. وسط مباريات كرة القدم.. وصيد السمك.. ورحلات الحج والعمرة للضباط والجنود التى تتناقل أخبارها صحيفة الأهرام وصحف القاهرة الأخرى.

.. ومن القاهرة بدأت الصحافة الإنجليزية والأمريكية تنشر أخبار وشائعات غضب السوفييت من حلفائهم العرب فى مصر وسوريا.. بعد أن تدهورت العلاقات بين الجانبين إلى أدنى مستوى.

وذكرت صحيفة واشنطن بوست فى تحليل إخبارى من القاهرة.. أن الوحدة العربية أسطورة أكثر منها حقيقة.. وقالت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أيضاً إن الروس يشعرون بالحيرة تجاه أصدقائهم فى مصر وسوريا.. ولم يكتشف الأمريكيون أنهم تعرضوا لعملية خداع فى القاهرة بأوامر وتعليمات مباشرة من الرئيس السادات والفريق سعد الدين الشاذلى.

فى مكتب ديان

.. كانت الصورة مختلفة تماما فى مكتب وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت.. الجنرال موشى ديان.. ففى يوم الرابع من أكتوبر ١٩٧٣ قبل الحرب بـ ٤٨ ساعة فقط.. جلس الجنرال ديان فى مكتبه مع الجنرال ديفيد بن أليعازر رئيس أركان حرب جيش الدفاع الإسرائيلى.. وتركز الحديث بينهما على جبهة الجولان.. لأن إسرائيل كانت تتحسب دائمًا لخطر نجاح القوات السورية فى اختراق خطوط المدرعات الإسرائيلية فى الجولان.. والوصول منها مباشرة إلى قلب إسرائيل فى الجليل وبحيرة طبرية.. والطريق منها إلى تل أبيب لا يزيد على ٣٥ كيلومترًا.

تحدث ديان بدهشة وقال لماذا تأخر الشتاء هذه السنة؟ إن الحرب مستحيلة فى الشتاء فى مرتفعات الجولان واعترف ديان بأن الكابوس يلاحقه فى كل ليلة خوفًا على المستوطنات الإسرائيلية فى الجولان وفى الجليل.

ولم ينس ديان أن يتحدث بغرور.. أمام الجنرال بن أليعازر وجنرالات هيئة الأركان الإسرائيلية.. وهو يقول.. لو توفرت الجرأة لدى السوريين للقيام بهجوم فسوف نقوم بتدميرهم.. ورغم حشود القوات المصرية الضخمة على شاطئ

القناة.. فإن هذه الحشود لا تمثل خطرًا داهمًا على إسرائيل.. والمصريون ليست لديهم النية لبدء الحرب.. قالها ديان بثقة ويقين كامل، وبناء على ذلك طلب ديان استغلال شهر أكتوبر فى وضع خطة لحماية المستوطنات الإسرائيلية فى الجولان.. مع التخطيط فى وسيلة ما.. يمكن بها ردع مصر.. ومنعها من القيام بأى هجوم.

هكذا اتفق ديان مع كبار الجنرالات على خطة جيش الدفاع الإسرائيلى لشهر أكتوبر ١٩٧٣ قبل بدء المعارك بثمان وأربعين ساعة فقط.

تقارير إسرائيلية

العجيب أن تقارير المخابرات العسكرية الإسرائيلية "أمان" حول أوضاع القوات المسلحة المصرية على شاطئ القناة كانت مثيرة للقلق ومخيفة.. بعد أن ارتفع عدد قطع المدفعية الثقيلة حسب التقديرات الإسرائيلية فى ذلك الوقت من ٨٠٠ قطعة إلى ألف ومئة قطعة مدفعية.. وتحركت مئات الدبابات المصرية إلى رابطها على الخط الأمامى.. استعداداً لإطلاق النار.. وبدأت معدات العبور والكبارى سريعة التركيب فى الوصول يوميًا إلى مختلف القطاعات على طول قناة السويس.

أفادت أحدث تقارير المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى يوم الأربعاء.. الرابع من أكتوبر ١٩٧٣ بأن مصر قد حشدت خمس فرق مشاة كاملة.. تضم ما بين ٨٠ و١٠٠ ألف جندى.. وأكثر من ألف دبابة.

ثقة مطلقة فى إسرائيل

فى المقابل كان انتشار القوات الإسرائيلية على خطوط القناة.. فى الضفة الشرقية يوحى بالثقة المطلقة فى أن مصر لن تلجأ للحرب.. قبل أن تحصل على سلاح الردع الشهير.. وعلى طائرات بعيدة المدى قادرة على الوصول إلى إسرائيل فى العمق.

بناء على ذلك حشدت إسرائيل لواءين من الدبابات - ٢٢٠ دبابة - واتخذت الدبابات الإسرائيلية مواقعها على بعد كيلومتر واحد من شاطئ القناة.

وكان هناك لواء من قوات الاحتياط يتكون من ١٢٠ دبابة.. اتخذ موقعه فى الخلف على بعد ثمانية كيلومترات.. فى حالة تأهب للتدخل عند الحاجة.

وفى لحظة الحقيقة اكتشفت إسرائيل أن حصون وقلاع خط بارليف لا يزيد

عدد الجنود فى كل منها علي ٣٠ جنديًا من جنود الاحتياط.. وليس من قوات المظلات.. كما هو مطلوب فى الخطة الرئيسية الأصلية لإقامة خط بارليف.

سلاح النابالم

فى يوليو١٩٧٣ اكتشف الجنرال الإسرائيلى جونين قائد القوات الإسرائيلية فى سيناء.. أن أنابيب النابالم.. التى كان يفترض فيها أن تشعل مياه قناة السويس لا تعمل ولذلك أصدر أوامره بسرعة إصلاح شبكة مواسير النابالم الرهيبة.. وإزالة الرمال التى تسربت إليها .. وتغيير الأجزاء التى تعرضت للصدأ .. مع ملء الخزانات بما يكفى من وقود اللهب الرهيب.. سريع الاشتعال.

ومن سخريات القدر.. أنه كان مقررًا أن تقوم مجموعة من سلاح المهندسين الإسرائيلى بتفقد شبكة مواسير النابالم يوم السبت ٦ أكتوبر ١٩٧٣ لكن مفاجأة الحرب المذهلة سبقت الجميع فى إسرائيل.. بدءًا من جولدا مائير رئيسة الوزراء وموشى ديان وزير الدفاع وحتى أصغر جندى إسرائيلى فى سيناء.

الخطة السرية

حسب التخطيط الإسرائيلى - الخطة السرية دوفوكوت - طلب قادة سلاح المدرعات الإسرائيلى.. بضرورة إبلاغهم وإنذارهم بالحرب قبل بدء المعارك بـ ٤٨ ساعة.. على الأقل لكن الحرب فاجأت الجميع فى إسرائيل وسبقت الجميع فى إسرائيل.

حسابات خاطئة

وأساء الإسرائيليون تقدير كل شىء.. وأخطأوا فى كل حساباتهم.. وأساءوا تفسير كل ما توفر لديهم من معلومات مذهلة عن الحرب القادمة الوشيكة.. وجاءتهم المعلومات والأسرار على أطباق من ذهب من مصادر عربية عليا .. وحتى من بعض العملاء والجواسيس.. لكن الله تعالى طمس على قلوب وعقول كبار الجنرالات فى إسرائيل.. وحتى المخابرات المركزية الأمريكية أخطأت هى أيضاً فى حساباتها .. وأكدت فى كل تقاريرها للبيت الأبيض فى واشنطن أن الحرب بين العرب وإسرائيل تبدو احتمالاً بعيداً .. ومستبعداً تماماً فى أكتوبر ١٩٧٣ هكذا كانت المفاجأة كاملة الأركان والأسباب فى إسرائيل.. وتبقى مفاجأة الحرب.. التى صنعها التخطيط العسكرى والاستراتيجى المصرى فى أكتوبر ١٩٧٣ من دروس الحرب الكبرى فى الأكاديميات العسكرية الأمريكية والأوروبية.

رحيل مفاجئ

وحين رحلت عائلات المستشارين والخبراء السوفييت من القاهرة ودمشق قبل ساعات من الحرب.. اطمأن الإسرائيليون مرة أخرى إلى استبعاد احتمال الحرب.. وقالوا .. لقد ازدادت العلاقات سوءًا بين مصر والاتحاد السوفييتى.. ورحل الخبراء السوفيت قبل استكمال تدريب الجنود المصريين على استخدام سلاح الردع.. صواريخ سكود.. بعيدة المدى.

وتحدثوا فى تل أبيب عن الرئيس السورى حافظ الأسد.. الذى قام هو أيضاً بطرد الخبراء السوفييت من سوريا، وتحدثوا فى إسرائيل أيضا عن وجود أزمة صامتة فى العلاقات بين مصر وسوريا!!

واحتفظ جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلى "أمان" بموقفه.. وأكد فى تقارير اللحظة الأخيرة أن الحرب ليست وشيكة رغم كل هذه الحشود المصرية والسورية عند القناة وفى الجولان.

وتعمدت المخابرات العسكرية الإسرائيلية تجاهل كل هذه المعلومات.. رغم أنها كانت حقائق مخيفة.. يجب أن تؤخذ فى الحسبان جيدًا.

فى الإسماعيلية

وأبدى الخبراء العسكريون دهشتهم من موقف الفريق سعد الدين الشاذلى رئيس الأركان المصرى الذى تحرك من القاهرة يوم الجمعة الخامس من أكتوبر.. وتوجه إلى الإسماعيلية.. حين اطمأن بنفسه من هناك.. وباستخدام عدسة الميدان أن مواقع القوات الإسرائيلية لم يطرأ عليها أى تغيير يوحى بقيام إسرائيل باستدعاء قوات الاحتياط.. بما يؤكد أن المفاجأة ستكون مذهلة فى إسرائيل.

آخر تقارير الاستطلاع

اختلفت الصورة مرة أخرى فى تل أبيب وبالتحديد فى "كيرا".. مقر قيادة جيش الدفاع الإسرائيلى.. حيث تلقى الجنرال ديفيد بن أليعازر رئيس الأركان التقارير الأخيرة للاستطلاع الجوى الإسرائيلى للمواقع المصرية فى جبهة القناة فى الساعة الخامسة و٤٥ دقيقة مساء الجمعة ٥ أكتوبر١٩٧٣ .

وأكدت تقارير طائرات الاستطلاع الإسرائيلية أن القوات المصرية فى حالة تأهب قصوى.. لم تحدث من قبل!! وتضمن التقرير على مدى سبع صفحات كاملة تفاصيل حشود المدفعية والدبابات المصرية.

حين انتهى الجنرال موشى ديان من قراءة هذا التقرير الخطير.. قال لجنرالات هيئة الأركان الإسرائيلية.. إن من يقرأ هذا التقرير يمكن أن يصاب بأزمة قلبية على الفور.. وذلك بمجرد الاطلاع على أرقام حشود الدبابات والمدفعية المصرية.

نوايا الحرب

وجاء رد فعل الجنرال بن أليعازر سريعًا.. وقال لموشى ديان.. إن هذه الأرقام تؤكد نوايا المصريين فى الاستعداد للحرب والقيام بهجوم ضد إسرائيل، ولذلك أصدر بن أليعازر أوامره بإلغاء الإجازات الميدانية للضباط والجنود الإسرائيليين فى سيناء والجولان.. كما أمر بإرسال اللواء المدرع السابع إلى الجولان.. لتعزيز الدفاعات الإسرائيلية هناك.. وأصدر أمرًا آخر بنقل لواء إسرائيلى مدرع آخر جوا إلى سيناء لتعزيز الدفاعات الإسرائيلية على جبهة القناة.

وقد رحب الجنرال ديان بالإجراءات والأوامر التى أصدرها الجنرال بن أليعازر.. لكنه قال إن إسرائيل تحتفل بعيد الغفران ولذلك من المستحيل إعلان التعبئة العامة واستدعاء الاحتياط.. فى هذا اليوم المقدس.. الذى تكون فيه إسرائيل كلها فى حالة موات.. والناس فى إجازة من كل شىء.. ومن الحياة نفسها.

مزامير داود

وطلب ديان من إذاعة الجيش الإسرائيلى الاستمرار فى البث.. وإذاعة مزامير داود كل ساعتين.. رغم أن ذلك يمكن أن يثير فزعًا فى إسرائيل.. لأن إذاعة الجيش مستمرة فى العمل فى يوم عيد الغفران.

واتفق الجنرالان ديان وبن أليعازر على ضرورة أن يتلقى الجيش الإسرائيلى إنذارًا بالحرب من المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى الوقت المناسب وبالفعل انضم الجنرال إيلى زعيرا قائد المخابرات العسكرية الإسرائيلية إلى ديان وبن أليعازر.. حين توجه الثلاثة إلى مكتب السيدة العجوز.. جولدامائير رئيسة الوزراء لإبلاغها آخر تطورات الموقف العسكرى على الجبهتين.. المصرية والسورية.

ومن البداية تحدث الجنرال زعيرا قائد المخابرات الإسرائيلية بثقة ويقين.. وقال للسيدة جولدامائير.. إن احتمال قيام المصريين والسوريين بالهجوم على

إسرائيل مستبعد تماما.. أضاف.. ربما تصور السوفييت فى موسكو أن العرب سيقومون بالهجوم.. لكننا فى إسرائيل نعرف العرب جيدا.. ونفهم العرب جيدا!!

وبطريقته تحدث بن أليعازر.. وقال حقًا يوجد هناك ما يدعو للقلق.. ولكن لا يوجد ما يدعونا فى إسرائيل إلى اتخاذ إجراءات شاملة.. ولا يوجد على الإطلاق ما يدعونا إلى استدعاء قوات الاحتياط.

وتعمد الجنرال موشى ديان أن يتحدث فى الختام.. وقال بلهجة شبه فلسفية لقد اتخذنا بعض الاستعدادات.. لكننا على أى حال لا نشعر بالقلق تجاه الجبهة المصرية.. فلا توجد نية للحرب لدى مصر.. لكننا نشعر بالقلق دائمًا تجاه الجبهة السورية.

ومع ذلك قررت السيدة جولدامائير عقد اجتماع للوزراء الإسرائيليين الموجودين فى تل أبيب يوم الجمعة ٥ أكتوبر فى تمام الثانية عشرة والنصف ظهراً الدراسة الموقف وما فيه من احتمالات.

وقبل الحرب ب ٢٤ ساعة فقط.. وقف ديفيد بن أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى أمام مجلس الوزراء وجولدامائير.. ليؤكد أن آخر تقارير المخابرات العسكرية الإسرائيلية تؤكد أن إسرائيل لا تواجه خطر الحرب.

أجواء معبأة

وكان إسرائيل جاليلى وزيرًا بلا وزارة وأقرب المستشارين للسيدة جولدامائير.. وقال أمام الجنرالات والوزراء.. إن هذه الأجواء المشحونة بالتوتر تبدو معبأة بالمفاجآت.. وعلى الفور رد الجنرال إيلى زعيرا قائد المخابرات العسكرية الإسرائيلية بضيق وغضب.. وقال إن تقديرات الوزراء العواجيز فى هذه الحكومة سخيفة.. ولا يمكننا أن نجلس فى مثل هذا الاجتماع لنصغى لوزراء عواجيز فقدوا أعصابهم.. ويتحدثون عن أفق معبأ بالمفاجآت.. وهم لا يعلمون أن التأهب للمفاجآت يكلف إسرائيل مئات الملايين من الدولارات فى كل مرة.. لكنهم لا يعلمون أن دولة إسرائيل.. تعلم جيدًا ما هو قادم فى هذه الأجواء.. وقال إن احتمال قيام المصريين بعبور قناة السويس مستبعد تماما.. لكن الاحتمال الأغلب.. هو أن تحدث اشتباكات عسكرية بين القوات المصرية والإسرائيلية هنا.. أو هناك.. أو قد تحدث غارات محدودة ولكنها ليست حربًا وشيكة!

شىء ما سوف يحدث

فى هذه اللحظات اعتمدت جولدامائير على جنرالات إسرائيل.. لكنها شعرت بالقلق وقالت لهم أريد أن أقول لكم كلمة واحدة وهى.. هناك شىء ما سوف يحدث!!

وفى النهاية قامت جولدامائير بتوديع الجنرالات.. مع توجيه التهنئة لهم بعيد الغفران.. وبصوم جميل فى عيد الغفران وفى منتصف ليلة الخامس من أكتوبر ١٩٧٣ تلقت إسرائيل برقيات ومعلومات مؤكدة من مصدر عربى عميل يؤكد أن مصر وسوريا ستقومان بهجوم متزامن فى وقت واحد فى القناة والجولان.. فى تمام الساعة السادسة عند غروب يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ .

.. وكانت المفاجأة عاصفة ومذهلة لكل جنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.. ومضت ساعات الليل طويلة وثقيلة على الجنرال الإسرائيلى ديفيد بن أليعازر الذى توجه إلى مكتبه فى تل أبيب قبل الفجر.. وجلس فوق مقعده.. وهو يتصور أن قيام مصر وسوريا بالهجوم فى السادسة مساء عند الغروب.. يعطى لإسرائيل نحو ١٤ ساعة كاملة للاستعداد لمواجهة الموقف.

واشتعلت التليفونات الساخنة عند الفجر فى يوم ٦ أكتوبر فى إسرائيل.. ما بين مكاتب جهاز المخابرات الموساد الإسرائيلى ومكتب جولدامائير رئيسة الوزراء.. ومكتب موشى ديان وزير الدفاع.. وتكهربت الأجواء فى إسرائيل عند الفجر.

يوم طويل جدًا

وشعر ديفيد بن أليعازر رئيس الأركان الإسرائيلى أنه أمام يوم طويل يمكن أن يفعل فيه كل شىء.. ويمكنه تكليف سلاح الطيران الإسرائيلى بتوجيه ضربة استباقية للحشود المصرية والسورية فى قناة السويس والجولان.. لإجهاض أى محاولة للهجوم العربى قبل أن تحدث.. خصوصًا بعد أن أصبحت الحرب مؤكدة.. وبذلك لم تعد هناك أسباب عسكرية أو سياسية تدعو إسرائيل لضبط النفس.

عند الفجر

وبسرعة رفع الجنرال بن أليعازر سماعة التليفون وتحدث مع الجنرال بين بيليد قائد سلاح الطيران الإسرائيلى وناقش معه الموقف.. وتلقى منه تقريرًا يبعث على السعادة.. حيث أبلغه بأن سلاح الطيران الإسرائيلى يمكنه تدمير سلاح الطيران السورى خلال ساعة واحدة.. ويمكنه تدمير شبكة صواريخ الدفاع

الجوى السورى خلال عدة ساعات.. وإذا ما توفرت ساعات من ضوء النهار يمكن للطائرات الإسرائيلية أن تتوجه جنوبًا لتدمير حشود القوات المصرية على جبهة القناة.. ولم ينسَ الجنرال بيليد أن يقول إنه من المفروض أن يتلقى سلاح الطيران الإسرائيلى إنذارًا بالاستعداد للحرب قبل ٤٨ ساعة على الأقل.. فى هذه المرة.. لا تزيد فترة الإنذار على ١٤ ساعة فقط.

فرد عليه الجنرال بن أليعازر بالقول إن سلاح الطيران الإسرائيلى وحده هو القادر على إحباط الهجوم العربى المنتظر.

التفويض الغائب

وتصور بن أليعازر أنه يمكنه الحصول على تفويض من السيدة جولدامائير رئيسة الوزراء بتوجيه ضربة إجهاض استباقية للقوات المصرية والسورية بسهولة.. لكنه فوجئ بأن جولدامائير ومعها موشى ديان يرفضان أن تبدأ إسرائيل حرباً.. خوفًا من مخاطر إثارة غضب أمريكا.. وفقدان الدعم الأمريكى لإسرائيل.

وقال موشى ديان.. لو كانت الضربة الاستباقية تضمن لجنرالات إسرائيل تذكرة إلى الجنة.. فإنه يرفض هذه الضربة حتى لا تثير غضب الأمريكيين، فقد كانت المخابرات الأمريكية على يقين من أن العرب لا يفكرون فى الحرب.. ولذلك لن يسمح الرئيس الأمريكى نيكسون ومعه هنرى كيسنجر لإسرائيل بأن تبدأ الحرب.

الرصاصة الأولى

وأضاف ديان أنه حتى لو اقتنع الأمريكيون بأن العرب يستعدون للحرب.. فإنهم سيقولون لإسرائيل.. ثم ماذا بعد.. دعوا العرب يطلقون الرصاصة الأولى.. ليذوقوا مرارة الهزيمة من جديد!

وحين أراد ديفيد بن أليعازر إعلان التعبئة العامة.. فوجئ بديان يرفض ويقول له إنك تريد استدعاء الاحتياط استعدادا لحرب لم تبدأ بعد.. وبصعوبة وافق ديان على استدعاء ٣٠ ألف جندى لدعم القوات المدرعة الإسرائيلية فى الجولان.

وعقدت الحكومة الإسرائيلية اجتماعًا طارئًا برئاسة جولدامائير فى الثانية عشرة والنصف من ظهر يوم السادس من أكتوبر ١٩٧٣ لبحث الموقف.. حضره

ديان وكبار الجنرالات.. وبصعوبة جرت الموافقة على استدعاء ١٢٠ ألفًا من قوات الاحتياط.

واعترف الجنرال ديفيد بن أليعازر بأنه شعر فى هذه اللحظات الصعبة بأنه فقد الإحساس بالنصر.. فحسب المعلومات الواردة لإسرائيل.. ستبدأ الحرب فى السادسة مساء.. أى خلال ست ساعات.. وحتى اللحظة الأخيرة لم يكن ديان على ثقة بأن الحرب وشيكة.. لكن صفارات الإنذار دوت فى تل أبيب قبل نهاية الاجتماع.. وحين تساءلت جولدامائير.. ما هذه الصفارات.. تقدم لها موشى ديان وزير الدفاع بأول بيان.. حول الحرب.. فقد قام الطيران المصرى والسورى بضرب وتدمير جميع المواقع الإسرائيلية الرئيسية فى الجولان وسيناء.. وأن الدبابات السورية اقتحمت خطوط المدرعات الإسرائيلية فى الجولان.. فى حين بدأت القوات المصرية اقتحام قناة السويس.. والعبور إلى قلب سيناء.. وكانت مفاجأة مذهلة.. لم تتحملها السيدة العجوز جولدامائير.. التى رفعت سماعة التليفون وهى تبكى إلى الرئيس الأمريكى نيكسون وتطلب منه وتستجديه أن يقوم بإنقاذ إسرائيل وتزويدها سريعا بالسلاح.. لأن إسرائيل تواجه شبح الهزيمة الكاملة فى الحرب مع المصريين والسوريين، وتبقى أسئلة للتاريخ.. لماذا سارعت أمريكا لتزويد إسرائيل بالسلاح وإنقاذها من الهزيمة؟! وماذا كان فى الجسر الجوى الأمريكى من أسلحة وطائرات ومعدات؟!

حلم إسرائيل الكبرى.. يعنى زوال العالم العربى تماماً!!
أين الطريق.. أمام مصر والعرب.. فى هذا الزمن الصعب؟!

الأزمات الاقتصادية.. تحاصر القوى العالمية فى أمريكا وأوروبا واليابان.. وحتى الصين والصراعات الدولية.. تتفجر فى كل مكان فوق كوكب الأرض.. وإن كان العالم العربى قد ذاق نيران الجحيم المدمر خلال سلسلة الحروب الأمريكية التى لا تريد أن تنتهى سواء فى العراق أو سوريا أو حتى ليبيا واليمن ويقال صراحة فى تل أبيب وواشنطن إن نيران الفوضى والإرهاب والحروب الأهلية سوف تمتد عاجلاً أم آجلاً.. إلى دول المغرب العربى فى الجزائر والمغرب ويبقى لدول الخليج العربى سيناريو آخر من الحرائق الأمريكية التى لن تجد من يطفئها!!

أخيرًا.. كنا نتصور أن أمريكا هى أكبر مدين فى التاريخ.. بعد أن وصل حجم الديون المستحقة على الحكومة الفيدرالية الأمريكية إلى أكثر من ٢٠ ألف مليار دولار .

حتى اكتشفنا فجأة أن وراء البطء الاقتصادى فى الصين أزمة ديون رهيبة.. تبلغ ثلاثة أضعاف الدخل القومى للصين كما أن اليابان تواجه أزمة ديون خانقة تعادل ٢٥٠٪ من الدخل القومى وفى أوروبا.. تسبح دول كبرى مثل فرنسا وبريطانيا وإيطاليا وإسبانيا فوق بحار هائلة من الديون ولم تجد أمريكا حلاً لأزمة العجز المالى والديون المتفاقمة لديها سوى بالقيام بطبع أوراق البنكنوت من الدولارات بشراهة لم يسبق لها مثيل وانتقل وباء طباعة الدولار دون أرصدة اقتصادية إلى طباعة اليورو فى أوروبا وطباعة اليوان فى الصين.

ويقول خبراء السياسة والاقتصاد فى العالم إن القرن الحادى والعشرين قام باستنساخ أجواء الثلاثينيات من القرن الماضى حين أدت أزمة الكساد العالمى بالقوى الكبرى إلى الاندفاع الشرس نحو معارك الحرب العالمية الثانية.

وكنا نتصور أن الأسلحة النووية هى الوسيلة الوحيدة لمنع الحرب لكن الأصوات ترتفع فى واشنطن ولندن وبروكسل حاليًا بأن الحروب الكبرى حتى

فى أوروبا تبدو خطيرة جداً لكنها ليست مستحيلة ويبدو أن العداء لروسيا يملأ الأفق!!

وبدأ الرئيس الأمريكى باراك أوباما يتعرض لانتقادات حادة بدعوى أنه انشغل تماما فى التخطيط لحروب أمريكا السرية والمعلنة ضد الدول والشعوب العربية دون الانتباه للخطر الروسى الصاعد فى أوروبا وخطر انفراد الصين بالهيمنة فى جنوب شرق آسيا!!

هل فات أوان الحسابات الاستراتيجية المنطقية فى واشنطن؟! لكن الاقتصاد العالمى أصبح كياناً واحداً ولو تعرضت الصين لزلزال اقتصادى بسبب الديون والتنمية التضخمية فلن تعانى أو حتى تسقط وحدها!! كما أن تراجع الاقتصادى الأمريكى وانكماشه يؤدى بطبيعته لأزمة عالمية تضرب بكل الدول والشعوب.. هكذا يبدو العالم العربى سبق العالم كله إلى "الحفرة".. حفرة الفوضى وحروب الإرهاب وسقوط الدول الوطنية ونظم الحكم وانتشر الفراغ السياسى من العراق إلى سوريا وحتى ليبيا واليمن.

وحين ظهر الفكر الأمريكى الجديد بالتخطيط لحروب الجيل الرابع ضد الدول والشعوب العربية كانت النتائج باهرة خصوصاً بعد أن تم القضاء تقريبا على العراق بالغزو والاحتلال وتم إسقاط القذافى فى ليبيا بعملية عسكرية دموية ناعمة بقرار من الأمم المتحدة والجامعة العربية!!

ويتجه الفكر الاستراتيجى فى واشنطن وتل أبيب ولندن حاليا إلى تحويل الربيع العربى من ثورات من أجل التغيير إلى حمى دائمة وتأخذ بقلب دولة كبرى مثل مصر حتى تبقى فى حالة انكسار وتراجع دائم وليس سرا أنه يوجد فى واشنطن وتل أبيب من يخططون فى الظلام لما يطلقون عليه "ثورة ثالثة" فى مصر ضد النظام الوطنى الذى أقامته ثورة ٣٠ يونيو بقيادة الرئيس عبدالفتاح السيسى ويعترف الأمريكى بول بيلر بأن النظام السياسى الجديد فى مصر ليس مهدداً لكن مصر بحاجة لمعجزة اقتصادية تعبر بها من مستنقع الأزمات إلى شاطئ الأمن والاستقرار.

الحصار بالأزمات

ولقد تحدثنا طويلاً عن مخطط حصار مصر بالأزمات والمخاطر من كل اتجاه حتى تفقد القدرة على الانتباه واليقظة لما حولها ولما يحاك ضدها من مؤامرات ولا يخفى البعض فى واشنطن رغبتهم فى ضرورة أن تبقى مصر فى حالة خوف دائم من خطر ثورة جديدة.

وباسم الديمقراطية واحترام الحريات تتعرض مصر لانتقادات قاسية فى الصحافة الأمريكية والأوروبية ولا يخفى البعض فى واشنطن مشاعرهم فى أن استمرار حصار مصر بالأزمات وجرائم الإرهاب والفوضى من شأنه أن يؤدى فى النهاية إلى تليين قدرة مصر على الصمود؟ لأن المطلوب ليس فقط إسقاط الدولة الوطنية فى مصر كما يتوهم البعض.. بل تقسيم وتفتيت وتحزيم مصر مثلما حدث ويحدث فى العراق وسوريا وليبيا والسودان.

ويقال فى أمريكا الشمالية أن وزارة الدفاع الأمريكية لديها خطط عسكرية جاهزة للتنفيذ تستهدف احتلال وضم دول كبرى إليها مثل كندا والمكسيك لكن المخطط الأمريكى - الإسرائيلى فى العالم العربى يستهدف تقويض وتدمير دول وشعوب العالم العربى بالكامل بلا استثناء واحد.

مصر الجديدة.. تثير القلق

ويبدو أن بقاء مصر القوية بقواتها المسلحة والشعب الموحد أمر يثير القلب والغضب والمخاوف الكبرى على مستقبل إسرائيل فى المنطقة وتكشف الملفات السرية لواشنطن أن أجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية تتعاون مع أجهزة سرية عربية لتوفير الدعم بالمال والسلاح لتنظيم ما يسمى بـ "أنصار بيت المقدس" من أجل استنزاف القوات المسلحة المصرية فى سيناء فى حرب دموية طويلة وشاركت الأجهزة السرية فى استقبال شحنات السلاح القادمة من كرواتيا وروسيا البيضاء وأوكرانيا حيث يتم توزيعها على فصائل الإرهاب التابعة لتنظيم داعش والقاعدة فى سوريا والعراق وهبطت الطائرات بشحنات السلاح لتنظيم بيت المقدس الإرهابى مرات عديدة فى مطار إيلات جنوب إسرائيل.

وسرعان ما حدثت المفاجأة واتضح أن عصابات الإرهاب فى سيناء تمتلك صواريخ متطورة مضادة للدبابات وشحنات وقنابل ناسفة لا يمكن رصدها بالأجهزة العادية فماذا حدث وما هو الهدف ولماذا سيناء بالتحديد هى الهدف؟! ومازالت شبكة البنوك الكبرى فى أمريكا وأوروبا توفر قنوات التمويل المباشر لشبكات الإرهاب فى سيناء وسوريا والعراق وليبيا رغم الحرب الأمريكية المزعومة ضد داعش واستخدام القاذفات الاستراتيجية العملاقة طراز بى- ٥٢ فى هذه الحرب.

خطة عزل مصر

ويتضمن المخطط الشيطانى ضد مصر وقواتها المسلحة ضرورة أن تتعرض مصر لعزلة عالمية تقطع عليها الطريق قبل أن تتمكن من تنفيذ اتفاقات الشراكة

الاستراتيجية التى توصلت إليها خصوصًا مع روسيا والصين واليابان وكوريا الجنوبية وفرنسا.

وهناك من يريد قطع الطريق على مصر حتى لا تتمكن من تنفيذ مشروع المحطة النووية فى الضبعة بالتعاون مع روسيا وبخاصة أن المشروع يتضمن استثمارات مباشرة فى مصر تزيد على ٢٢ مليار دولار ويتردد فى تل أبيب أن إسرائيل توصلت لاتفاق سرى مع تنظيم داعش الإرهابى يقضى بتقديم الدعم بالسلاح لفصائل التنظيم فى شمال وجنوب سوريا مقابل حظر عمليات التنظيم داخل إسرائيل لكن هذه ليست هى القصة.. لأن الولايات المتحدة بدأت تنفيذ الجزء الثانى من المؤامرة الكبرى ضد سوريا ليس فقط بمضاعفة حجم القوات الخاصة الأمريكية فى سوريا ولكن ايضًا بتزويد فصائل الإرهاب بنوعيات حديثة من الصواريخ المضادة للدبابات والصواريخ المضادة للطائرات وتؤكد كل المؤشرات أن الهدنة الزائفة فى سوريا على وشك الانهيار خلال ساعات وربما أيام قادمة بما يؤكد أن الحرب فى سوريا سوف تنفجر وتشتعل من جديد بأبعاد خطيرة لم تحدث من قبل حتى بعد أن تحول ١٥ مليون سورى إلى لاجئين فى مختلف دول العالم.

لكن المؤامرة على مصر هى الأكبر والأكثر خطورة وقد بدأت خيوطها الأولى بحادثة سقوط أو إسقاط طائرة الركاب الروسية فى سيناء فى ضربة مخابراتية إرهابية مزدوجة تلوثت فيها أيدى الأجهزة السرية الأمريكية والبريطانية والإسرائيلية فى سابقة ليس لها مثيل سوى مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر فى ١٩٥٦ والقصة الآن مثار أحاديث وتحليلات طويلة فى صحف تل أبيب وواشنطن وما لا يقال أشد وأخطر من كل ما يقال!! لكننا نكتشف أن قائمة أعداء مصر مازالت - كما هى - بلا تغيير ولم يكن غريبًا أن تبدأ بريطانيا مسلسل الانسحاب الجماعى للسياح من شرم الشيخ!!

لم يكن الهدف هو ضرب السياحة المصرية وضرب اقتصاد مصر فقط.. لكن الهدف أيضا كان ضرورة الإسراع بقطع الطريق على مصر حتى يتم وضع نهاية لقصة التقارب الاستراتيجى الجديد بين مصر وروسيا كما طالبت بذلك مراكز الأبحاث الاستراتيجية الأمريكية فى كرانجى وجامعات كاليفورنيا وشيكاغو.

خطة ينون

وتبقى أسئلة كثيرة ورهيبة بلا إجابات واضحة لكننا نرى ونشاهد خيوط المؤامرات تلتف حول أعناق الدول والشعوب العربية بما يؤدى فى النهاية إلى تصفية وجود العالم العربى ذاته وهذا هو جوهر الخطة السرية الإسرائيلية التى

وضعها صحفى إسرائيلى يدعى أوديدينون فى ١٩٨٢ وعرضها على إريل شارون وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت وكانت معركة دخول القوات الإسرائيلية إلى بيروت هى ضربة البداية والتى كان من أهدافها أيضًا.. استفزاز مصر للتدخل بما يدفع إسرائيل لإعادة احتلال سيناء بعد الانسحاب منها بشهور قليلة ونكتشف أن سيناء هى الهدف لكل الخطط ومخططات إسقاط مصر واستنزاف قواتها المسلحة!!

واشتهرت خطة أوديدينون فى إسرائيل باسم خطة ينون التى تحولت إلى وثيقة مقدسة لدى جيش الدفاع الإسرائيلى وأجهزة المخابرات الإسرائيلية ومن يسترجع سيناريوهات الغزو والاحتلال الأمريكى للعراق فى ٢٠٠٣ وحتى الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان وغزة فى ٢٠٠٦ و٢٠٠٨ والحرب على ليبيا فى ٢٠١١ وحتى الحرب المريرة الدائرة حاليا فى سوريا لابد ن يكتشف فى النهاية أن خطة ينون الإسرائيلية وجدت من يسعون بقوة بالغة لتنفيذها بدقة تامة.

ويتضح أن مخطط إسقاط الدولة الوطنية فى مصر ليس إلا جزءًا من المخطط الصهيونى الذى يستهدف إسقاط العالم العربى كله دولاً وشعوبًا لصالح المشروع الصهيونى وأوهام إعادة بناء "إمبراطورية سليمان" فى الشرق الأوسط ويقوم المخطط السرى الصهيونى الذى ترعاه الولايات المتحدة الأمريكية بقوة السلاح على ضرورة إضعاف وإسقاط الدول العربية بلا استثناء واحد بما فى ذلك دول الخليج والمغرب العربى من أجل تحقيق حلم إسرائيل الكبرى أو إمبراطورية سليمان الجديدة القادرة على الانفراد بالهيمنة فى العالم العربى.

ويقوم المشروع الصهيونى السرى على ضرورة أن يمتد الاستيطان الإسرائيلى إلى كامل الأراضى التاريخية لفلسطين أو كما تقول صحيفة «يديعوت أحرونوت» الإسرائيلية من الضرورى أن تفرض إسرائيل سيطرتها على كامل أراضى القدس وفلسطين بأقل عدد ممكن من أبناء الشعب الفلسطينى.

التفتيت والتجزئة

ويشمل المشروع الصهيونى لإقامة إسرائيل الكبرى فى القرن الجديد ضرورة أن يتم تفتيت وتجزئة الدول العربية المحيطة بإسرائيل إلى دويلات وكيانات عرقية ودينية صغيرة جدًا تتحول بالضرورة إلى دويلات عميلة لإسرائيل القوة الأعظم فى المنطقة وتخطط إسرائيل بقوة السلاح الأمريكى لإقامة دويلات عميلة لها فى سوريا ولبنان والأردن والعراق والسعودية وحتى سيناء.. نعم دويلة عميلة

لإسرائيل فى سيناء وهذا هو الهدف المعلن لقوى وعصابات الإرهاب الداعشى التى أطلقت على سيناء اسم ولاية سيناء!!

ويعترف الإسرائيليون بأن خطة ينون الجديدة لإقامة إسرائيل الكبرى هى فى الواقع استمرار للخطة التى وضعها الاستعمار البريطانى سابقًا فى الشرق الأوسط،. وتنادى الخطة ينون بضرورة ضمان التفوق الاقتصادى والتكنولوجى والعسكرى لإسرائيل الكبرى ما يعطى لإسرائيل القدرة على الانفراد بإعادة رسم خريطة الجوار العربى المحيط بها حسب مصالحها السياسية والاستراتيجية والجغرافية بحيث يتم تقسيم وتفتيت الدول العربية فى العراق وسوريا ولبنان والأردن وحتى السعودية ومصر إلى دويلات وكيانات صغيرة ضعيفة ومتهالكة ليس أمامها أى بديل سوى الاستسلام الكامل للهيمنة الإسرائيلية والأمريكية.

العراق.. العراق

قبل غزو العراق بثلاثين عاماً طالب المخطط الإسرائيلى أوديدينون بضرورة تقسيم العراق إلى ثلاث دويلات صغيرة الأولى للأكراد فى الشمال والثانية للشيعة فى البصرة والثالثة للسنة فى بغداد والوسط وتتولى الولايات المتحدة الأمريكية حاليا مسئولية تنفيذ المخطط السرى لإسرائيل الكبرى بكل دقة وإخلاص صهيونى لا مثيل له ومن أجل هذا المخطط الصهيونى المقدس جرى التخطيط فى البنتاجون لحروب الجيل الرابع التى أطلقت عليها الصين اصطلاح الحرب التى لا تعرف الحدود أو القيود ببساطة لأنها تشمل الحرب النظامية بين الجيوش وحروب الإرهاب والعمليات الخاصة القذرة لأجهزة المخابرات الأمريكية والإسرائيلية والبريطانية وحتى الفرنسية بالإضافة إلى الحرب الاقتصادية وفرض العقوبات والحصار وافتعال الأزمات، بالإضافة إلى حروب السايبر والفيروسات الإلكترونية.

وفى ٢٠٠٦ تطوعت مجلة أتلانتيك الأمريكية بنشر خريطة إسرائيل الكبرى طبقاً لخطة ينون السرية ويمتد مخطط التقسيم الأمريكى الإسرائيلى.. من العراق وسوريا ولبنان والأردن حتى مصر والسعودية ودول الخليج ومنطقة شمال أفريقيا بالكامل أى المغرب العربى والسودان ويبدو أن أطماع إسرائيل تتجاوز العالم العربى حتى إيران وتركيا وباكستان!!

دويلات صغيرة متهالكة

ويبقى الحلم الصهيونى قائماً فى ضرورة أن تتحول الدويلات العربية القادمة إلى كيانات عرقية ودينية تابعة وعميلة لإسرائيل والولايات المتحدة ولم نكن نتصور أن الحلم الصهيونى يمكن أن يكون أمريكياً أو أن تتولى أمريكا تنفيذه بالقوة العسكرية المباشرة كما يحدث الآن فى سوريا والعراق وليبيا واليمن.

هكذا يتضح أن الهدف هو تقسيم الدول العربية بالانشطار الإرهابى الفوضوى طبقاً لمخطط بريطانى -أمريكى قديم تحول فى تل أبيب إلى حلم إسرائيل الكبرى وتتولى أجهزة المخابرات الأمريكية والبريطانية ومخابرات حلف الناتو تنفيذ هذا المخطط بالتعاون مع قوى خليجية تشارك بالمال والسلاح ويتضمن المشروع الصهيونى لإسرائيل الكبرى حسب خطة ينون ضرورة تقويض استقرار وأمن مصر واستنزاف قواتها المسلحة مع نشر الانقسامات السياسية الدينية داخل مصر باعتبار أن ذلك من الوسائل التى أثبتت جدواها خلال ثورات الربيع العربى ويستهدف المخطط الصهيونى ضرورة أن ينفرد الإخوان بالسلطة فى مصر بأى وسيلة أو ثمن على اعتبار أن صعود فصيل دينى متطرف وإرهابى لقمة السلطة فى دولة كبرى مثل مصر من شأنه أن يؤدى للتعجيل ليس فقط بإسقاط الدولة الوطنية ولكن أيضا تقسيم وتفتيت وحدة الشعب.

ليس مطلوباً أن تكون هناك دولة كبرى مثل مصر فى هذا الجزء من العالم لأن المطلوب هو تصفية العالم العربى بالكامل دولاً وشعوباً وقد يبدو أن الشعب الفلسطينى هدف له الأولوية فى الفكر الصهيونى لكن كل الشعوب العربية مستهدفة ولذلك لم يعد غريباً أن يشرق الصباح فى كل يوم جديد بالحزن فى العراق وسوريا واليمن خصوصاً بعد أن حدث التوحد فى الأهداف والمخططات بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية.

ويراود صناع الحلم الصهيونى فى تل أبيب فكرة أن تتحول إسرائيل إلى قوة إمبريالية فى العالم العربى وقوة عالمية بين القوى الكبرى فى هذا العصر الجديد من تاريخ العالم الذى يختلف عن كل ما سبقه من عصور.

وفى جوهر المخطط السرى الصهيونى أن يتم استهلاك ثروات البترول العربية فى صراعات سيرالية بين الدول العربية أو فى الصراع مع إيران ونكتشف أن إسرائيل تنظر إلى العالم العربى باعتباره نظاماً إقليمياً وجغرافياً مؤقتاً قابلاً للزوال وهذه المفارقة الاستراتيجية الكبرى فى حياتنا بعد أن كنا نتصور أن إسرائيل.. دولة مصطنعة قابلة للزوال نكتشف أن أمريكا ومعها إسرائيل ترى أن

العرب كيانات مؤقتة قابلة للزوال كما حدث فى العراق وكما يحدث فى سوريا وليبيا.

وتبقى سيناء جزءاً من المؤامرة الإسرائيلية ضد مصر لأن أطماع إسرائيل فى سيناء تبدو بلا نهاية وقد دعا جيورا أيلاند مستشار الأمن القومى الأسبق لنتنياهو إلى ضرورة إقامة غزة الكبرى فى سيناء وذلك فى مؤتمر هيترتريليا الاستراتيجى عام ٢٠٠٤ ، وطالب موشى فيجين رئيس الكنيست الإسرائيلى بضرورة طرد الفلسطينيين من غزة إلى سيناء خلال عدوان ٢٠٠٨ وذكرت مصادر أمريكية أن الرئيس حسنى مبارك تعرض لضغوط أمريكية مكثفة فى ٢٠٠٧ من أجل التنازل عن جزء من سيناء لإقامة دولة فلسطينية ويقال إن أمريكا طلبت أيضاً من الرئيس المعزول محمد مرسى التنازل عن ٣٠٪ من مساحة سيناء لصالح دولة حماس الجديدة وهذا هو جوهر الحلم الصهيونى الجديد فى العراق الجديد أن يتم استغلال ضائقة مصر الاقتصادية وتهديدات الإرهاب والفوضى من أجل إضعاف أو حتى إسقاط الدولة الوطنية الجديدة بعد ثورة ٣٠ يونيو.. قد يكون الرئيس عبدالفتاح السيسى مثل جمال عبدالناصر هو الهدف الأول للمؤامرات الأمريكية والإسرائيلية لكن الهدف الأكبر هو مصر ذاتها ووحدة أراضيها ووحدة شعبها لأن سقوط مصر يعنى سقوط العالم العربى كله وهذا هو الهدف فى عصر الأزمات الجديدة الذى نعيش فيه فى هذا العالم.. ويبقى السؤال مفتوحاً : أين الطريق أمام مصر والعرب فى هذا العالم؟

العقل العربى من الداخل
هزيمة المشروع القومى.. فى مواجهة أمريكا وإسرائيل

أين ذهب العرب.. "القوة السادسة" بعد حرب العبور.. أكتوبر.. هو شهر أغلى ذكريات الحرب والنصر فى تاريخ العرب الحديث.. لكن أين العرب اليوم.. فى أكتوبر ٢٠١٤ من عرب الأمس فى أكتوبر ١٩٧٣؟!

لم يبق من رفاق وحلفاء الحرب والقتال العربى.. سوى مصر.. وحدها.. واقفة بعزة وكبرياء.. اعتماداً على قوة الشعب.. والقوات المسلحة وغابت سوريا طويلاً.. وبعيداً.. ومن سخريات القدر والتاريخ.. أن العرب الذين قدموا الدعم لسوريا مع مصر فى أكتوبر١٩٧٣ يقدمون اليوم المال والسلاح لعصابات الإرهاب وميليشيات التطرف.. التى تحاول إسقاط وتمزيق سوريا ونظام بشار الأسد!!

اختفت وتبددت صورة العالم العربى.. الذى توحد وتضامن مع مصر وسوريا فى حرب أكتوبر١٩٧٣ ولم يعد له وجود تقريباً.. وربما قلنا إن الصورة قد اختلفت تماماً.. والحقيقة أن الصورة فى العالم العربى كان يجب أن تختلف وتتغير.. لكن إلى الأحسن وإلى الأفضل.. كان الحلم العربى.. يقتضى أن يكون التغيير هائلاً.. لصالح العرب والأمة العربية.. التى أصبحت القوة السادسة فى العالم بعد حرب أكتوبر المجيدة.. وبعد استخدام سلاح البترول فى الحرب لتحقيق أهداف سياسية.

العالم العربى أصبح اليوم فى حالة عجز شبه تام.. حتى عن عقد قمة عربية لها جدول أعمال عربى.. وليس جدول أعمال أمريكى.. بعد أن تراجعت وانحسرت مصالح العرب والعروبة.. وتقدمت مصالح أمريكا.. ودول حلف الأطلنطى.. وارتفع صوت إسرائيل الصاخب.. رغم أن المشروع الصهيونى فى فلسطين يعانى أزمة "نهاية العمر"!!

أصبحت الولايات المتحدة الأمريكية تسوقنا معها إلى الحرب التى تريدها.. وإلى الصراع الذى تفتعله.. ضد العدو الذى تصنعه.. حينما شاءت وأينما شاءت!!

انكسرت الإرادة العربية.. وغابت الإرادة المستقلة.. واختفى القرار العربى الموحد.. وأصبحت الخطط والمؤامرات.. يتم رسمها للعرب وضد العرب فى دهاليز واشنطن وحلف الأطلنطى بقيادة أمريكا وبريطانيا.. وكانت الصورة فى قمة حلف الأطلنطى الأخيرة فى ويلز.. تبعث على الحزن والأسى.. فقد كانت المؤامرة واضحة.. والعدو المفترض - داعش - صناعة أمريكية - تركية - عربية.. والتحالف المسموم.. لا يستهدف سوى تدمير الدولة الموحدة فى سوريا.. وحرمان العراق الموحد من أى أمل فى أى مستقبل!!

حجم المؤامرة

وربما أدركنا حجم المؤامرة.. إذا ما عرفنا أن العراق قد دفع مثلاً أكثر من ١١ مليار دولار.. ثمناً لصفقة طائرات ودبابات وأسلحة أمريكية متطورة.. منها طائرات إف-١٦ وطائرات أباتشى.. وحين اشتدت حاجة العراق لهذه الأسلحة الأمريكية التى حان وقت تسليمها ووصولها إلى بغداد.. تعطلت الصفقة الأمريكية للعراق فجأة ما بين البيت الأبيض والكونجرس الأمريكى.. ما يؤكد أن أمريكا.. لا يمكن أن تقف مع أى دولة عربية ضد أى عدو.. حتى لو كان تنظيم داعش الإرهابى.

ويبدو أن الهدف الحقيقى لأمريكا.. هو أن يبقى العراق عاجزاً تماماً.. ومكشوفاً تماماً.. فى مواجهة ميليشيات إرهابية متطرفة.. صنيعة الاستعمار الأمريكى الجديد.. والتى تريد تدمير العراق وسوريا والعالم العربى كله.. باسم الإسلام والدين والشريعة.. وكم من الجرائم.. ترتكب باسم الإسلام والشريعة!! والهدف النهائى هو أن تتفرغ الولايات المتحدة الأمريكية للهيمنة والسيطرة على العراق والعالم العربى كله.. والمطلوب أيضاً أن يشتد اعتماد العرب على السلاح الأمريكى.. وحين تشتد حاجة العرب لهذا السلاح.. لا يجدونه!!

وربما كانت هذه من الألغاز الكبرى ومن المعادلات السرية والمؤامرات الأمريكية الخفية ضد العرب!!

مهانة قومية جماعية

وفى هذا الكتاب "العالم.. بعيون عربية".. يقول الأمريكى الإسرائيلى.. شبلى تلحمى.. إن شعوب العالم العربى كله.. شعرت بمهانة قومية جماعية كبرى.. حين قامت الجيوش الأمريكية بغزو العراق واحتلال بغداد فى مارس ٢٠٠٣ واختلط الغضب بالفزع فى عواصم العالم العربى الكبرى والصغرى حين وقف

الرئيس الأمريكى السابق جورج دبليو بوش فى البيت الأبيض.. ليتهم الشعوب العربية والإسلامية بكراهية أمريكا والحريات الأمريكية.. وجاء اتهام بوش الابن للعرب.. بعد أحداث ١١ سبتمبر.. ويفرض السؤال نفسه دائماً لماذا تريد أمريكا أن تفرض القهر والمهانة على شعوب العالم العربى؟!

بين الخضوع والتحالف

هناك حقيقة ينساها العرب دائماً.. وهى أن توازن القوى بين العرب والغرب الأمريكى الأوروبى يميل بشكل فادح ومرير.. فى غير صالح العرب.. وهذه حقيقة تاريخية قديمة منذ أوائل عصر النهضة الأوروبية.

وليس غريبا اليوم أن يكون الهدف الاستراتيجى المعلن للولايات المتحدة.. هو ضمان اندماج دول وشعوب العالم العربى بالكامل فى المشروع الأمريكى فى الشرق الأوسط.

ورغم اختلاف القيم والمفاهيم العربية والغربية.. فإن أمريكا تريد من العرب ابتلاع مرارة الخضوع للسيطرة والهيمنة الأمريكية.. باسم التحالف مع أمريكا وأوروبا.. حتى وإن كان هذا التحالف.. لا يتسم بالتوازن المطلوب.. ولا وجود نية لأى مصالح أو أهداف مشتركة.

وكم تصورنا فى الماضى أن أمريكا تريد الانفراد بالسيطرة على ثروات البترول والطاقة فى العالم العربى.. لكن المفاجأة أن الفراغ الجغرافى العربى الممتد من الكويت إلى المغرب.. أصبح أيضاً هدفاً من أهداف السيطرة والهيمنة الأمريكية!!

غيوم سوداء

ووسط ضباب وغيوم السيطرة الأمريكية السوداء.. من الطبيعى أن تتوه منا ملفات قضية فلسطين.. وتصعد على السطح حقيقة واحدة مريرة.. هى حقيقة دولة إسرائيل.. القوة العسكرية الأعظم فى الشرق الأوسط.. ومن السخريات التى لا يضحك لها أحد.. أن يقال فى واشنطن.. إن العرب حلفاء لأمريكا.. وإسرائيل حليفة لأمريكا.. ولا يقال لنا أبداً.. ضد من هذه التحالفات؟!

وتبقى الحقيقة الغائمة.. وهى أن العرب يتحالفون مع أمريكا.. ضد أنفسهم.. وضد وجودهم وكيانهم.. وليس ضد مصالحهم فقط! وتبدو هذه الحقيقة.. دائمة الغياب عن الوعى والعقل العربى.. فكيف يمكن أن يشرق للعرب مستقبل أفضل من وراء كل هذا الضباب الأسود؟!

وتستغل أجهزة المخابرات الأمريكية جميع إمكاناتها السرية والمعلنة فى كشف واكتشاف أعماق العقل والفكر العربى من المشرق إلى المغرب.. ومن الكويت إلى لبنان والأردن.. وحتى مصر والسعودية.. وعلى مدى عشر سنوات كاملة سبقت الانتفاضة الفلسطينية الثانية.. حاول اليهودي الإسرائيلى - الأمريكى.. شبلى تلحمى.. استطلاع مدى أهمية قضية فلسطين لدى الرأى العام العربى.

وكثيراً ما تبدو عمليات استطلاع الرأى.. من قضايا البحث العلمى البرىء.. رغم أنها عملية مخابراتية كاملة الأبعاد.. يقودها.. يهودى عربى الأصل.. وربما مصرى هو شبلى تلحمى.. الذى تجول فى عواصم العالم العربى الرئيسية بحرية تامة.. ومازال بإمكانه أن يزور أى مكان فى العالم العربى.. فهو يحمل جواز سفر أمريكيا.. ويقوم بالتدريس فى كبرى الجامعات الأمريكية.. وظهر على شاشات الفضائيات الخاصة فى مصر أكثر من مرة خلال ثورة ٢٥ يناير وبعدها.. وتحدث طويلا على شاشة "القاهرة والناس" عن العلاقات العربية - الأمريكية.. وموقف الرئيس الأمريكى باراك أوباما من ثورات الربيع العربى.

قمة الأولويات

يعترف تلحمى بأن قضية فلسطين ترتفع إلى قمة الأولويات العربية فى كل مكان.. خصوصاً فى أوقات الأزمات والحرب.. مثلما حدث خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان فى.٢٠٠٦, وخلال العدوان الإسرائيلى على غزة فى ٢٠٠٩ وحتى فى ٢٠١٤ .

وقام مركز زغبى الأمريكى باستطلاع للرأى فى المملكة السعودية وفى عام٢٠٠٢ كشف أن ٨٥٪ من المواطنين السعوديين يعتبرون أن قضية فلسطين ذات أهمية بالغة.. فى حين قال ٥٩٪ منهم إن الاقتصاد هو الأهم.. ولم يختلف الوضع كثيرا فى المغرب.. حيث قال ٧٢٪ من المغاربة إن قضية فلسطين تسبق أى قضية أخرى لديهم.

وكان عام.٢٠٠٢, هو العام الأخطر.. فقد صعدت خلاله قضايا السياسة الخارجية إلى قمة الأولويات خصوصاً بعد أحداث ١١ سبتمبر فى أمريكا.. وبعد قيام إسرائيل بإراقة دماء الفلسطينيين على نطاق واسع خلال الانتفاضة الثالثة.. والتى تعرض بعدها الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات لمؤامرة الموت البطىء!

فاجعة تضاف لمأساة

وفى لحظة ما.. تصور الأمريكيون والإسرائيليون أن الغزو الأمريكى للعراق.. يمكن أن يدفع بالقضية الفلسطينية بعيداً فى قائمة الأولويات العربية، لكن جاءت المفاجأة حين اكتشف الأمريكيون والإسرائيليون من خلال استطلاعات الرأى الأكاديمية فى العواصم العربية.. أن قضية فلسطين احتفظت بمكانها فى قمة أولويات الرأى العام العربى.. وأن جريمة الغزو الأمريكى للعراق.. كانت مأساة فاجعة جديدة أضيفت إلى مأساة فلسطين وحين تفجرت ثورات الربيع العربى.. كشفت استطلاعات الرأى الأمريكية فى ست دول عربية أن الصراع العربى - الإسرائيلى احتفظ بأهمية فى العقل العربى.. ولدى الرأى العام العربى فى بغداد وبيروت والقاهرة والبحرين والرياض والمغرب.. وقال ٦٦٪ من العرب إنهم يؤيدون حل الدولتين.. أى يؤيدون قيام دولة فلسطين فى الضفة الغربية وغزة وعاصمتها القدس.. بجوار دولة إسرائيل.. وقال ما بين ٢٥ إلى ٣٥٪ من العرب.. إنهم يرفضون السلام مع إسرائيل حتى لو انسحبت من الأراضى العربية المحتلة فى يونيو ١٩٦٧ .

السلام المستحيل

لكن الحقيقة التى أذهلت الباحثين الأمريكيين بقيادة شبلى تلحمى.. هى أن أغلبية العرب فى الدول الست على يقين من استحالة السلام مع إسرائيل.. لأن إسرائيل تريد التوسع واحتلال الأرض.. فى إطار مغانم السلام!!

واعترفت أغلبية العرب فى استطلاعات الرأى الأمريكية بأنه لا يوجد ما يدفعهم لتأييد "حل الدولتين".. سوى عدم وجود أى بديل آخر!!

هكذا.. تتولد لدى الرأى العام العربى فى كل مكان.. مشاعر الغضب تجاه إسرائيل.. وتجاه أمريكا.. التى تقف مع إسرائيل.. ضد العرب.. وكشفت الاستطلاعات أيضاً بعد ثورات الربيع العربى.. أن الشعوب العربية تشعر بالغضب من حكوماتها وقياداتها.. وحتى من القيادات الفلسطينية؛ بسبب الإحساس بالعجز الكامل فى قضية فلسطين.. وهى القضية العربية المركزية.

وحين تساءل الباحثون الأمريكيون.. ماذا يمكن أن يحدث.. لو انهار حل الدولتين.. ورفضت إسرائيل قيام دولة فلسطينية؟! أكدت أغلبية من استطلعت آراؤهم فى العالم العربى أن فشل هذا الحل.. يعنى أن الصراع مع إسرائيل سوف يطول ويمتد لسنوات وعقود طويلة قادمة.

ويعترف شبلى تلحمى.. بأن الوضع القائم بالنسبة لإسرائيل يبدو مثالياً.. فهى تنفرد بقوة عسكرية تقليدية ونووية كافية لردع العرب جميعاً.. كما أن تكاليف استمرار الاحتلال الإسرائيلى للضفة الغربية وغزة.. لا تؤثر على الاقتصاد الإسرائيلى.. الذى يعيش حاليا أزهى مراحل الانتعاش منذ قيام الدولة فى ١٩٤٨ .

تكاليف الاحتلال

فى المقابل.. كشفت استطلاعات الرأى فى إسرائيل أن ٤٣٪ فقط من الإسرائيليين يؤيدون حل الدولتين.. وكل الشعب الإسرائيلى يرفض التنازل عن القدس!!

لكن ٣٣٪ من الإسرائيليين يرفضون الانسحاب من القدس ومن جميع الأراضى الفلسطينية.. بل وترتفع أصوات المتطرفين فى اليمين الإسرائيلى تطالب بالعودة لاحتلال سيناء.

وترى أغلبية كبيرة من الإسرائيليين أن استمرار احتلال إسرائيل للضفة الغربية والقدس وغزة.. لا يشكل أى خطر على إسرائيل.. خصوصاً مع استمرار الدعم العسكرى والسياسى من الولايات المتحدة الأمريكية لإسرائيل ولطموحات إسرائيل التوسعية فى الشرق الأوسط.

أمريكية المصدر

ويبقى العرب دائماً فى حالة غضب.. ضد إسرائيل.. ومن هم وراء إسرائيل.. خصوصاً أمريكا.. ويرى العرب بعيونهم فى كل يوم وكل ساعة أن قوة إسرائيل العسكرية والتكنولوجية أمريكية المصدر.. ويتساءل العرب فى استغراب ودهشة لا تنقطع: لماذا تقف أمريكا مع إسرائيل ضد العرب؟!

وكشفت الاستطلاعات الأمريكية والإسرائيلية فى العالم العربى.. وجود يقين عربى واسع المدى بأن فكرة التأييد الأمريكى لإسرائيل.. تأتى من قوى أمريكية داخلية تصنع اللوبى الصهيونى المؤيد لإسرائيل داخل البيت الأبيض والكونجرس الأمريكى.. وهذا هو التفسير الشائع لدى رجل الشارع العربى فى كل مكان.. وفى كل عاصمة عربية.

قوة الرأى العام

ولكن ما يثير الكثير من القلق لدى صناع القرار فى واشنطن وتل أبيب أن الرأى العام العربى.. خصوصاً فى مصر.. أصبح له الصوت الأعلى الحاسم فى عملية

صنع القرار السياسى الوطنى.. سواء فى القاهرة أو فى العواصم العربية الأخرى.. بل إن العواصم العربية المعروفة تاريخياً بالولاء وربما بالعمالة لأمريكا.. أصبحت تتحسب الآن لموقف الرأى العام الموجود لديها.. مما أدى لحدوث ازدواجية فى اللغة السياسية فى العاصمة الأردنية عمان مثلا.. لغة وطنية أمام الرأى العام.. وخدمات خفية للحليف الأمريكى!!

ويقول شبلى تلحمى فى كتابه "العالم.. بعيون عربية".. إن شعوب العالم العربى.. تنظر للعالم الخارجى بالكثير من الألم والغضب.. بسبب قضايا كثيرة شائكة فى تاريخ العرب الحديث.. خصوصاً ضياع فلسطين.. وغزة والعراق.. لكن الضياع السورى ومخاطر تغيير وإعادة رسم الخريطة السياسية للدول والشعوب العربية.. حسب المصالح الأمريكية.. تضيف جبالاً من المهانة إلى جرح الكبرياء القومى العربى.. القديم جدا.. والذى يرفض أن يندمل.. ببساطة لأنه بلا علاج.. ويبدو فوق طاقات وإمكانات وقدرات العرب المشتتة فى هذا العصر.. ويبقى الماضى العربى.. مثل الحاضر العربى.. ألما فوق ألم.. والمستقبل جرحا ينزف.. حتى قبل أن يأتى!!.. ولابد أن نعترف بهزيمة المشروع القومى العربى.. فى مواجهة المشروع الأمريكى - الإسرائيلى فى الشرق الأوسط.. ويبدو أن روح الإنسان العربى.. ترفض الهزيمة.

احتلال فلسطين.. قصة الألم القومى الكبير!

أوباما.. حاول منع شبح عبدالناصر من الظهور فى ميدان التحرير.. والإمبراطورية الأمريكية.. تتعطش للهيمنة والسيطرة والنفوذ حول العالم.. وبالذات فى المنطقة العربية.. حيث توجد أكبر المصادر المؤكدة للبترول والطاقة.. هكذا لا تختلف الولايات المتحدة الأمريكية.. عن أى إمبراطورية سابقة فى التاريخ.

ولم يعد يثير الحزن فينا.. أن نعرف أو نكتشف أن صانع القرار الأمريكى.. لا يرى فى مصر والعالم العربى كله.. سوى أنه جائزة اقتصادية وجغرافية كبرى.. لا يمكن التفريط فيها أو التنازل عنها.. لأى قوة وطنية أو عالمية أخرى!!

وتتمسك الولايات المتحدة بكل أسباب السيطرة والهيمنة على الدول والشعوب العربية.. فى مرحلة تاريخية بالغة الصعوبة.. يواجه فيها صانع القرار الأمريكى شبح الإفلاس القومى والانهيار المالى الأمريكى.

وقد جرى الحديث طويلاً عن تراجع القوة الأمريكية منذ أوائل ثمانينيات القرن الماضى.. ولكن حدثت مفاجأة تاريخية كبرى.. قبل أن تتراجع قوة الولايات المتحدة.. وتتعرض للانهيار فوجئ العالم كله.. بأن الاتحاد السوفييتى السابق.. سبق أمريكا إلى التحلل والانهيار التام.. والهزيمة دون حرب!!

وحين حدث السقوط السوفييتى العظيم.. تحدث المفكر الأمريكى الكبير فرنسيس فوكوياما يابانى الأصل عن نهاية التاريخ.. وقال إنها نهاية الشيوعية السوفييتية.. وتمثل انتصاراً للرأسمالية ونهاية التاريخ.

يدور جدال واسع بين المفكرين الكبار فى باريس حالياً.. حول الرأسمالية.. باعتبارها ظاهرة أو مدرسة اقتصادية.. لن تبقى إلى الأبد.

لكن الأمريكى فرنسيس فوكو باما.. الذى قرأ فى السقوط السوفييتى نهاية التاريخ.. عاد اليوم ليحذر الأمريكيين من خطر تحلل الإمبراطورية الأمريكية

فقد امتدت الولايات المتحدة بالسيطرة ونفوذها من أقصى أمريكا الشمالية.. إلى أوروبا والعالم العربى وجنوب شرق آسيا وكوريا الجنوبية واليابان وهذه المبالغة فى التوسع والامتداد بالهيمنة والسيطرة الأمريكية.. هى أكبر المخاطر التى تهدد وجود الولايات المتحدة الأمريكية حاليا باعتبارها أكبر قوة عسكرية واقتصادية فى التاريخ.

فقد غرقت الإمبراطورية الأمريكية فى بحر الديون الهائل.

وأصبح خطر الإفلاس التام.. يهدد مؤسسات المال الأمريكية الكبرى.. بما يتجاوز كل ما حدث فى اليونان وإيطاليا وإسبانيا.. وبما يفوق ما يمكن أن يحدث فى دول أخرى على شفا الهاوية المالية.. مثل فرنسا وبريطانيا.. وليس لهذا سوى تفسير واحد.. هو أن الطمع فى ثروات العالم العربى من البترول والطاقة.. هو الذى يوحد بين أوروبا وأمريكا.. وهو سبب وجود التحالف الأمريكى والأوروبى.. والإسرائيلى.. ضد العرب.

هزيمة تاريخية

وقد تعرض العرب لهزيمة تاريخية كبرى فى الصراع الطويل مع الغرب الأمريكى الأوروبى.. ومن الصعب أن تزول آثار الهزيمة.. وجراح الهزيمة فى أى مستقبل منظور.. أو غير منظور!!

لا أحد يدرى حتى الآن كيف تمكن يهود العالم.. من بناء تحالفات كبرى مع القوى العالمية.. منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم.. وكانت كل التحالفات ضد أبناء عمومة اليهود.. من العرب وهذا من سخريات التاريخ الإنسانى الكبرى.

هكذا أصبح العرب ينظرون إلى الماضى فى ألم وغضب.. ببساطة لأنهم عاشوا الهزيمة فى العصر الحديث كله.. رغم الانتصار العسكرى الكبير الذى تحقق لمصر وسوريا فى حرب أكتوبر ١٩٧٣.

لكن الغرب يحاول دائماً تصدير الإحساس بالهزيمة والمهانة للعرب.

وفى كتابه.. "العالم بعيون عربية".. يؤكد الأمريكى الإسرائيلى شبلى تلحمى.. أنه من الصعب أن ينظر العرب للعالم بعيدا عن تجربتهم المؤلمة.. لقيام دولة إسرائيل فى ١٩٤٨ وطرد الشعب الفلسطينى من أرضه وبلاده.

من الصعب أن ينظر العرب إلى العالم.. بعيداً عن تجربة العدوان الثلاثى على مصر من فرنسا وبريطانيا وإسرائيل فى ١٩٥٦ بعد قرار جمال عبدالناصر بتأميم قناة السويس.

ويبدو تاريخ العرب الحديث مليئاً بالهزائم والآلام.. خصوصاً بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ ومن الصعب أن ينظر العرب للعالم.. بعيداً عن التجربة المؤلمة لقيام الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم الدعم العسكرى العاجل لإسرائيل.. لإنقاذها من الهزيمة الكاملة فى الحرب مع العرب عام ١٩٧٣.

من الصعب أن ينظر العرب للعالم.. بعيداً عن التجربة التاريخية شديدة الألم.. للغزو الأمريكى للعراق فى ٢٠٠٣ فقد كان الغزو الأمريكى للعراق تجربة شديدة المرارة.. راح ضحيتها ملايين العراقيين.. وضاع العراق نفسه.. وربما يختفى قريبا من خريطة العالم العربى!!

مواقف أمريكية شائنة

وربما من المستحيل أن ينظر العرب للعالم.. بعيداً عن مواقف الولايات المتحدة الشائنة من ثورات الربيع العربى فى ٢٠١١ ومحاولاتها المفضوحة للتلاعب بأقدار الثورات والثوار.. بهدف منع قيام أى نظم وطنية للحكم.. تعيد شبح جمال عبدالناصر إلى العالم العربى بكل ما فى ذلك من مخاطر تهدد المصالح الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية فى الشرق الأوسط.. كان هذا هو هدف باراك أوباما الأول.

ولذلك حاولت أمريكا.. أن تقيم أنظمة جديدة للحكم موالية لها.. وحتى عميلة لها بصورة مباشرة.. كما حدث فى تجربة محمد مرسى.. العميل الإخوانى الشهير.. الذى جندته المخابرات المركزية ليعمل لصالحها أثناء وجوده للدراسة فى أمريكا والمثير للدهشة أن ينضم محمد مرسى للإخوان أثناء الدراسة فى أمريكا.. ويتم تجنيده فى المخابرات المركزية الأمريكية أيضاً.. أثناء وجوده للدراسة فى أمريكا فى هذه الأيام من الصعب أن ينظر العرب للعالم.. بعيداً عن محاولات أمريكا لنشر الفوضى والعنف والإرهاب فى العالم العربى.. بدعوى نشر الديمقراطية واحترام الحريات وحقوق الإنسان!

سر الغضب

وكانت المفاجأة كبيرة على الرأى العام الأمريكى.. حين حدثت ثورات الربيع العربى فى تونس ومصر عام ٢٠١١ واكتشف الأمريكيون بعدها حجم الغضب الهائل الكامن فى القلب والعقل العربى.. ضد أمريكا وسياسات أمريكا تجاه العرب!

وقد حاول الأمريكيون فهم واستيعاب أسباب ودواعى الغضب العربى ضد أمريكا.. وهل هناك ارتباط بين هذا الغضب وهجمات ١١ سبتمبر الإرهابية؟! وتصور كثيرون فى واشنطن أنه لا يوجد ما يبرر مشاعر الغضب والاستياء فى العالم العربى ضد أمريكا بالذات.. سوى التحريض والإثارة الذى تمارسه الصحافة وشبكات التلفزيون العربى.. ضد أمريكا وسياساتها.

تساءل الأمريكيون طويلاً.. حول الأسباب التى جعلت الصحافة والإعلام فى العالم العربى.. تبحث وتناقش وتحاور طويلاً فى مشاهد الحرب والغزو الأمريكى للعراق وأفغانستان.

يبدو أن أمريكا تريد أن توجه ضرباتها العسكرية الموجعة لمختلف الشعوب العربية.. خصوصاً العراق.. وفى الوقت نفسه.. تطالب العرب بالنسيان وعدم الوقوف طويلاً أمام أحداث الماضى القريب.. حتى وإن كان هذا الماضى يرفض الرحيل ويرفض أن ينتهى.. إلا بنهاية دولة عربية كبرى.. أصبحت اليوم معرضة للزوال.. اسمها العراق.

ويبدو أن أطباء علم النفس السياسى فى واشنطن.. طالبون العرب دائماً بمحاولة النسيان ومقاومة الغضب ورفض الكراهية لأمريكا!

مع إسرائيل ضد العرب

وحين تقف أمريكا.. مع إسرائيل فى حروبها ضد العرب.. يطالب الأمريكيون بضرورة ألا يتوقف العرب طويلا.. أمام المشاهد التى تذيعها شاشات التلفزيون فى العالم للشهداء والقتلى الفلسطينيين.. الذين يسقطون وتراق دماؤهم فى الضفة الغربية وغزة.

بل وهناك من يتساءلون: ولماذا تذيع الصحافة والتلفزيونات العربية مثل هذه المشاهد على الرأى العام العربى؟!

لكن جرائم الحرب الأمريكية ضد الشعب العربى فى العراق من الصعب أن ينساها أحد.. ومن الصعب حتى على الضمير الأمريكى أن ينسى المشاهد اللا إنسانية للجنود الأمريكيين وهم يجدون اللذة والسعادة الغامرة فى ممارسة التعذيب الوحشى ضد الأسرى والسجناء العراقيين الأبرياء فى سجن أبوغريب!!

ضد أمريكا

ومن الصعب أن ينسى المسلمون والعرب حول العالم مشاهد الجنود الأمريكيين وهم يتبولون فوق المصاحف فى مراحيض معسكرات الاحتلال الأمريكى للعراق فى بغداد وما حولها!!

وتعرضت الصحافة وشاشات التلفزيون فى العالم العربى للاتهام بالانحياز ضد أمريكا.. كان المطلوب منها إذن.. الترحيب بدبابات الاحتلال الأمريكى وهى تدخل وتتحرك فى شوارع بغداد الرشيد وتدوس بجنازيرها.. جثث الأبرياء من جنود الجيش العراقى وأبناء الشعب العراقى.. الذين حاولوا الدفاع عن بلادهم.

ودار حديث طويل فى واشنطن.. مازال ساخناً حتى هذه اللحظة.. حول انحياز الصحافة والإعلام العربى ضد أمريكا وقالوا.. لا توجد أسباب ودواع لكل هذا الغضب العربى ضد أمريكا.. سوى التحريض.. الذى يمارسه الإعلام.. خصوصاً ضد أمريكا وإسرائيل!

جرائم حرب

تصور الأمريكيون أن التحريض الإعلامى العربى ضد السياسة الأمريكية.. يمكن أن يتقلص بالدبلوماسية والأساليب التربوية.. حتى وإن بقى الصراع محتدماً.. وفى هذا يقول شبلى تلحمى إن صانع القرار الأمريكى أخطأ حين خلط بين الأعراض والأسباب.

فقد وقعت جرائم الحرب الأمريكية والإسرائيلية ضد العرب فى عصر ثورة المعلومات والمعرفة.. التى بشرت بها أمريكا ونشرتها حول العالم.. وبخاصة حين أضيفت شبكة الإنترنت إلى شبكات التلفزيون الفضائية والصحافة المكتوبة وحين تتوفر وسائل الإعلام والصحافة بهذه الكثافة من الطبيعى أن تكون التغطية الإخبارية مثيرة للجدل.. حتى لو جرى الحديث عن الأخبار والحروب الأمريكية ضد العرب بالموضوعية التى تتصورها أو تريدها أمريكا.

أمريكا أذاعت أولاً

يشعر الأمريكيون بالدهشة.. لأن وسائل الإعلام والصحافة الأمريكية هى التى انفردت فى البداية بنشر وإذاعة أنباء التعذيب الوحشى الذى يمارسه جنود الاحتلال الأمريكى ضد العراقيين فى سجن أبوغريب!!

يتساءلون: لماذا أثارت مشاهد التعذيب هذه الرأى العام العربى ضد أمريكا..

ونشرت الغضب والسخط على أمريكا فى كل قلب وعقل عربى؟!

وقد حاولت أمريكا القيام بإعادة توجيه الرأى العام فى العالم العربى.. وأقامت قناة الحرة التلفزيونية الشهيرة.. التى تعمل بتمويل مباشر من وزارة الخارجية الأمريكية.. ويصدق الكونجرس الأمريكى على تخصيص التمويل اللازم للقناة سنويا أثناء مناقشة تفاصيل الموازنة الفيدرالية الأمريكية.

ولذلك رفضت هذه القناة الحرة الأمريكية إذاعة خطاب حسن نصر الله خلال الحرب الإسرائيلية على لبنان فى ٢٠٠٦ حتى لا يقرر الكونجرس وقف تمويل القناة التلفزيونية.. التى لم يعد يشاهدها أحد فى العالم العربى.. ولا يصدقها أحد.

أين المشكلة؟!

وبصعوبة اكتشف الأمريكيون أن التغطية الإعلامية ليست هى المشكلة الجوهرية.. لأن المسألة تتعلق أساسا بعملية توجيه وصياغة قلب وعقل الرأى العام العربى فى أوقات الصراع والألم.

تصورت أمريكا بعد أحداث ١١ سبتمبر أن الرسالة الأمريكية المناسبة لا تصل إلى الرأى العام العربى.. ولذلك حاولوا تشكيل العقل العربى.. كما يناسب أمريكا.. وبلغت الوقاحة بالرئيس الأمريكى بوش الابن لدرجة محاولة تعديل القرآن الكريم وحذف الآيات التى تدعو لكراهية اليهود والجهاد فى سبيل الله.. ورغم أنها آيات لها نظير فى الإنجيل.. وحتى فى التوراة!!

عدسة رؤية الحقيقة

يكتشف الأمريكيون الحقيقة.. التى يرفضون الاعتراف بها.. وهى أن الصراع العربى الإسرائيلى.. أو الصراع الفلسطينى الإسرائيلى.. هو العدسة التى يرى من خلالها العرب هذا العالم ويقول شبلى تلحمى.. إن هذه هى عدسة الألم.

يؤكد أن العرب تجمع بينهم التجربة التاريخية الجماعية.. هى تجربة متكررة.. مكثفة ومؤلمة.. بما يكفى لصياغة رؤية العرب لأمريكا والعالم.

يبقى الصراع الفلسطينى الإسرائيلى.. هو تجربة الألم القومى الكبير لدى العرب فى كل مكان.. فقد ترتبت على هذه التجربة خسارة فلسطين وضياعها فى حرب ١٩٤٨ ومن بعدها جاءت هزيمة يونيو ١٩٦٧ التى حطمت كل آمال وتطلعات العرب فى المستقبل.. وهذا هو تاريخ العرب الطويل فى العصر

الحديث الملىء بالتجارب المهينة والمؤلمة.. وقد ارتبطت قصص الألم العربى دائماً بتجارب الصراع والحرب مع الغرب الأوروبى والإسرائيلى والأمريكى!!

وقد تعرضت القدس الشرقية للاحتلال الإسرائيلى منذ يونيو ١٩٦٧ وبالتأكيد.. فإن احتلال القدس من القضايا الموجعة للعرب بشدة.. لأنها تذكرهم بعصر احتلال القدس فى زمن الحروب الصليبية.

ألم ويقظة

لكن الألم الناتج عن الصراع الفلسطينى الإسرائيلى يبدو بلا نهاية فى الأفق.. بل ومازال هذا الصراع مصدرًا للألم والمعاناة فى كل تجربة حرب وقتال فى إسرائيل.. سواء فى جنوب لبنان أو الضفة الغربية وغزة ويقول شبلى تلحمى إن القضية الفلسطينية هى الجرح الغائر المفتوح فى الجسد العربى، وهو جرح قابل للالتهاب بعنف فى كل مواجهة وحرب وهزيمة أمام إسرائيل.. التى تدعمها أمريكا بالمال والسلاح!

وربما قلنا إن ثورات الربيع العربى.. تمثل حركة اليقظة الجديدة فى العالم العربى.. التى تستهدف استعادة الكرامة والكبرياء القومى للعرب.. كما كان يهتف ويطالب الثوار فى ميدان التحرير بالقاهرة.. فقد دعا ثوار التحرير الإنسان العربى إلى أن يرفع رأسه فى العالم بكرامة وكبرياء.. لكن يبقى احتلال فلسطين.. ويبقى الصراع الفلسطينى الإسرائيلى رمزاً لكل ما هو مضاد للكرامة والكبرياء فى تاريخ العرب.. القديم والحديث.

رغم أن الصراع الفلسطينى الإسرائيلى قد لا يمثل الأولوية الأولى المباشرة للعرب فى حياتهم اليومية.. فإنه يبقى رمزاً للألم الدائم فى جرح قومى يرفض أن يندمل.

تحت الحصار الناعم

وقد انشغل المواطن العربى فى مصر والعراق ولبنان وفى كل مكان بقضايا حياته اليومية.. الحصول على المال وتوفير الطعام للعائلة.. ونوعية المدارس التى يتعلم فيها الأطفال.. والتأمين ضد الشيخوخة.. بعد أن أصبحت هذه هى القضايا الملحة التى تواجه الإنسان العربى.. ومع ذلك بقيت القضية الفلسطينية هى محور الجدل والألم والنقاش لدى الرأى العام العربى فى كل مكان.

ولا يخفى الغرب.. أنه تعمد فرض حصار ناعم على مصر والدول العربية

المختلفة.. حتى بعد طفرة ارتفاع أسعار البترول فى ١٩٧٤ ليبقى الإنسان العربى فى كل مكان مشتت الذهن ضائع القوى.. يلهث وراء لقمة العيش.. بحيث ينحصر فكره وعقله فى قضايا حياته اليومية.. خصوصاً مع التدهور الدائم فى مستويات المعيشة العربية.

وفى هذا العصر.. منذ أواخر السبعينيات.. لم تكن هناك قيادات عربية وطنية.. بما يكفى لفهم وإدراك ومواجهة هذه الحقيقة.. وطغى صوت واحد فى العالم العربى كله.. يريد تسوية الصراع العربى الإسرائيلى.. بالحل مع أمريكا!

ولم يدرك العرب أين وصلت بهم "محاولات الحل مع أمريكا".. إلا حين تفجرت ثورة الشباب فى ميدان التحرير يناير ٢٠١١ وحين قامت ثورة الشعب والقوات المسلحة فى ٣٠ يونيو ٢٠١٣.

وأخيراً.. اقتنع الأمريكيون بأن الصراع العربى الإسرائيلى مازال هو محور كل ما يدور فى العقل العربى.. ولذلك جرى التخطيط الأمريكى بعيد المدى.. لإقناع العرب بوجود أعداء آخرين لهم.. وأن إيران هى العدو.. وليست إسرائيل وتعمدت أمريكا تمويل جماعة الإخوان.. وكل منظمات العنف والإرهاب فى العالم العربى.. وأصبح مطلوباً منا الآن التحالف مع أمريكا ضد العدو الجديد.. الإرهاب.. الذى ابتدعته ومولته أمريكا سراً وعلناً.. وبقرارات من الكونجرس.. كما حدث مؤخراً بقرار تدريب وتسليح المعارض السورية المعتدلة.. أى ميليشيات تنظيم الإخوان العميل فى سوريا.. والذى يتخذ من العاصمة البريطانية لندن مقرًا له.. وأصبحت تركيا هى مقر القيادة العسكرى لميليشيات تنظيم الإخوان فى سوريا.

يبقى السؤال مفتوحاً: ماذا تريد أمريكا من العقل العربى؟

هل تعانى مصر.. من أزمة هوية؟!

هل يوجد للعرب مكان فى هذا العالم؟!.. هل يوجد للعرب دور أو هدف؟! وأسئلة كثيرة إن لم تتردد على ألسنتنا بأصوات عالية.. فإنها تتردد فى أعماقنا بقوة.. تصل إلى حد الصراخ أحياناً.. يبدو العالم العربى أحياناً.. وكأنه جسد منهك.. ملقى به فوق مشرحة السياسة الأمريكية والأوروبية.. والسكاكين الحادة تحاول أن تقطع جزءًا هنا أو تستقطع جزءًا هناك.. والعجيب أن الجسد العربى المنهك.. يبدو أحياناً عاجزا عن المقاومة أو الرفض ولولا ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فى مصر.. لكان الاستسلام العربى كاملا.. لمشرحة السياسة الأمريكية والأوروبية!!

ويدرك صانع القرار الأمريكى جيدا أن وجود الدول والشعوب العربية فى إطار يسمى "العالم العربى".. ليس له سوى معنى واحد هو أن الشعوب العربية تعيش بلا كيان سياسى موحد الأهداف.. واضح الحدود ثابت المؤسسات!!

وتبقى الجامعة العربية.. مكانا.. أو مجرد مبنى.. يتحدث فيه العرب عن خلافاتهم وأزماتهم.. أو هى مكان يفرق ولا يجمع.. أو هى مؤسسة عاجزة عن أن تكون حقا "جامعة" للعرب!!

وهذه الحقيقة السياسية الخطيرة.. جعلت الأمريكيين لا يرون فى العالم العربى.. سوى فراغ جغرافى وسياسى هائل.. يمتد من الكويت وحتى المغرب.. ربما كانت الدول والشعوب العربية مترابطة باللغة والتاريخ والدين وحتى بالجغرافيا لكن العالم العربى ظل دائما يعانى أزمة الفراغ السياسى المزمنة.. فلا توجد قوة عربية قادرة على ملء الفراغ وقيادة الشعوب العربية إلى المستقبل.

وحديث الصراحة يجعلنا نعترف.. بأن مصر.. مثلاً.. تملك من الرصيد السكانى والحضارى ما يكفى للعودة لقيادة العالم العربى فى فترة قادمة لكن

مصر تعانى أزمة مالية مزمنة منذ عقود وربما منذ قرون ومازال على مصر أن تقطع شوطا طويلا فى إعادة بناء اقتصادها الوطنى حتى تسترد عافيتها الكاملة وتعود لدورها القيادى الرائد فى العالم العربى وربما تحدثنا هنا عن القدرة على التعايش مع قوى عالمية كبرى.. لها أطماع ومؤامرات لا تخفى على أحد.

حديث الفراغ

ولو تحدثنا عن قوة المملكة العربية السعودية.. فلابد أن نعترف بأنها أصبحت ربما قوة مالية كبرى حتى بالمقاييس العالمية لكنها تعانى عجزاً سكانياً وهى ثغرة كبيرة فى القوة السياسية السعودية وهنا ربما تحدثنا عن إمكانية حدوث تكامل مصرى - سعودى.. يصنع قوة عربية قادرةٍ على ملء الفراغ العربى الرهيب.. الذى استعصى علينا طويلا أن نجد له حلاً فى العصر الحديث كله ونحن نتحدث هنا عن قرون طويلة مضت.

لكن هذا "الفراغ العربى الشاسع" يمثل عامل إغراء للقوة الأولى فى العالم.. الولايات المتحدة الأمريكية التى تحاول رسم خريطة العالم العربى حسب مصالحها ومصالح القوى الأوروبية الحليفة معها وتبقى إسرائيل هى ذراع أمريكا الطويلة.. القادرة على ردع ومنع قيام أى قوة عربية!!

لكن الغزو الأمريكى للعراق فى ٢٠٠٣ يؤكد من جديد أن أمريكا مستعدة لاستخدام آلتها العسكرية الرهيبة ضد أى قوة عربية.. ففى الماضى كانت أمريكا تعتمد على إسرائيل فى ردع العرب لكنها الآن.. أصبحت تستعين بقوتها وقوة حلفائها لملء الفراغ الرهيب فى العالم العربى خصوصاً بعد أن أصبح ساحة مفتوحة للفوضى والإرهاب.. والمؤامرات الخسيسة التى تستهدف هدم وإسقاط الدولة الوطنية فى أى أرض أو عاصمة عربية ولن نبكى اليوم غياب بغداد.. كعبة الأسود.. لأننا نوشك أن نبكى غدا غياب دمشق.. قلب العروبة النابض!!

عملية سرية معلنة

وفى هذا الكتاب "العالم بعيون عربية".. للكاتب الأمريكى الإسرائيلى "شبلى تلحمى" نتعرف على محاولات صانع القرار الأمريكى والإسرائيلى فهم وإدراك حقيقة الإنسان العربى.. هويته وانتماءاته وماذا يريد؟ وربما قلنا إن الكتاب محاولة لفهم العقل العربى من الداخل.

إن هذا الكتاب عمل مخابراتى بالدرجة الأولى أو هو من العمليات السرية المعلنة للمخابرات الأمريكية والإسرائيلية.. بصورة لا تخلو من الدهاء والنعومة.. يكفى أن المؤلف شبلى تلحمى تمكن من القيام بجولات واسعة فى عواصم العالم العربى الكبرى من بغداد إلى القاهرة وبيروت وعمان والمغرب والإمارات العربية المتحدة وفشل فى دخول دمشق والقيام باستطلاعات رأى فيها.. خوفا من أجهزة الأمن السورية لكنه دخل بغداد سالمًا آمناً.. فى عصر صدام حسين.. والتقى بقادة وزعماء عرب منهم ياسر عرفات.. والكثير من كبار أساتذة الجامعات والصحفيين.

ولد شبلى تلحمى فى إسرائيل من أسرة يهودية عربية.. واسمه يوحى بانتمائه لأسرة يهودية غنية.. كان له دور كبير فى صناعة السينما المصرية.. ربما منذ الثلاثينيات وحتى الخمسينيات وهو يعمل الآن أستاذاً للعلوم السياسية فى جامعة برنستون الأمريكية.. واشتغل ذات يوم مستشارًا سياسياً للبعثة الأمريكية فى الأمم المتحدة.. خصوصاً خلال الفترة من ١٩٩٠ وحتى ١٩٩١ وهو يعترف بأنه بعد الانتهاء من استطلاعات الرأى الواسعة التى قام بها فى عواصم العالم العربى الكبرى على مدى عشرين عاما متصلة.. قام بتقديم تقارير تفصيلية عنها للكونجرس الأمريكى.. وخصوصاً السيناتور لى هاميلتون رئيس اللجنة الفرعية الأسبق لشئون أوروبا والشرق الأوسط كما قام بتقديم تقرير تفصيلى آخر للرئاسة الأمريكية فى البيت الأبيض.

استطلاعات رأى

وقد قام شبلى تلحمى بإجراء سلسلة استطلاعات الرأى هذه فى العالم العربى على مدى سنوات طويلة منذ ١٩٩٠ وحتى أواخر ٢٠١٣ وخلال هذه الفترة حدثت المفاجأة التاريخية الكبرى لثورات الربيع العربى خلال أواخر ٢٠١٠ و٢٠١١

وفى لحظة الثورة الخطيرة.. كانت خريطة استطلاعات الرأى فى العالم العربى كاملة أمام صانع القرار الأمريكى فى واشنطن.. وقد رحب عالم الاجتماع الأمريكى - المصرى الدكتور سعد الدين إبراهيم بهذا الكتاب باعتباره بالغ الأهمية لصناع السياسة.. طبعًا فى واشنطن! وقد اشترك فى الترحيب بصدور هذا الكتاب شخصيات أمريكية كبيرة مثل الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر وزيجنيو بريجنيسكى مستشار كارتر لشئون الأمن القومى وقد وجد الدكتور سعد الدين إبراهيم فى البيت الأبيض أيضا خلال أيام اشتعال الثورة الرهيبة فى ميدان التحرير.

منذ نهاية الحرب الباردة

لن نقول ما يتردد فى واشنطن أحياناً.. إن التخطيط لتغيير نظم الحكم القائمة فى العالم العربى.. كان عملية بعيدة المدى بدأت منذ انتهاء الحرب الباردة وسقوط الاتحاد السوفييتى السابق.. لكن من الواضح أن التخطيط للانفجار السياسى الرهيب فى عواصم العالم العربى الكبرى.. كانت مؤامرة مخابراتية أمريكية - أوروبية - إسرائيلية كبرى.. جرى الإعداد لها جيدا بهدف استغلال أعراض الغضب الكامنة لدى الشعوب العربية ضد حكامها لتبدو الثورات الملونة الأمريكية حركات شعبية تلقائية لجماهير عربية غاضبة.. ضاقت بالديكتاتورية والفقر بانعدام الأمل فى الحياة.

وكم أشارت الصحافة والدعاية الأمريكية والإسرائيلية بالكثير من البهجة إلى أن ثورات الشعوب العربية فى ميدان التحرير بالقاهرة وفى تونس.. لم ترفع شعاراً واحداً يندد بأمريكا أو إسرائيل.. لكن الشعوب كانت فقط غاضبة من حكامها!! وهذه هى نصف الحقيقة المفضلة فى تل أبيب وواشنطن ولندن وباريس.

أسباب للثورة

من المؤكد أن المواطن العربى فى مصر وتونس - بالتحديد - كانت لديه أسباب كثيرة هائلة.. تدفعه للثورة والغضب ضد نظام الرئيس حسنى مبارك.. وضد زين العابدين بن على ولكن هناك قوى عالمية.. وأجهزة مخابرات كبرى.. حاولت استغلال الثورة والثوار لتحقيق أهداف ومصالح أمريكية وإقامة نظم حكم جديدة.. عميلة للولايات المتحدة الأمريكية.

وقد تعرضت الدول والشعوب العربية.. مثل سائر شعوب العالم الثالث لمعاناة طويلة من الضعف والفقر وربما الأغلال وكل العوامل التى تؤدى إلى تفجر الأزمات والصراعات الداخلية وفى النهاية يتحول العالم العربى إلى ساحة مفتوحة "للعبة الكبرى" بين القوى العالمية التى تدعى أنها تصنع التاريخ وتنفرد بكتابة التاريخ.

الحاكم المستبد

يقول شبلى تلحمى فى كتابه.. إن الإنسان العربى كان دائمًا خاضعًا لسلطة الحاكم المستبد الديكتاتور.. وظلت هذه الحقيقة قائمة تستعصى على التغيير حتى تفجرت ثورات الربيع العربى فى لحظة الثورة الرهيبة.. تعرضت هوية الإنسان العربى لتغييرات عميقة بين ليلة وضحاها وقد اضطر خبراء الشئون

العربية فى واشنطن وعواصم أوروبا إلى مراجعة مواقفهم وآرائهم ومراجعة الصورة القديمة الكامنة فى أذهانهم.. للشعب العربى والإنسان العربى.

هناك إجماع على أن ثورات الربيع العربى كانت أقرب إلى سلسلة الزلازل السياسية الكبرى فى القاهرة وتونس وطرابلس - ليبيا - فقد كان المواطن العربى - وبالتالى كان رأى العالم العربى - يحظى بتجاهل تام فى أوساط صنع القرارات العليا فى كل عاصمة عربية.

الرأى العام بلا قيمة

لم يكن صانع القرار فى القاهرة أو تونس يلتفت حقا وصدقا لرأى المواطن ورجل الشارع وكان رجل الشارع يردد فى صمت أن القيادة السياسية لديه ليست إلا نوعًا من "المقاول" الذى يعمل من الباطن لصالح أسياده فى واشنطن.. كان المواطن.. وكان الرأى العام العربى.. بلا دور ولا تأثير على عملية صنع القرار.

ولذلك لم يكن سهلا.. أن يحدث تغيير رهيب ومفاجئ فى قمة الهرم السياسى.. خصوصا فى القاهرة لم يكن سهلا أن يقدم الرئيس حسنى مبارك استقالته!!

أكبر ثروة فى التاريخ

اختلف الوضع بعيدًا هناك.. فى واشنطن.. حيث يوجد صانع قرار أمريكى لديه مصالح واسعة فى حقول البترول والغاز العربية بالخليج وشمال إفريقيا.. وهى أكبر ثروة فى التاريخ.

ومن البداية لم تتردد أمريكا فى محاولة ملء الفراغ القائم فى العالم العربى بعد سقوط الاستعمار البريطانى والفرنسى إلا من أجل تحقيق هدف واحد هو ضمان السيطرة الأمريكية على ثروات العرب البترولية وبقدر ما تكون هذه الثروة المادية غالية واستراتيجية تكون حاجة أمريكا واسعة لفهم أغوار الشخصية العربية وقد تولى شبلى تلحمى مؤلف هذا الكتاب قيادة فريق عمل كبير جدا من الباحثين والمتخصصين فى العلوم السياسية والاقتصادية والسيكولوجية.. قاموا باستطلاعات واسعة للرأى العام فى العراق ومصر والأردن ولبنان وفى المغرب ودولة الإمارات ولم يكن هناك هدف لهؤلاء الباحثين سوى تحليل الدوافع السياسية المحركة للمواطن العربى وتحديد أبعاد العواطف الساخنة الكامنة خلف ثورات الربيع العربى بعد ذلك وما ترتب على هذه الثورات من نتائج.

أزمة كرامة

وكشف حدث الثورة فى ميدان التحرير بالقاهرة.. وفى تونس.. أن المواطن العربى فى بداية القرن الحادى والعشرين.. كان يعانى "أزمة كرامة" .. فقد كانت الكرامة هى النداء الأكبر للملايين فى شوارع القاهرة وتونس وهو ما تجاوز مطالب الجماهير بالخبز والحقوق الفردية وتزايد الاحساس بالكرامة المفقودة فى العلاقة بين الحاكم والمحكوم وحتى العلاقة بين العرب والقوى الكبرى.. خصوصا أمريكا ودول أوروبا الكبرى.

لم يكن صراخ الملايين خلال ثورات الربيع العربى.. مجرد غضب لفساد الحكام.. لأن صراخ الملايين كان فى الواقع تعبيرا عن إحساس عميق بالمهانة التى عاش فيها العرب طويلا تحت سيطرة الاستعمار الأوروبى والاستعمار الأمريكى من بعده.. ولذلك ليس غريبًا أن يشعر الإنسان العربى بجرح غائر فى الكبرياء الوطنى والقومى.

ربما لم يشعر الإنسان العربى والمواطن المصرى.. بالعزة والكبرياء القومى سوى خلال فترة قصيرة جدا امتدت من ثورة ١٩٥٢ وحتى ١٩٧٠ تحت حكم الرئيس جمال عبدالناصر كما يعترف الكثير من خبراء العلوم السياسية فى الجامعات الأمريكية.

عاطفة.. لها هدف

ويقول شبلى تلحمى.. إن الانتماء السياسى للمواطن العربى.. ليس عاطفة بلا هدف.. ولم يتراجع انتماء العرب نحو بلادهم.. إلا حين فشلت دولهم فى تحقيق أهداف المواطنين العرب وتطلعاتهم فى الحياة والكرامة.. نعم الدولة الفاشلة لا يمكن أن ينتمى إليها مواطن وحين تراجع الانتماء للوطن.. استغلت التنظيمات الإرهابية المتطرفة مثل جماعة الإخوان - هذه الظاهرة لصالحها.

لكن قصة الثورة فى مصر من ٢٥ يناير ٢٠١١ وحتى ٣٠ يونيو٢٠١٣ أكدت صعود القوة السياسية الجديدة الحاسمة.. قوة جماهير الشعب.. القادرة على فرض إرادتها وفرض التغيير الذى تريده.. فى التوقيت الذى تريده.. لكن هل حقا أن مصر.. والدول العربية تعانى أزمة هوية.. ما بين العروبة والإسلام.. والجذور العرقية والقبلية؟!

القصة تبدو طويلة جدًا.. ومعقدة أيضًا.

هوية الإنسان العربى.. تتغير بالهزيمة!

يبدو العالم فى مفترق طرق حاد وتاريخى.. فى أوائل القرن الحادى والعشرين وخريطة هذا العالم تتغير.. فى لحظة انتقال صعبة من نظام دولى كانت الولايات المتحدة الأمريكية تنفرد بقيادته والهيمنة عليه بعد السقوط السوفييتى إلى نظام دولى جديد.. تتحدد معالمه.. وتتشكل القوى الفاعلة فيه.. بالحرب والحديد والنار.. وبالصراعات الدموية الرهيبة وليست صدفة أن تجرى أغلب هذه الحروب والصراعات فوق أراضى دول وشعوب عربية.. تعرضت لكوارث وطنية حقيقية.. كما شهدنا ورأينا فى العراق وسوريا وفلسطين.. وليبيا واليمن.. وحتى مصر.

بعد غياب جمال عبدالناصر بالموت.. لم يعد هناك أحد فى العالم العربى.. سواء على مستوى الشعوب أو صناع القرار يشعر بالخوف أو الانزعاج.. وهو يرى هذا العالم ينتقل من نظام دولى إلى آخر ويبقى العالم العربى كما هو.. ساحة جغرافية مفتوحة أمام الصراعات والأطماع العالمية.

هل غاب الضمير القومى العربى وانعدم؟! سؤال ليست له إجابة جاهزة عند أحد فى أى عاصمة عربية.. لكن من الواضح أنه لن يكون هناك لشعوب ودول العالم العربى.. كيان له هوية محددة الوجود والحدود.. إلا بعد الإجابة عن الأسئلة التاريخية الصعبة.. من نحن؟! ومن نكون؟! وأين نحن فى هذا العالم؟! أين مكان الشعوب العربية.. وسط غابة وحوش القوى العالمية الكبرى.. التى تسعى بكل قوة.. لافتراس الكيان العربى قبل أن يولد.. والتهام الثروات الطبيعية العربية بأى ثمن.. حتى يبقى العرب.. شعوباً ودولاً.. فى حالة من العجز والفقر المزمن.. لا يستطيعون دفع عدو.. أو بناء تقدم.. ولن نقول حضارة.

ويبدو أن الروح العربية تعرضت لانكسار عميق على مدى سنوات الخضوع للاستعمار القديم والحديث.. وانكسرت الهوية القومية للدول والشعوب العربية بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧.

كان العرب.. يتوحدون بنداء القومية والوحدة العربية طوال الخمسينيات والستينيات.. لا فرق بين المصريين واللبنانيين أو المغاربة.. كان الإحساس بالانتماء القومى العربى طاغيا والشعور بالمصالح الموحدة سائداً.. واليقين فى قلب الإنسان العربى واحدا.. اليوم.. تعرضنا لمأساة كبرى.. وأصبحت "كلمة الله" تفرقنا..بدلا من أن تجمعنا.. وهذه وحدها كارثة قومية وأصبحنا نمزق بعضنا بعضًا باسم الدين والإسلام والشريعة!

ومن الأمريكيين من يعترفون صراحة فى واشنطن بأن الولايات المتحدة لا تتردد فى إحراق العالم العربى باسم الدين والإسلام.. وبالدين والإسلام من أجل الحفاظ على مصالحها وأطماعها فى ثروات العرب الهائلة من البترول والغاز.

ويشترك الأمريكيون مع الأوروبيين والإسرائيليين فى شىء واحد.. هو ضرورة تصدير الإحساس بالهزيمة والمهانة إلى أعماق الإنسان العربى.. فى كل وقت وكل عصر وكل زمان.

اختراع العدو

لم تعد السياسة الأمريكية تجاه العالم العربى تخفى وجهها القبيح.. وأصبحت أمريكا "تخترع" للعرب.. عدوًا جديدًا فى كل يوم بهدف إبعاد العرب عن العدو الرئيسى المعروف تاريخيا باسم إسرائيل.. تسعى أمريكا بشكل فاضح لحشد التحالفات العربية الأمريكية.. لقتال من تقنعنا أمريكا بأنه عدونا الجديد.. مرة إيران.. ومرة صدام حسين.. ومرة بشار الأسد.. ومرة تنظيم إرهابى اسمه داعش.. أسلحته أمريكية وأمواله أمريكية.. وقياداته من عملاء المخابرات الأمريكية.. المهم ألا يقترب العرب من إسرائيل.. هذه هى القضية والهدف فى واشنطن!

بالهزيمة

وفى هذا الكتاب "العالم.. بعيون عربية" يؤكد شبلى تلحمى أستاذ علم الاجتماع السياسى بجامعة برنستون الأمريكية.. أن هوية الإنسان العربى.. تتغير بالهزيمة.. وبالإحساس بالانكسار.. وبطغيان الإحساس بالمهانة وضياع الكبرياء الوطنى والإنسانى.. بسبب الحياة فى دولة فاشلة.. عاجزة عن تحقيق أحلام وتطلعات مواطنيها فى العزة والكرامة والعيش الكريم.

ويدرك الإنسان العربى فى كل مكان.. من القاهرة إلى بغداد ودمشق والمغرب أن

الولايات المتحدة الأمريكية ومعها حلفاؤها فى أوروبا تسعى بكل قوة لمنع قيام أى نظام وطنى عربى يعادى إسرائيل ولذلك اخترعت الولايات المتحدة المنظمات والجماعات التى تمارس السياسة باسم الدين والإسلام.. وقدمت لها الدعم والتأييد والمال.. وحتى السلاح.. بهدف نشر الفتنة بين المسلمين باسم الإسلام والشريعة ويجرى تمزيق العرب.. شعوبا وقبائل وجماعات عرقية باسم نصرة الإسلام والدين..وفى النهاية تبقى دولة إسرائيل قائمة وآمنة.. تحت حماية أمريكا.. وأحيانا بأموال العرب.

بين الماضى والحاضر

فى الماضى.. كانت الدول والحكومات العربية.. فى بغداد ودمشق والقاهرة.. تقوم بتجنيد الميليشيات العربية والفلسطينية للقتال ضد الاحتلال الإسرائيلى لأرض فلسطين.. اليوم انطمست الحقيقة.. وأصبح قتال الاحتلال إرهابا ولذلك تفرغت دول وحكومات عربية غنية.. لتجنيد الميليشيات والجماعات التى ترفع رايات الدين.. وتسعى لقتال وإسقاط نظم عربية وطنية.. فى سوريا وليبيا.. باسم الدين.

فكرة شيطانية

ولا أحد يدرى ماذا قال البروفيسور شبلى تلحمى للسلطات العراقية فى بغداد.. وكيف قدم نفسه إليهم.. حين دخل عاصمة الرشيد.. بعد القمة العربية الشهيرة التى انعقدت هناك بعد وقف إطلاق النار بين إيران والعراق.. وقبل غزو القوات العراقية للكويت بثلاثة أشهر فقط.

التقى شبلى تلحمى فى بغداد بالسفيرة الأمريكية الشهيرة أبريل جلاسبى.. التى أبلغته بأن الزعيم الفلسطينى ياسر عرفات موجود فى العراق ضيفا على صدام حسين بعد انتهاء القمة العربية.. ولأول مرة نكتشف.. كيف يتم توزيع الأدوار السياسية والمخابراتية على الطريقة الأمريكية.

ففى ذلك الوقت.. اشتعلت الانتفاضة الفلسطينية الأولى أواخر الثمانينيات وقامت الولايات المتحدة بوقف الحوار السرى الذى بدأته مع منظمة التحرير الفلسطينية برئاسة عرفات بعد أن تزايدت العمليات الفدائية ضد إسرائيل.. وهنا لمعت للسفيرة أبريل جلاسبى فكرة شيطانية وقالت للبروفيسور شبلى تلحمى: إنك أستاذ جامعى إسرائيلى- أمريكى ومن جذور عربية.. يمكنك استغلال وجود عرفات فى بغداد لتسعى لعقد اجتماع معه للحوار والنقاش..

نظرا لأن السفارة الأمريكية فى بغداد لا يمكنها فتح قنوات للاتصال معه بعد قرار وزارة الخارجية فى واشنطن بوقف الحوار مع منظمة التحرير وخلال ساعات تمكنت أبريل جلاسبى من ترتيب لقاء بين عرفات وشبلى تلحمى فى بغداد.. بمساعدة كريمة من السفير المصرى فى بغداد فى ذلك الوقت.

الانتفاضة الأولى

وفى هذه الأيام كما يقول تلحمى كان عرفات يتصور أن الانتفاضة الفلسطينية ستكون عامل ضغط سياسيا.. يغير من مواقف الدول العربية.. وتصور صدام حسين أنه خرج منتصرًا من الحرب مع إيران.. وبذلك أصبح هو الزعيم العربى الأول.. بطل العروبة!

لكن الأحداث العظام خرجت عن سيطرة كل الأطراف العربية حين أصدر صدام حسين أوامره للقوات العراقية بغزو الكويت فجأة.. وحين التقى صدام بالسيدة السفير أبريل جلاسبى فى بغداد.. أبلغته بأنه لا توجد اتفاقية للدفاع المشترك بين أمريكا والكويت.. وكان ذلك صحيحاً.. ولكن القرار الأمريكى فى واشنطن كان مختلفا.. واتخذ الرئيس الأمريكى الأسبق بوش الأب قراره بضرورة إجبار صدام حسين على أن يتقيأ الكويت.

وقال ديك تشينى وزير الدفاع الأمريكى فى ذلك الوقت: إن عراق صدام حسين بثرواته البترولية وحدها قوة لا يمكن أن تتحملها أمريكا.. فيكف يمكن أن نتحمله إذا أضاف الكويت إلى ثرواته!

واختفت أبريل جلاسبى من قائمة سفراء أمريكا حول العالم بعد أن خدعت صدام حسين بأن احتلال الجيش العراقى للكويت لن يثير غضب أمريكا وكان احتلال قوات صدام حسين للكويت.. هو الحدث الرهيب الذى أحدث هزة عميقة فى العالم العربى.. وكانت حرب تحرير الكويت هزة أخرى فى العالم العربى.. بعدها بشهور.. بعدها تغير كل شىء فى العالم العربى.. وتغير وجه الحياة كما نعرفه.. فقد بدأت بعد ذلك عملية الاستهداف الأمريكى المنظم للدول والشعوب العربية خاصة بعد سقوط الاتحاد السوفييتى السابق.. وانفراد الولايات المتحدة بالهيمنة الكونية.. وإذا كان احتلال العراق للكويت من الأحداث الفارقة فى التاريخ العربى الحديث.. فإن الغزو الأمريكى للعراق بعدها بأكثر من عشر سنوات كان من الأحداث الثقيلة على القلب والعقل العربى.. رغم أنه تعرض لمحاولة تغييب متعمدة فى ذلك الوقت باستخدام الآلة الإعلامية الأمريكية الرهيبة وتواطأ معها الإعلام العربى فى أحيان كثيرة، ومرة أخرى..

تتعرض الهوية العربية لأزمة جديدة بالهزيمة والغزو.. لكن أحداث ثورات الربيع العربى كانت نقلة نوعية فى تاريخ الانقلابات السياسية فى العالم العربى الحديث.

الغضب المكتوم

ومن يتأمل ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١ فى مصر بالفحص والدرس.. لن يجد صعوبة فى اكتشاف أن حدث الثورة كان تعبيرا تلقائيا عن الغضب المكتوم فى صدور الملايين من أبناء الشعب فقد ساءت الأحوال السياسية والاقتصادية وتدهورت مستويات معيشة المواطنين.. وكانت محنة شباب مصر قاسية جدا.. لضياع الأمل فى المستقبل ويؤكد الخبراء والمؤرخون على أن الثورة بطبيعتها ليست إلا علاجًا لأزمات الأمة بالجراحات المفتوحة فى الشوارع والمظاهرات الشعبية الغاضبة فى الشوارع.. تفتح الأبواب واسعة امام قوى الثورة المضادة وأمام أجهزة المخابرات العالمية.. للتدخل والعبث بالثورة والعبث بعقول الثوار.. وهذا هو ما حدث فى ميدان التحرير بالقاهرة.. حين قفز تنظيم الإخوان الإرهابى العميل لأمريكا.. إلى قمة السلطة فى مصر.. فى غيبة من الزمن.. ومن الثوار.. وفى غيبة من قوى الشعب الحقيقية صاحبة المصلحة فى الثورة والبطل الحقيقى للثورة.

ويبدو أحيانًا أن حدث الثورة كان مفاجأة تاريخية وسياسية.. مع أن نظام حسنى مبارك كان آيلا للسقوط إن لم يكن بالثورة.. أو بعوامل الزمن.. أو بضربات القدر.. كانت ثورة ٢٥ يناير ثورة شعبية حقًا ولم تكن مؤامرة.. لكن جهات أجنبية وأجهزة عالمية سرية حاولت التلاعب بأقدار الثورة والثوار.. والتلاعب حتى بأقدار مصر والدور البغيض الذى قامت به أمريكا علنًا وسرًا.. هو الذى يضع ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ فى مكانها الصحيح من التاريخ.

قصة زيارة

ويروى شبلى تلحمى قصة زيارته لميدان التحرير بعد استقالة الرئيس حسنى مبارك فى فبراير ٢٠١١، والتقى اليهودى الإسرائيلى الأمريكى العربى بالثوار فى ميدان التحرير وتحدث إليهم بلغة عربية ولهجة مصرية.. ومن البداية أدرك الباحث السياسى تلحمى أن ميدان التحرير أصبح رمزا عظيما للتضامن والفخر والكبرياء لدى المصريين.. وبدأ المصريون يشعرون بالأمل والتفاؤل بالمستقبل.

احتفل ثوار التحرير بسقوط مبارك.. وارتفعت أصواتهم بالغناء "ارفع راسك فوق.. أنت مصرى" كان هناك إحساس طاغ باستعادة الكرامة فى ميدان التحرير بالقاهرة وفى تونس وليبيا.

وظهرت قوة سياسية جديدة.. هى قوة الشعب وملايين المصريين الذين نجحوا فى فرض إرادتهم وإسقاط النظام وأدت الثورة إلى إحداث تغيير كبير فى تعريف المصريين لهويتهم وذاتهم.

هوية النصر

يتساءل تلحمى من خلال استطلاعات الرأى الواسعة التى أجراها فى مصر والعراق ولبنان والمغرب والإمارات العربية واليمن.. عن هوية الإنسان العربى؟! ويقول.. كان الإنسان العربى.. يشعر بانتمائه القومى للعروبة فى مراحل الانتصار فى الخمسينيات.. خاصة بعد انتصار مصر بقيادة جمال عبدالناصر فى معركة السويس ١٩٥٦، وكانت الهوية العربية.. هى وسيلة المواطن العربى فى مصر وكل مكان لتحقيق آمالة وتطلعاته الفردية والوطنية.. كان التحول نحو الهوية العربية والقومية العربية فى الخمسينيات والستينيات كاشفا.. فقد وقفت شعوب العالم العربى إلى جانب الرئيس جمال عبدالناصر بعد قراره بتأميم قناة السويس.. وقد تلخصت التطلعات العربية فى ذلك الوقت فى ضرورة تحقيق الاستقلال السياسى والاقتصادى عن القوى الاستعمارية لكن الأحلام والتطلعات العربية تعرضت لضربة قاصمة بعد هزيمة ١٩٤٨ وقيام دولة إسرائيل.. باعتبارها دولة يهودية وترحيل الشعب الفلسطينى من أرضه وبلاده بالقوة المسلحة.

بعد هزيمة ٤٨

وبعد هذه الهزيمة بثمانية أعوام فقط.. فوجئ العرب بانضمام بريطانيا وإسرائيل وفرنسا فى حملة عسكرية لغزو مصر ردًا على قرار عبدالناصر بتأميم القناة.. فى هذه الأوقات.. أصبح عبدالناصر فى عيون العرب.. هو زعيم العروبة الذى وقف ضد الاستعمار وضد إسرائيل.. ونجح فى الفوز بقناة السويس من فم الأسد البريطانى.

بعد انتصار مصر فى معركة السويس.. سقطت الأنظمة الموالية للاستعمار الغربى فى دمشق وبغداد وتعرضت أنظمة عربية أخرى كثيرة عميلة للغرب لخطر السقوط لكن هزيمة ١٩٦٧ كانت ضربة قاسية لحركة القومية العربية..

ولجمال عبدالناصر شخصيًا.. ومن لحظة الانتصار للهزيمة.. يتغير انتماء الإنسان العربى.. وتتغير هويته.. من عربى مسلم.. إلى مسلم أو مسيحى.. يقول شبلى تلحمى.. إن المواطن فى القاهرة يشعر بهويته الوطنية كمصرىٍ فى لحظة النصر.. حيث يعلن المصريون عن أنفسهم باعتبارهم مصريين أولاً.. قبل أن يكونوا عربا أو مسلمين.. كما حدث فى ميدان التحرير حين قالوا "ارفع راسك فوق إنت مصرى".

وتتعدد الهوية عند العرب.. مثل كل شعوب العالم.. ما بين العروبة والإسلام.. والدين والأصول العرقية وقد بدأ شبلى تلحمى استطلاعاته حول هوية الإنسان العربى منذ ٢٠٠٣ عام غزو العراق ويقول إن الإنسان العربى مثل أى إنسان آخر فى العالم تتعدد لديه الهوية والانتماءات وأغلب المصريين مثلا يرون أنفسهم فى وقت واحد.. عربًا ومسلمين أو مسيحيين.. معظم العرب مسلمون يمارسون شعائر الدين.. ويلعب الدين دورا حيويا فى حياتهم اليومية ولذلك من السهل على القوى العالمية.. التلاعب بهوية الدين.. رغم أن العرب لا يعرفون أنفسهم دائما بالهوية الدينية وربما يردد الإنسان العربى أنه عربى ومسلم.. بما يوحى بالفخر والكبرياء كما حدث حين فاز الكيميائى المصرى- الأمريكى.. أحمد زويل بجائزة نوبل أو حين تمكن لاعب كرة القدم الجزائرى الأصل زين الدين زيدان من قيادة فريق فرنسا للفوز بكأس العالم.

فى النهاية نكشف أن هوية العربى والمسلم.. ليست إلا تعبيرًا عن كيان واحد.. ونسيج واحد.. لا يمكن الفصل بينهما.. لكن الأموال والمؤامرات الأمريكية والأوروبية والإسرائيلية.. أحدثت شرخا كبيرا.. أقرب للانكسار فى هوية الإنسان العربى.. ومازال العالم العربى هدفًا للأطماع الخارجية.. والقصة طويلة ولا تخلو من الحزن القومى طبعًا.

لكننا نعرف جيداً أن العقل المفكر للإمبراطورية الأمريكية يخطط دائماً بالشر والفوضى والإرهاب.. لإحراق دول وشعوب العالم العربى.. بنيران صراعات لا تنطفئ أبداً.. أبداً.

وعلينا أن نعترف بأن الذاكرة العربية تتألم بقسوة أحياناً.. حين تسترجع مشاهد النصر والبطولة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقد ضاعت وتبددت من بين أيدينا فرصة تاريخية.. كانت كافية لتجعل من الأمة العربية.. القوة العالمية السادسة.. بعد أمريكا وروسيا وبريطانيا وفرنسا واليابان.. وكان الإحساس بالصدمة فى واشنطن لا يخفى على أحد.. وتحرك الثعلب الأمريكى فى ذلك الوقت.. هنرى كيسنجر.. بسرعة وفى كل اتجاه.. يحاول احتواء العرب.. ومنعهم من التحرك بالسياسة والحرب.. كقوة عالمية موحدة!!

ربما نشعر بالحزن العميق الآن.. وبلاد العروبة.. فى العراق وسوريا ولبنان.. واليمن وليبيا.. تبدو منتهكة الحدود والوجود.. أمام زحف قوى التدخل والتغلغل والتوسع الأجنبى.. الأمريكى.. والأوروبى.. والتركى.. وحتى الإيرانى. وتقف إسرائيل عن قرب.. تتابع وتترقب اللحظة التى يمكن لها فيها أن تنقض على الفريسة العربية التالية.. بعد فلسطين.

فقد أصبحت دول وشعوب العالم العربى تعيش تحت الحصار الخانق للقوى الإقليمية اللا عربية.. فى إيران وتركيا وإسرائيل.. ومن وراء هذه القوى.. تقف الولايات المتحدة الأمريكية.. ودول أوروبا.. فى الخط الثانى للحصار العالمى المزدوج للعالم العربى.

البكاء على الماضى

وبين البكاء على ضياع فرصة الماضى الذهبية.. والحزن القاتل.. للواقع الأليم الذى تعيشه الدول والشعوب العربية.. يبدو العقل العربى فى حالة من التيه

والضياع.. الأخلاقى والفكرى.. فقد حاصرتنا المخاطر من جميع الجهات.. واخترق الأعداء حدودنا.. وهددوا سيادة دولنا على أراضيها.. كما تبدو الكارثة واضحة بقسوة فى العراق وسوريا واليمن وليبيا. وقد اشترك بعض العرب فى المؤامرة الكبرى على بعض العرب.. وتبدو مشاهد ضياع سوريا بين الفوضى والإرهاب.. مثالاً نموذجياً.. لمؤامرات العرب ضد العرب!!

ولابد أن نعترف بأن مخطط المؤامرة الأمريكية ضد العرب.. قد اكتمل.. باشتعال الصراع الإسلامى- الإسلامى.. واستبدال الصراع العربى- الإسرائيلى.. بالصراع العربى الفارسى أو الإيرانى!!

وضاعت القضية الفلسطينية من قائمة الأولويات القومية العربية. وبعد أن قامت الأساطيل الأمريكية بالضربة الغاشمة الأولى فى مخطط هدم وتدمير العالم العربى.. حين جرى احتلال العراق.. انفتحت الحدود العربية واسعة.. أمام التوسع الإيرانى من العراق.. إلى سوريا.. وحتى لبنان.. وتقف تركيا فى الشمال فى انتظار سقوط لواء حلب.. لينضم إلى لواء الإسكندرونة!!

الجائزة

ويتحدثون الآن بصفاقة وخشونة فى واشنطن وبرلين.. عن الولايات المتحدة الأمريكية.. التى تخلت عن دورها العسكرى فى الشرق الأوسط.. وتركت للأطراف الإقليمية.. شرف تسوية صراعاتها بنفسها.. وكما يحلو لها.. وليس لكل هذا من معان سوى أن واشنطن تسعى بكل قوة لاحتواء إيران- الفارسية.. لتكون جزءًا فاعلاً فى إطار الإمبراطورية الأمريكية.. يخدم أهدافها ومصالحها.. داخل العالم العربى.. الذى يبدو أنه سيبقى إلى الأبد.. ساحة مفتوحة لصراعات عالمية كبرى.. ليس العرب طرفا فيها.. وإن كانوا هم الفريسة والجائزة.. التى تتسابق الدول والإمبراطوريات على الفوز بها.

وقد تجدد حلم قديم فى واشنطن مؤخرا.. يؤكد أن أمريكا تتطلع إلى استغلال إيران الجديدة.. لتكون إحدى أدوات الهيمنة الأمريكية فى العالم العربى.. مع تركيا.. وإسرائيل.

وقد اعترف الأمريكيون صراحة بأن الاتفاق النووى النهائى القادم مع إيران.. من شأنه أن يطلق يد إيران.. ليجعل منها قوة إقليمية كبرى ذات نفوذ.. إن لم تمتلك السلاح النووى فإنها على الأقل سوف تصبح مثل اليابان.. على أعتاب التسلح النووى.. ويمكنها صنع القنبلة.. فى أى لحظة.. بمجرد اتخاذ القرار السياسى الرهيب.

الصدام على أرض اليمن

وتبدو ملامح وحدود التواطؤ الأمريكى الإيرانى فى داخل العراق واضحة وحاضرة بقوة.. ووقف العرب ضد التوسع الإيرانى فى سوريا.. بصورة متوحشة.. أصبحت تهدد وجود الدولة العربية السورية الموحدة.. وهذا يخدم مصالح الثلاثى الإقليمى الصاعد.. فى إسرائيل.. وإيران وتركيا.. وترحب به واشنطن بحرارة.

وحين حدث الصدام العربى - الإيرانى مؤخرًا على أرض اليمن.. وجدنا فى واشنطن من يؤكد أن الصورة قد اكتملت فى العالم العربى.. فسوريا تحترق بالنار.. والعراق فى حرب.. وليبيا تتمزق.. واليمن فى حالة انهيار.. وترفض المملكة السعودية وقف العملية العسكرية العربية فى اليمن.. قبل استسلام الحوثيين الكامل للشرعية السياسية فى اليمن.

وإذا كان العالم العربى يضيق بالتوسع الإيرانى فى العراق وسوريا واليمن.. فمن المؤكد أن العالم العربى.. لا يمكنه أن يتحمل الاتفاق النووى القادم بين أمريكا وإيران!!

حان الوقت

واعترفت مصادر أمريكية شبه رسمية بأن الاتفاق النووى الشامل مع طهران.. من شأنه أن يجعل من أمريكا وإيران شريكين.. لم يتوقعهما أحد.. ولا يمكن أن يتحملهما أحد فى الشرق الأوسط.. من المؤكد أن أى صراع عربى- إيرانى.. مباشر أو غير مباشر.. لا يخدم أحداً سواء فى طهران.. أو فى عواصم العالم العربى.. لكن الواقع المتفجر فى العالم العربى.. يبدد كل الحسابات ويغير كل الخطط.. ويفسد كل التوازنات!!.. ولابد أن نعترف بأن إيران ليست إسرائيل.. دولة مصطنعة.. ذات عمر افتراضى سياسى وجغرافى.. وهى جارة جغرافية وتاريخية للعرب.. كانت يوماً جزءًا من الامبراطورية العربية.. العباسية والأموية.

وفى هذا الكتاب "حان الوقت للهجوم".. على إيران طبعا.. يتحدث الخبير النووى الأمريكى ماتثيو كرونج.. عن الخطر النووى الإيرانى الذى يلوح فى أفق الشرق الأوسط.. الملىء بالأزمات والصراعات الملتهبة.. وقد صدر هذا الكتاب فى واشنطن منذ شهور حين حدثت أكثر من أزمة عطلت المفاوضات النووية بين إيران والغرب.. وقد أحدث هذا الكتاب نوعا من الصدمة.. لأنه صدر فى وقت تحدث فيه الأمريكيون كثيراً وطويلاً.. عن استحالة نجاح أى ضربة عسكرية

أمريكية فى تدمير المنشآت النووية الإيرانية.. التى أقيمت تحت أعماق سحيقة فى الأرض أو تحت الجبال الوعرة.. التى تعجز الشياطين عن الوصول إليها.. وأبدى صناع القرار الأمريكى مخاوفهم من احتمالات قيام إيران بضربات انتقامية واسعة.. ضد إسرائيل وضد قواعد القوات والأساطيل الأمريكية فى الخليج العربى.. مما قد يؤدى إلى اشتعال الحروب الواسعة فى الشرق الأوسط كله.. وفى النهاية يمكن أن تأتى الضربة الأمريكية لإيران بنتائج عكسية.. فقد يتأخر البرنامج النووى الإيرانى بالضربة العسكرية قليلا.. لكن إيران ستضاعف جهودها.. لصنع الأسلحة النووية بعد ذلك.. ولن تتراجع عن امتلاك السلاح النووى.. لأنه سيكون وسيلتها الوحيدة لحماية أمنها ووجودها واستقلالها!!

ليس سيئـًا

يقول ماتثيو كرونج: إن البعض قد تحدث فى واشنطن بصراحة.. وقالوا.. إنه لو تمكنت إيران من إنتاج القنبلة الذرية فلن يكون ذلك شيئاً سيئاً.. ببساطة لأن أمريكا يمكنها احتواء وترويض إيران.. كما فعلت من قبل فى مواجهة الترسانة النووية الرهيبة للاتحاد السوفيتى السابق.. واعترف بعض الخبراء الأمريكيين فى النهاية.. بأن ترويض واحتواء إيران النووية.. يبدو الأمر الأفضل.. من قيام أمريكا بتوجيه ضربة عسكرية شاملة لإيران.. لهدم وتدمير برنامجها النووى!!

بين السهل والمستحيل

يقول ماتثيو كرونج إنه شخصيا ظل مقتنعا بهذا الموقف الأمريكى الرافض لضرب إيران.. حتى مايو ٢٠١٠ حين حدثت مفاجأة جعلته يتراجع عن موقفه.. فقد تم تكليفه بالعمل مستشاراً لوزير الدفاع الأمريكى للشئون الإيرانية.. وفى داخل البنتاجون وجد كرونج نفسه أمام أكوام من الملفات السرية الأمريكية التى تكشف تفاصيل قدرات إيران الاقتصادية والعسكرية.. وتكنولوجيا الصواريخ.. وأسرار البرنامج النووى الإيرانى الكاملة. ولم ينس ماتثيو كرونج أن يطلع على سيناريوهات وزارة الدفاع الأمريكية لخطط ضرب وتدمير برنامج إيران النووى.. بالتعاون مع إسرائيل.. وبريطانيا.

وكانت المفاجأة الأكبر.. حين اكتشف المؤلف أن توجيه ضربة عسكرية أمريكية لإيران.. ليست سهلة.. لكنها ليست مستحيلة.. ومع ذلك اكتشف أن كل من حوله داخل البنتاجون يؤكدون أن حصول إيران على السلاح النووى.. ليس بهذا السوء الذى يتحدثون عنه فى واشنطن وتل أبيب.. وحول العالم.

.. وتحدث بعض جنرالات البنتاجون صراحة.. وقالوا إن توجيه ضربة عسكرية أمريكية لإيران.. أمر ينطوى على كارثة كبرى.

الردع والاحتواء

وهنا قرر ماتثيو كرونج الوقوف ضد تيار الاستسلام الأمريكى للبرنامج النووى الإيرانى.. ونشر مقالا عاصفا فى مجلة "فورين أفريز" الأمريكية قال فيه: لقد حان الوقت للهجوم على إيران.. وتدمير منشآت برنامجها النووى.. وأكد فى مقاله.. أنه لو كان على صانع القرار الأمريكى أن يتخذ قرارا.. فإن توجيه ضربة عسكرية أمريكية محدودة لإيران ستكون أقل سوءًا.. من محاولة ردع واحتواء أو حتى حصار إيران النووية!!

وبعد أسابيع من نشر هذا المقال.. وقف الرئيس الأمريكى باراك أوباما فى البيت الأبيض ليعلن أن حصول إيران على السلاح النووى.. لن يكون مقبولاً على الإطلاق بالنسبة لأمريكا.. وتعهد أوباما بمنع إيران من الحصول على السلاح النووى.. ولو بالقوة المسلحة!! وسرعان ما حدث تحول لدى الطبقة السياسية العليا فى أمريكا.. التى طالبت بضرورة وضع استراتيجية أمريكية لحرمان إيران من التسلح النووى.قال ماتثيو كرونج إنه خرج من البنتاجون.. بكل الوثائق وحتى الخطط.. التى جعلته على يقين.. من قدرة أمريكا على ضرب إيران.

على بعد شهور

وحسب تقديرات جيمس كلابر.. مسئول أجهزة المخابرات والأمن القومى الأمريكى.. فإن برنامج إيران النووى قد وصل إلى نقطة من التقدم والتطور بالغة الخطر.. وأن إيران يمكنه إنتاج القنبلة خلال مدة تصل إلى شهور.. وتقل عن عام.. وأنه بذلك يمثل واحدا من أخطر التحديات للأمن القومى الأمريكى.

واعترف جيمس كلابر بأنه لم يبق أمام أمريكا سوى أن تحدد كيف يمكنها مواجهة الخطر النووى الإيرانى!!

وتدور سيناريوهات التخطيط الأمريكى.. فى مواجهة الخطر النووى الإيرانى.. حول ثلاثة مواقف:

أولاً: التوصل إلى تسوية دبلوماسية.. لتحييد وتقليص البرنامج النووى الإيرانى.

ثانيا: أن تستسلم أمريكا.. لقيام إيران كقوة نووية فى الشرق الأوسط.

ثالثاً: أن تشترك أمريكا وإسرائيل.. وربما بريطانيا فى توجيه ضربة عسكرية

شاملة لإيران.. تستهدف تدمير منشآت التطوير النووى.. ومنشآت صنع وتطوير الصواريخ الباليستية.

ويفرض السؤال نفسه: هل حقا أن أمريكا ترى فى صعود إيران الإقليمى على حساب العرب.. فرصة لتعزيز مصالحها الإقليمية والعالمية؟ خاصة فى ظل الشبح القادم للصراع الأمريكى مع الصين فى آسيا والباسيفيكى!! لكن إيران.. لم تنتظر التسامح الأمريكى.. وسعت من البداية إلى توسيع آفاق نفوذها فى العراق وسوريا ولبنان.. حتى اليمن.

ووجه محسن رازى القائد الأول للحرس الثورى الإيرانى التحية للحوثيين فى اليمن.. الذين تمكنوا من السيطرة على صنعاء.. ودخول عدن.. رغم ضربات التحالف العربى الجوية.. واعترف رضا زاكان عضو البرلمان الإيرانى بأن ثلاث عواصم عربية.. أصبحت خاضعة لإيران.. هى بغداد ودمشق وبيروت.. وأخيرا.. أصبحت صنعاء العاصمة العربية الرابعة.

لعنة الجغرافيا

ويبدو دعم إيران لميليشيات الحوثى الشيعية فى اليمن.. جزءًا من اللعبة الإقليمية الجديدة.. التى تغذيها أمريكا وإسرائيل.. بحيث يكون الصراع العربى- الفارسى.. بديلاً عن الصراع العربى- الإسرائيلى.. وهذه كارثة.

لكن إيران بطبيعتها.. من عهد الشاه إلى عهد الخمينى.. تميل للتوسع والامتداد بنفوذها.. خارج حدودها.. وفى كتابه الخطير جدا.. بعنوان "انتقام الجغرافيا" اعترف الخبير الاستراتيجى الأمريكى "روبرت دى كابلان".. بأن إيران- الخمينى- تمكنت من إقامة امبراطورية عسكرية.. دون مستوطنات أو دبابات وحاملات طائرات!! وهناك محاولات عربية لإقامة محور سنى عربى تركى.. يصنع التوازن مع إيران.. لكن تركيا.. تحلم بأطماعها فى العالم العربى.. وتراودها أحلام إحياء الامبراطورية العثمانية فى العالم العربى.. والحلم الصهيونى فى تل أبيب.. يجعل إسرائيل ترفض التنازل عن أوهام إسرائيل الكبرى!!

ولابد أن الصراع العربى- الإيرانى فى اليمن.. يأتى بعد الصراع الخطير الذى أدى إلى ضياع سوريا. لكن اليمن تبدو البوابة الخلفية للمملكة السعودية.. ومضيق باب المندب.. لا يترك لمصر فرصة للتراجع.. فما هو السيناريو القادم فى الشرق الأوسط؟

الفضاء الاستراتيجى

إن إيران تؤمن عن يقين بأن العراق وحتى سوريا .. جزء من الفضاء الاستراتيجى لإيران.. هذه اللعبة الإقليمية الخطيرة فى العالم العربى. ويقول روبرت كابلان إن الجغرافيا انتقمت من إيران.. وأصابتها بلعنة انعدام الحدود الآمنة.. لأن حدود إيران يصعب الدفاع عنها .. وكانت هذه كارثة تاريخية.. ظهرت أعراضها الأولى.. خلال الفتح العربى الأول لبلاد فارس.. فى عهد عمر بن الخطاب.. كما أن الجغرافيا أصابت إيران بلعنة أخرى.. لأنها الدولة الوحيدة.. الشيعية الفارسية فى المنطقة.. مما فرض على إيران عزلة استراتيجية أبدية.. ومزمنة.. وقد عاشت إيران طويلا فى عزلة استراتيجية ليس فقط بالحصار الأمريكى.. ولكن أيضًا بحكم الموقع الجغرافى.. مما أدى إلى حرمان إيران على مدى تاريخها من إقامة تحالفات ذات معنى.. بما يكفى ليجعل منها قوة عظمى!

وبمنطق الجغرافيا والتاريخ.. نكتشف أن قدرة إيران على الردع.. تكمن فقط فى قدرتها على الخروج بنفوذها إلى خارج حدودها .. كما حدث فى العراق وسوريا ولبنان.. وحتى اليمن. قد تبدو أراضى إيران واسعة.. لكن حدودها كانت دائما غير ثابتة وغير مستقرة.. وهناك إحساس تاريخى لدى إيران بانعدام الأمن.. وفى النهاية.. لا تجد إيران ما تدافع به عن وحدتها الوطنية واستقلالها سوى الخروج إلى ما وراء حدودها!! ومن هذا المنطلق سعت إيران إلى إقامة روابط مع الجماعات الشيعية فى كل مكان.. من العراق وحتى سوريا ولبنان.. وأخيرا فى اليمن.. وهى بذلك تحاول الخروج من العزلة الاستراتيجية التى فرضتها عليها الجغرافيا .. وصنعت جوانب الضعف والانحسار فى تاريخ إيران.

والجغرافيا .. بطبيعتها .. هى الواقع الذى يفرض نفسه.. دون أن يجادل أو يناقش.. والواقع الجغرافى والعزلة الاستراتيجية.. فرض على إيران السعى للهيمنة الإقليمية.

هذه هى أوراق إيران.. أو نصف الأوراق التى تلعب بها إيران فى العالم العربى.. فما هى الأوراق العربية.. التى يمكننا بها الدفاع عن وجودنا وحدودنا .. فى هذا العصر الأمريكى البغيض؟!

قد يمكننا استعادة اليمن.. قريبًا .. لكن سوريا والعراق مازالا فى دنيا الضياع والخطر.. ولن تكتمل أعمدة التضامن وحتى التحالف بين مصر ودول الخليج العربى.. دون استعادة العراق وسوريا .. الجرحين الغائرين فى جسد الكيان العربى الواحد ..

المستقبل العربى.. مازال محفوفاً بمخاطر كبرى.

إسرائيل القلعة.. وأسوأ سيناريوهات الصراع فى الشرق الأوسط:

أسرار انقلاب الجنرالات فى تل أبيب.. قبل عدوان ١٩٦٧

تتعمد الولايات المتحدة الأمريكية وحلفاؤها فى أوروبا.. أن تتعامل بلا رحمة مع الدول والشعوب العربية.. خاصة إذا تعلق الأمر بالمصالح الأمريكية والأوروبية.. أو بأمن ووجود إسرائيل!

ربما كانت هذه هى إحدى الحقائق الأساسية فى تاريخنا الحديث كله.. وإن كنا نفضل تجاهلها أحيانا.. أو عدم الاعتراف بها.. بل ومنا من يرفض حتى مجرد الحديث عنها.

وقد فشلت مختلف الدول العربية فى الإفلات من القبضة الغليظة للهيمنة الأمريكية والأوروبية.. منذ منتصف السبعينيات وحتى اليوم وفى النهاية شهدنا.. وشاهد العالم كله.. كيف تسامحت أمريكا مع صعود الهند على مسرح السياسة الدولية.. حتى أصبحت قوة نووية كبرى لكنها أبدا لم تتسامح مع الصعود السلمى لمصر فى الشرق الأوسط.. حتى بعد توقيع معاهدة السلام مع إسرائيل فى ١٩٧٩.

ومازال لغز الموقف الأمريكى من مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو٢٠١٣ يصعب على الفهم والإدراك.. إلا إذا كانت وراء الموقف الأمريكى مخططات أخرى.

وحين تفجرت ثورات الربيع العربى فى أوائل ٢٠١٣ رأت الولايات المتحدة فيما جرى فرصة لابد من انتهازها لإعادة رسم خريطة العالم العربى.. على أساس إقامة سلسلة من النظم السياسية الجديدة فى مصر وتونس واليمن وليبيا.. وربما سوريا ذات يوم.. تكون خاضعة.. مستسلمة تماما للهيمنة الأمريكية.. مع التعامل بقسوة واضحة مع أى نظام سياسى وطنى.. لا يراعى المصالح الأمريكية وهذا هو معنى "دبلوماسية الترهيب" التى تحدثت عنها مراكز الأبحاث السياسية فى واشنطن فى بدايات تقلبات الربيع العربى.. وهذا هو السر الحقيقى وراء وقف وتعليق جزء من المساعدات الأمريكية لمصر.

ومن هذا المنطلق وقفت الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل تقدم لها الدعم السياسى والمالى والعسكرى.. منذ قيامها وحتى اليوم.. حتى أصبحت إسرائيل قوة عسكرية كبرى.. كما أنها القوة النووية الوحيدة فى الشرق الأوسط.. كل هذا بتسامح أمريكى كامل ورعاية مطلقة.. لإسرائيل.. ولكل طموحات إسرائيل التوسعية فى الأراضى العربية.

واليوم تحولت المؤسسة العسكرية فى إسرائيل إلى ما يشبه المؤسسة العسكرية الأمريكية.. فى البنتاجون وشركات السلاح الكبرى وأجهزة المخابرات والمعلومات الأمريكية بفروعها المختلفة.. وهم من ١٢ إلى ١٥ جهاز مخابرات.. أشهرها المخابرات المركزية الأمريكية وكم يحلو لرئيس الوزراء الإسرائيلى بنيامين نتنياهو أن يتحدث أمام الأمريكيين عن إسرائيل.. باعتبارها صورة مصغرة من النموذج الأمريكى الفريد.

القرار النهائى

ولكن المؤسسة العسكرية فى إسرائيل تنفرد بأنها صاحبة القرار السياسى النهائى فى إسرائيل.. ولا توجد فى إسرائيل أى مؤسسة مدنية أخرى يمكنها الوقوف فى وجه الجنرالات.. ومطالبهم وربما غرائزهم العسكرية.. التى لا يشبعها سوى التوسع واحتلال المزيد من الأراضى العربية.. بالحرب والغزو والاحتلال.

وفى هذا الكتاب "إسرائيل القلعة".. يكشف الصحفى الأمريكى باتريك تايلر.. كيف قام صقور الجنرالات فى إسرائيل بما يشبه الانقلاب ضد رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى إشكول.. حين تصاعدت الأزمة السياسية بين مصر وإسرائيل.. بعد قرار الرئيس جمال عبدالناصر بإغلاق مضيق خليج العقبة فى ١٥ مايو ١٩٦٧.

فى هذه الأيام الرهيبة.. لم يتردد الرئيس الأمريكى الأسبق ليندون جونسون فى الوقوف على خط واحد مع صقور الجنرالات فى هيئة أركان الجيش الإسرائيلى.. بقيادة الجنرال إسحاق رابين.

وحين تصاعدت ضغوط الجنرالات فى إسرائيل تطالب بإطلاق أيديهم لبدء الحرب ضد مصر.. قال جونسون لكل المحيطين به من مستشارى السوء وكانوا جميعا من اليهود الصهاينة: إننى أحتاج فقط لمساحة من الوقت والزمن لاستكشاف نوايا عبدالناصر.. ومعرفة ما يدور فى ذهنه.

فى أحضان السر الرهيب!

فى ذلك الوقت كانت إسرائيل تنام مطمئنة فى أحضان السر الرهيب الذى تعيش عليه حتى اليوم.. فقد تمكنت إسرائيل قبل الحرب بأسابيع معدودة من إنتاج أولى قنابلها الذرية البدائية.. والحقيقة أن الترسانة النووية الإسرائيلية فى هذه الأيام كانت تتكون من قنبلتين نوويتين فقط.. وقد تم نشرهما قرب الحدود مع مصر.. لتكون سلاح الملاذ الأخير لإسرائيل.. لوقف أى هجوم مصري.. قد يخترق صحراء النقب إلى قلب إسرائيل.

فى ذلك الوقت.. كان الجنرال إسحاق ياكوف.. هو أكبر علماء السلاح فى إسرائيل.. وكان هو المسئول عن مشروع تصميم وتصنيع أول قنبلة ذرية إسرائيلية منذ أوائل عام ١٩٦٧ ولم يعرف أحد بقصة هذا الجنرال الغامض إلا فى عام ٢٠٠١ حين انتقل إلى نيويورك.. حيث أقام هناك باعتباره مواطنًا أمريكياً.. لكنه حين قام بكشف صفحة سرية من مذكراته لأحد الصحفيين الإسرائيليين.. رفضت الرقابة العسكرية الإسرائيلية نشر هذه الصفحة السرية.. لأنها كانت تتحدث عن الدور الذى قام به الجنرال ياكوف فى الإشراف على إنتاج أول قنبلة ذرية إسرائيلية وحين عاد الجنرال إلى إسرائيل فى ٢٠٠١ للاحتفال بعيد ميلاده الخامس والسبعين.. قامت السلطات الإسرائيلية باعتقاله وجرت محاكمته سراً.. بتهمة إفشاء الأسرار العسكرية الإسرائيلية!! ولم يتم السماح له بالعودة لأمريكا مرة أخرى.. حتى بعد أن صدر الحكم ضده بالسجن لمدة عامين مع وقف التنفيذ.. وهذه هى حقيقة المؤسسة العسكرية فى إسرائيل.

ولابد أن نتوقف هنا أمام حقائق وأسرار ما جرى فى إسرائيل من الداخل.. فى الأيام والساعات الأخيرة التى سبقت قرارها بالحرب والعدوان ضد مصر وسوريا والأردن فى يونيو ١٩٦٧.

فقد اعتمد صقور الجنرالات فى إسرائيل على ما حصلوا عليه من صفقات الطائرات الفرنسية والأمريكية والدبابات والمدمرات والغواصات البريطانية.. فى اتخاذ قرار الحرب والعدوان.. وهم فى طمأنينة تامة إلى تفوق إسرائيل العسكرى خاصة على مصر.. التى فوجئت بتصاعد الأحداث خلال أيام معدودة.. فى وقت كانت فيه القوة الرئيسية للجيش المصرى متورطة فى حرب اليمن.

لوثة الجنون والغرور

أصيب صقور الجنرالات فى إسرائيل بلوثة من الجنون والغرور إلى درجة جعلتهم ينظرون باحتقار تام لكل فنون السياسة والدبلوماسية والتفاوض.. وقال الجنرال موشى ديان الذى تولى منصب وزير الدفاع قبل الحرب بخمسة أيام فقط: لا يوجد ما يدفع جنرالات إسرائيل إلى تقديم تنازلات للعرب.. بالسياسة والتفاوض ولا يوجد ما يجبرهم على القبول بالحلول الوسط.. وهم يستطيعون تحقيق كل ما يريدون بالحرب وبالمباغتة بالحروب والضربات الوقائية والاستباقية!!

فى هذا الإطار توجه أبا إيبان وزير خارجية إسرائيل فى ذلك الوقت إلى واشنطن.. بتعليمات واضحة.. تؤكد له أن الدبلوماسية الوحيدة المقبولة لدى الجنرالات.. هى الدبلوماسية التى تعطى للجيش الإسرائيلى القدرة على تحقيق أهدافه العسكرية بالحرب والغزو.. واحتلال المزيد من الأراضى العربية.

وأكد الجنرال أهارون ياريف رئيس جهاز المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى ذلك الوقت.. أن أى نوع آخر من الدبلوماسية.. ليست إلا جهدًا ضائعًا.. لا يرضى به جنرالات إسرائيل!!

دقات الساعة

وحين تحركت عقارب الساعة بسرعة إلى يوم ٢٥ مايو١٩٦٧، بدأ جنرالات تل أبيب يمارسون ضغوطا حادة على رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى إشكول.. حتى يصدر إليهم الأوامر ويتخذ القرار السياسى من أجل قيام الجيش الإسرائيلى بالهجوم فورا على القوات المصرية المنتشرة فى مواقع دفاعية سيئة فى سيناء.

فقد ذكرت تقارير المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى ذلك اليوم أن القوات الجوية المصرية تبدو فى حالة تأهب لتوجيه ضربة سريعة لمفاعل ديمونة وللمطارات الإسرائيلية.. وتحدث الجنرالات أمام ليفى إشكول بصراحة تامة..وقالوا إن إسرائيل أصبحت الآن فى سباق عسكرى رهيب مع مصر.. حيث سيكون النصر للطرف الذى يبدأ الحرب.. وفى النهاية خشيت مصر رد الفعل الانتقامى الأمريكى.. وبدأت إسرائيل الحرب.

وفى لقاء ثلاثى خطير.. حضره ليفى إشكول والجنرال رابين رئيس الأركان والجنرال أهارون ياريف رئيس المخابرات العسكرية.. قال الجنرالان بصراحة إن إسرائيل يمكن أن تخسر تفوقها العسكرى إذا بدأت مصر الحرب بهجوم جوى

كاسح ضد إسرائيل.. وقال رابين: إن مجرد قيام إسرائيل حتى بتأجيل الحرب.. يمكن أن يجعلها تخسر تفوقها الاستراتيجى والتكتيكى.. وأضاف أن قيام إسرائيل بالضربة له دور حاسم فى تحقيق النصر فى الحرب.

تقارير زائفة

كانت تقارير المخابرات الإسرائيلية تتوقع حدوث هجوم مصرى مفاجئ خلال ٢٤ ساعة على الأكثر.. يوم ٢٦ مايو١٩٦٧، وحين جاء يوم ٢٦ مايو بدون حدوث الهجوم المصرى المنتظر.. فقدت إسرائيل الكثير من مصداقيتها فى واشنطن.. خاصة وأن تقارير المخابرات الأمريكية والبريطانية أكدت للرئيس الأمريكى جونسون أنه لا توجد أى مؤشرات تدل على أن مصر تستعد للحرب.. وأن الجيش المصرى لم يتحرك.. ولم يغير من أوضاعه الدفاعية فى سيناء.. رغم الحشد بأكثر من ٨٠ ألف جندى وأكثر من ٨٠٠ دبابة.

وفشل رابين فى إقناع ليفى إشكول باتخاذ قرار ببدء الحرب.. خصوصًا بعد أن تعرض الجنرال رابين شخصيًا لحالة انهيار عصبى كامل وتم نقله للمستشفى للعلاج.

وقال إشكول إن جيش الدفاع الإسرائيلى لا يمكنه بدء الحرب إلا بعد استنفاد جميع الوسائل الدبلوماسية وبعث إشكول ببرقية عاجلة للرئيس الأمريكى جونسون.. أبلغه فيها بأن الحرب مع مصر أصبحت وشيكة.. وأن أمريكا يجب أن تعتبر أى هجوم على إسرائيل بمثابة هجوم على الولايات المتحدة!!

حلم ديان القديم

وتسارع إيقاع اللقاءات والاجتماعات بين الجنرالات من صقور الحرب فى إسرائيل.. وأعرب الجنرال ديان عن رغبته فى ارتداء الزى العسكرى مرة أخرى فى جولة جديدة من الحرب ضد جمال عبدالناصر بهدف إسقاطه وحرمانه من تحقيق حلمه فى توحيد شعوب الأمة العربية تحت قيادته.. وقال ديان: إننى أرفض لجوء إسرائيل إلى الدبلوماسية أو التفاوض مع عبدالناصر.. لأن فى هذا نوعًا من التهدئة التى لا يمكن أن تحدث مع العرب مطلقًا.

وحين تحدث ديان مع ليفى إشكول أكد له بوضوح أن الجيش الإسرائيلى يمكنه تدمير القوات المصرية فى سيناء.. خصوصًا إذا قام بهجوم استباقى مفاجئ ضد مصر.. وأضاف أن تقديراته للموقف تؤكد أن إسرائيل يمكنها أن تشترى حقبة عشر سنوات كاملة من الأمن إذا تمكنت من هزيمة القوات المصرية فى سيناء.

قوة بحرية أمريكية

وفى يوم الجمعة ٢٦ مايو تلقى إشكول رسالة من الرئيس الأمريكى جونسون أكد له فيها أن أمريكا مستعدة للوقوف إلى جانب إسرائيل فى الأمم المتحدة.. بل إن أمريكا مستعدة لتجهيز قوة بحرية لاقتحام خليج العقبة وإعادة فتحه أمام الملاحة الإسرائيلية.. وأوضح جونسون أن إسرائيل لن تكون وحدها إلا إذا ذهبت للحرب وحدها.

فى ذلك الوقت كان ديان وصقور الجنرالات فى إسرائيل قد تجاوزوا تمامًا قصة إغلاق خليج العقبة.. وركزوا جهودهم على ضرورة تدمير حشود القوات المصرية فى سيناء.. لأنها تهدد قلب إسرائيل.

انقلاب الجنرالات

فى هذه الأجواء لم يتردد مناحم بيجن زعيم حزب حيروت اليمينى المتطرف فى الذهاب إلى عدوه السياسى القديم ديفيد بن جوريون فى منزله فى تل أبيب.. حيث طلب من بن جوريون وهو فى الحادية والثمانين من العمر أن يقود الحرب بنفسه ضد مصر.. وقال بيجن: إن تردد ليفى إشكول يعرض بوضوح كل منجزات ديفيد بن جوريون للخطر!

لكن رد ديفيد بن جوريون أصاب مناحم بيجن بالصدمة.. لأنه قال إن إسرائيل يجب ألا تبدأ الحرب.. دون أن يكون معها حليف من القوى الكبرى.

وحدث انقسام حاد داخل الحكومة الإسرائيلية بين معسكر الدبلوماسية بقيادة إشكول.. ومعسكر الحرب بقيادة ديان وبقية جنرالات المؤسسة العسكرية فى إسرائيل.

وكان الجنرال الشاب إريل شارون أكثر جنرالات إسرائيل وحشية.. وكان يقول أمام الجميع: إن مجرد تأجيل قرار الحرب من شأنه أن يبدد قدرة جيش الدفاع الإسرائيلى على ردع عبدالناصر.. لأن القوات الإسرائيلية مستعدة للحرب بشكل لم يحدث من قبل!!

وحين تصاعد حصار الجنرالات ضد ليفى إشكول.. جاءته رسالة جديدة من الرئيس الأمريكى جونسون تطالبه بأن تعطيه إسرائيل مهلة تمتد لثلاثة أسابيع فقط يمكنه خلالها إقامة تحالف دولى مع أمريكا قادر على الوقوف ضد عبدالناصر.. وضد قيامه بإغلاق خليج العقبة.

الإنذار الأخير

وفى إحدى الجلسات الحاسمة للحكومة الإسرائيلية اكتشف إشكول أنه يتعرض لحصار خانق من جانب الجنرالات.. وفى لحظة الحقيقة اكتشف أن تحذيرات وأحاديث الجنرالات ليست إلا إنذارا نهائيًا موجهًا إليه.

وهنا صرخ إشكول فى وجه الجنرال أريل شارون وهو جالس بجوار بقية الجنرالات من صقور الحرب.. وهو يقول: لقد طلب الجنرالات حصول إسرائيل على مئة طائرة مقاتلة حديثة وحصلتم عليها.. وطلبتم مئات الدبابات وحصلتم على كل ما أردتم من أسلحة حتى يمكن لإسرائيل أن تكسب الحرب.

وفى النهاية.. قال إشكول: إن العرب سيبقون هناك سواء انتصرت إسرائيل أم لم تنتصر.. لكن السؤال: هل سيبقى جونسون الرئيس المؤيد لنا فى أمريكا؟!

وأضاف إشكول.. إن هذا هو السؤال.. لأن إسرائيل سوف تحتاج للمزيد من السلاح.. فهل سيكون لدى إسرائيل أى حليف يساعدها!!

وبدأت عاصفة تمرد الجنرالات.. صقور الحرب.. ضد ليفى إشكول من هذه اللحظة.. وقاموا بما يشبه الانقلاب ضد رئيس الوزراء المتردد.

رتب عسكرية على الأرض

وتجسدت عاصفة التمرد العسكرى ضد إشكول حين قام الجنرال عيزرا وايزمان باقتحام حجرة رئيس الوزراء وهو يتناول الطعام مع أحد أصدقائه.. وصرخ وايزمان بأعلى صوته وهو يقول: إن الدولة تتعرض للدمار.. إسرائيل تتعرض للدمار يا إشكول.. لابد أن تصدر الأوامر للجيش الإسرائيلى ببدء الحرب.. وسوف نكسب الحرب وتكون أنت رئيس وزراء النصر!!.. ثم تصاعد غضب وايزمان فجأة وقام بنزع الرتب العسكرية الموجودة فوق كتفه وألقى بها على الأرض.. وخرج غاضبا.. وإشكول فى حالة ذهول لا يصدق ما يحدث أمامه.

وبدأت الصحف الإسرائيلية الكبرى تطالب بإقالة إشكول.. وإزاحته بعيدًا عن عملية صنع القرار العسكرى فى إسرائيل وتلقى الرئيس الأمريكى تقارير من المخابرات الأمريكية تؤكد أن جنرالات الجيش الإسرائيلى أعلنوا التمرد على إشكول.

حاملة طائرات أمريكية

وفى يوم ٣٠ مايو ١٩٦٧ وقف أبا إتيان وزير خارجية إسرائيل أمام مراسلى الصحف العالمية فى تل أبيب.. ليعلن أن إسرائيل سوف تتصرف منفردة إذا اضطرت إلى ذلك.. وسوف تتصرف بالتعاون مع الآخرين.. لو استطاعت!

وهنا أصدر الرئيس الأمريكى جونسون أوامره إلى حاملة الطائرات الأمريكية "إنتربيد" بعبور قناة السويس.. لتتمركز فى البحر الأحمر.. للعمل ضد الحصار المصرى لخليج العقبة.

وكانت هيئة الأركان الأمريكية المشتركة تقوم فى ذلك الوقت فعلا بتجميع قوة بحرية أمريكية فى البحر الأحمر.. لفتح مضيق العقبة بالقوة المسلحة.. وكانت التحركات العسكرية الأمريكية تجرى فى سرية تامة.. لم تعلم بها إسرائيل.. وطبعًا مصر.. ولذلك قالت الصحافة الإسرائيلية: إن أمريكا لا تفعل شيئاً مع أنه كانت هناك تحركات عسكرية أمريكية واسعة مضادة لمصر.. ولقرارها بإغلاق خليج العقبة.

ووسط هذه الأجواء تمكن الجنرالات من إسقاط حكومة إشكول وأجبروه على تشكيل حكومة وحدة وطنية.. انضم إليها ديان وزيرًا للدفاع.. ومناحم بيجن وزيراً لإحدى الحقائب الوزارية.

تقارير سرية جداً

وفى يوم الخميس الأول من يونيو ١٩٦٧ تلقى جونسون برقية وهو فى "قاعة تقدير الموقف" الشهيرة ببدروم البيت الأبيض تبلغه بأن حاملة الطائرات الأمريكية قد عبرت قناة السويس فعلا إلى البحر الأحمر وأنها فى الطريق إلى مضيق خليج العقبة.

وحتى هذا الوقت كانت تقارير أجهزة المخابرات الأمريكية تؤكد أن عبدالناصر ليس فى موقف يجعله يبدأ الحرب.. لكنه لا يبدو مستعدًا للتراجع.. مع أنه لا يريد تصعيد الأزمة.

وفى يوم الأحد الرابع من يونيو تحول اجتماع الحكومة الإسرائيلية إلى ما يشبه مجلس الحرب.. وبالفعل جرى خلال هذا الاجتماع اتخاذ القرار النهائى بالحرب الوقائية ضد مصر.. وحين دقت عقارب الساعة تمام الثامنة من صباح ٥ يونيو١٩٦٧ انطلقت أكثر من ٢٠٠ طائرة إسرائيلية من قواعدها واتجهت إلى التحليق فوق البحر المتوسط.. لتنقض على القواعد الجوية المصرية فى

القاهرة.. والدلتا وسيناء.. حيث تم تدمير أكثر من ٣٠٠ طائرة مصرية على الأرض.. خلال غارتين جويتين.. انتهت الثانية فى العاشرة والنصف صباحًا.

بعدها توغلت القوات الإسرائيلية فى عمق سيناء حتى قناة السويس.. وفى اليوم الثالث للحرب بدأ الهجوم الإسرائيلى على القدس والضفة الغربية.. ولم يستطع ديان مقاومة إغراء توجيه ضربة لسوريا.. تم خلالها احتلال مرتفعات الجولان.

وكم أثار وجود حاملة الطائرات الأمريكية فى البحر الأحمر من شكوك حول تورط الطيران الأمريكى فى الحرب.. خصوصًا حين ذكرت صحف إنجليزية فى لندن منذ سنوات.. أن الضربة الجوية الأولى ضد مصر.. نفذتها طائرات الأسطول السادس الأمريكى.. وظهرت بعدها الطائرات الإسرائيلية فى سماء المعركة.

لكن قصة العدوان على مصر فى يونيو ١٩٦٧ تكشف المدى الواسع لأطماع جنرالات إسرائيل.. لكن يوم ٥ يونيو كان يومًا خسرت فيه مصر معركة.. ولم تخسر الحرب!!

العقل الصهيونى.. روح عسكرية هائجة.. ورغبة فى الحرب لا تشبع!

تفرض علينا أعراض وأوجاع الأزمة التى نعيش فيها حالياً فى مصر.. ضرورة القيام بقراءة جديدة وصحيحة لخريطة العالم الذى يتشكل من حولنا حالياً فى أوائل القرن الحادى والعشرين، ومن الضرورى أن نتأمل أزماتنا.. ومواقف القوى الكبرى منها.. ومن أزمات الآخرين فى أماكن بعيدة خصوصاً ما يجرى فى أوكرانيا.. قد يبدو الدرس مختلفاً.. مع أن القصة واحدة.. فقد قامت الولايات المتحدة ودول الاتحاد الأوروبى.. بغزو أوكرانيا من الداخل.. على مدى ٢٥ عاماً.. منذ السقوط السوفييتى العظيم وحتى اليوم.

ولجأ الأمريكيون والأوروبيون إلى أسلحة جديدة فى الغزو.. منها الدعاية السياسية.. مع المنح والمساعدات المالية التى تتدفق كالأنهار.. على ما يسمى بمؤسسات المجتمع المدنى.. وجمعيات حقوق الإنسان.. وحتى مراكز الأبحاث السياسية والاقتصادية، وقد تحول الباحثون فى هذه المراكز والجمعيات.. بوعى أو دون وعى.. إلى مجرد جواسيس وعملاء.. لأجهزة المخابرات والأمن فى أمريكا وأوروبا وحلف الأطلنطى.. وهى أجهزة لا تعرف الرحمة.. ويبدو أن العالم قد عاد بسرعة.. إلى أجواء الحرب الباردة.. وبحركة سياسية واحدة وتحبس شعوب أوروبا وروسيا وأمريكا أنفاسها.. فى مواجهة أزمة انهيار الدولة فى أوكرانيا.. وصراع الإرادات الرهيب بين موسكو بوتين.. وواشنطن أوباما.. ورغم أن أمريكا تواجه مصاعب كبرى فى محاولاتها إعادة رسم خريطة الشرق الأوسط لصالح إسرائيل.. إلا أنه من الواضح أنها لن تتمكن من إعادة رسم خريطة أوروبا كما تريد.

واعترف الأمريكيون سريعاً بأن هناك حدودا للقوة الأمريكية.. لا يمكن أن تتخطاها.. خاصة فى أى صراع مع روسيا.. بل وهناك من قالوا فى واشنطن إن أوباما.. يبدو رجلاً منزوع السلاح.. فى مواجهة بوتين.. الذى يدافع عن حدود ومستقبل الأمن الروسى فى القرن الجديد. فقد تتوجه سفن الأسطول الأمريكى

إلى البحر الأسود.. للمراقبة والمتابعة.. لكنها لا يمكن أن تتدخل فى الصراع القائم فى أوكرانيا.. حتى لو أرسل بوتين جيوشه إلى قلب كييف ذاتها.. وليس القرم فقط، ومع ذلك فإن هدف موسكو بسيط للغاية ولا يزيد علي الرغبة فى إسقاط الحكومة العميلة لأوروبا وأمريكا.. التى اغتصبت السلطة فى أوكرانيا.

فى قلب العاصفة

أين نحن من كل ما يجرى حولنا فى الشرق الأوسط.. وما يجرى بعيدا فى أقصى شرق أوروبا.. أوكرانيا؟! يبدو أننا فى قلب العاصفة العالمية التى تريد إعادة رسم خريطة العالم العربى وربما العالم كله بما يخدم أهداف ومصالح الإمبراطورية الأمريكية الأوروبية فى لحظة فارقة من تاريخ كوكب الأرض الذى نعيش فوقه.

لابد أن نقوم بفحص ودراسة كل ما يجرى فوق أرضنا بالعمق اللازم.. وكل ما يجرى من حولنا.. فى سوريا والعراق وليبيا فهناك من يحاولون جرجرة العرب إلى فترة جديدة من التقسيم والانقسام بهدف إخضاع دول وشعوب العالم العربى إلى رحلة جديدة من الاستعمار الأوروبى الأمريكى لا تختلف كثيراً عما جرى لنا خلال القرن الـ ١٩ والنصف الأول من القرن العشرين.

وهنا لابد أن نتذكر أن العرب شعوب مختلفة لكنهم أمة واحدة وهى ليست أمة بلا تاريخ.. ومصر ليست دولة أو قوة يمكن الاستهانة بها مهما كانت الظروف لأن مصر شعب له دولة منذ فجر التاريخ وهى دولة تسعى لإعادة صنع واختراع الحاضر الأفضل لشعبها.. وترفض الدولة والشعب فى مصر التنازل أو التفريط فى حق أجيالنا القادمة فى المستقبل.

وفى هذا الكتاب "إسرائيل القلعة".. يؤكد الصحفى والباحث الأمريكى باتريك تايلر أن إسرائيل دولة عسكرية.. دولة حرب.. وليست دولة سلام ولا يمكن أن تسعى لصنع أى نوع من السلام مع العرب.. ببساطة لأن المال والسلاح يصنعان غرور القوة لدى جنرالات جيش الدفاع الإسرائيلى.. وهذه هى حقيقة المؤسسة العسكرية فى إسرائيل منذ ١٩٤٨، وحتى اليوم.

المؤامرات والمال والسلاح

فقد أقيمت دولة إسرائيل بالمؤامرات والأموال والأسلحة الأوروبية والأمريكية.. وهذه الأموال والأسلحة هى التى صنعت من إسرائيل قلعة رهيبة ترفض السلام.. بعناد وإصرار لا يلين.

ولابد لكل من يريد أن يفهم تاريخ إسرائيل الملوث بدماء الأبرياء من الرجال والنساء والأطفال العرب الذين سقطوا فى حروب إسرائيل.. لابد أن يتوقف أمام تاريخ المؤسسة العسكرية الحاكمة فى إسرائيل.. ولابد أن يعلم مقدماً أن جنرالات هذه المؤسسة يريدون إعادة رسم مستقبل وخريطة الشرق الأوسط.. بما يخدم مصالح إسرائيل.. ومصالح الولايات المتحدة ودول أوروبا .. لأن المصالح واحدة.

إن هذا الكتاب يكشف حقيقة إسرائيل ويقوم بتعرية إسرائيل من الداخل كما يكشف حقيقة العقل اليهودى الصهيونى الذى جعل من إسرائيل الدولة العسكرية الوحيدة فوق كوكب الأرض.

ويكشف المؤلف باتريك تايلر الأسباب والدوافع الحقيقية التى تدفع إسرائيل إلى رفض السلام.. والتعنت والتمسك باحتلال القدس والأراضى العربية بل وترفض كل محاولات إقامة السلام مع العرب.

الملفات السرية للحرب

كما يفضح المؤامرات التى قامت بها إسرائيل ضد العرب.. بكل ما فيها من أسرار وحقائق.. يشيب لها الولدان.. لأن الكثير منها ينشر لأول مرة من واقع الملفات الإسرائيلية والأمريكية والبريطانية والفرنسية.

يكفى أن السلام أصبح اليوم هو خيار العرب الاستراتيجى الوحيد.. وفى المقابل مازالت الحرب هى خيار إسرائيل الوحيد فى حين تلاشت خيارات العرب العسكرية منذ أمد طويل فبعد غزو وانهيار العراق.. لم يعد هناك جيش عراقى لخمسين عامًا قادمة على الأقل.. وبعد مؤامرة الحرب الأهلية فى سوريا.. ربما تختفى دولة سوريا الموحدة من خريطة الشرق الأوسط. ولولا التواجد الشامخ للقوات المسلحة المصرية لربما أصبح مصير مصر مثل سوريا والعراق.. ولو كان هناك شىء يمكن أن يشفع لفشل حسنى مبارك السياسى فى سنواته الأخيرة.. فهو حرصه على بناء وبقاء القوات المسلحة المصرية.. قوية وقادرة.

فى حين كانت إسرائيل تطالب فى الماضى بمجرد اعتراف العرب بوجودها كحقيقة قائمة فى الشرق الأوسط.. فإنها اليوم تطالب الشعب الفلسطينى بالاعتراف بيهودية دولة إسرائيل.. باعتبارها دولة يهودية خالصة نقية من أى أعراق أخرى!!

قد تكون الحقبة التى نعيش فيها حاليا أفضل زمن للثورة والتمرد فى مصر

والعالم العربى ضد الديكتاتورية والظلم لكنها أيضاً أسوأ عصور المؤامرات التى يتعرض لها العرب من جانب إسرائيل وأمريكا ودول الاتحاد الأوروبى!!

العرب يكرهون شهر يونيو

وربما ظللنا على المستوى الشخصى للملايين من العرب فى مصر والبلاد العربية نكره شهر يونيو من كل عام بسبب ذكريات النكسة والهزيمة فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ وربما لم يتصالح المصريون حقا مع شهر يونيو إلا حين قامت ثورة ٣٠ يونيو ٢٠١٣ ضد محمد مرسى ونظام الإخوان الإرهابى العميل لأمريكا وبريطانيا.

كانت إسرائيل تريد الحرب وتستعد للعدوان على مصر لإسقاط جمال عبدالناصر على مدى عشر سنوات كاملة بعد معركة السويس فى ٢٩ أكتوبر١٩٥٦.

وعلى مدى النصف الأول من عام ١٩٦٧ تعرضت مصر لمؤامرة أمريكية كبرى وعملية خداع استراتيجى شاملة لم يسبق لها مثيل.

وحدد جنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بقيادة إسحاق رابين رئيس الأركان ساعة الصفر للحرب والعدوان بدقة.

واعترف الجنرال رابين بأن إسرائيل كانت تعلم جيدا أن القوات المصرية تعرضت لحرب استنزاف وإنهاك طويلة فى اليمن على مدى خمسة أعوام كاملة تضاعف خلالها حجم القوات المصرية المتورطة فى الحرب إلى ٥٠ ألف جندى ومنها أفضل وحدات المدرعات والمدفعية والمشاة المصرية واختارت إسرائيل توقيت الحرب فى يونيو ١٩٦٧ والقوة الرئيسية للقوات المسلحة المصرية موجودة فى اليمن.. بعيدًا عن مصر.

مغامرات ديان وجولدا

وكم هزمنا أنفسنا من الداخل تحت وطأة الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ وتحت نيران الدعاية الإسرائيلية والأمريكية الساعية ضدنا وكم تصورنا أن شياطين الحرب والعدوان فى إسرائيل جماعة من البشر بلا أخطاء أو نزوات مع أن الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى آنذاك ذهب للقاء عشيقته فى تل أبيب حين كانت القوات الجوية الإسرائيلية تقوم بغاراتها ضد القواعد والمطارات المصرية التى استهدفت تدمير طائرات سلاح الطيران المصرى وهى جاثمة على الأرض.

وكان ديفيد بن جوريون مؤسس دولة إسرائيل يقوم بدور ذئب النساء المتوحش

فى مدينة تل أبيب وحتى السيدة العجوز جولدا مائير كانت حتى أواخر عهدها بالصحة والشباب امرأة ذات نشاط واسع خارج فراش الزوجية لكنها الهزيمة التى جعلتنا نجلد أنفسنا بسوط العذاب لأن الهزيمة الحقيقية تمثلت فى انعدام ثقتنا بأنفسنا!!

زمن الحرب

وإذا جاز لنا أن نقول إن للحرب ساعة عسكرية محددة فإن النصف الأول من عام ١٩٦٧ كان هو وقت الحرب فى الشرق الأوسط فطوال النصف الثانى من شهر مايو ١٩٦٧ كانت صحف القاهرة وتل أبيب تنشر صور التهيئة العسكرية الشاملة وكانت صور الدبابات والمدرعات وهى تتحرك سريعًا فى الشوارع فى الطريق إلى جبهة القتال فى الصفحات الأولى للجرائد الإسرائيلية والعربية.

وبدأت فصول المؤامرة سريعاً حين وافق يوتانت سكرتير عام الأمم المتحدة على طلب مصر سحب قوات الطوارئ الدولية من شرم الشيخ وسيناء ولم تعد هناك قوات دولية تفصل بين الجيشين المصرى والإسرائيلى فى صحراء سيناء والنقب وفى غزة ويمكننا القول إن الدبلوماسية العالمية ماتت أو تعرضت للقتل عمداً مع سبق الإصرار والترصد.. ولم يقم أى طرف بأى جهد سياسى أو دبلوماسى حقيقى لوقف التصعيد العسكرى.

نزوات الجنرالات

هزمت الحرب منطق السلام قبل أن تنطلق الرصاصة الأولى فى حرب يونيو ١٩٦٧ فقد فشل ليفى أشكول رئيس الوزراء الإسرائيلى فى السيطرة على نزوات الجنرالات الكبار من حوله وفرضت عقلية التوسع الإسرائيلى عقيدتها القتالية على الجميع فى تل أبيب وأعلن الجنرال إسحاق رابين رئيس الأركان الإسرائيلى فى ذلك الوقت بوضوح وصراحة أن الوقت قد حان لكى تثبت إسرائيل أنها أكبر قوة عسكرية فى الشرق الأوسط.. وأنها قادرة على إحباط كل محاولات جمال عبدالناصر التى تستهدف توحيد العالم العربى تحت قيادته.

كانت إسرائيل تزهو وتفخر بصفقات السلاح الأمريكى الحديث التى حصلت عليها فى عصر الرئيس الأمريكى جونسون خصوصًا دبابات إم ٤٨ وصواريخ هوك المضادة للطائرات.. وطائرات سكاى هوك.

وكانت إسرائيل تعتمد أيضاً على شحنات الدبابات والمدمرات والغواصات التى

حصلت عليها من بريطانيا بالإضافة إلى طائرات الميراج سى ٣ بعيدة المدى التى حصلت عليها من فرنسا فقد ظلت إسرائيل على مدى عشرة أعوام كاملة تبنى جيشها وتقوم بتزويده بأحدث الأسلحة والمعدات التى لا مثيل لها لدى الجيوش العربية سيئة التنظيم والتدريب.

المؤامرة لاصطياد الديك الرومى

كانت المؤامرة ضد جمال عبدالناصر كاملة الأبعاد دقيقة التخطيط واستهدفت بوضوح اصطياد "الديك الرومى" جمال عبدالناصر واستدراجه للدخول فى حرب مع إسرائيل فى أسوأ توقيت بالنسبة لجاهزية القوات المسلحة المصرية وفى أفضل توقيت بالنسبة لجاهزية جيش العدوان الإسرائيلى الذى أصبح قوامه يزيد على ٢٥٠ ألف جندى بنسبة ١٠٪ من سكان إسرائيل الذين كان تعدادهم فى ذلك الوقت ٢,٥ مليون نسمة!!!

وحين تصاعدت الأحداث سريعا بعد قيام مصر بإغلاق مضيق خليج العقبة فى وجه السفن الإسرائيلية المتوجهة إلى ميناء إيلات بعث الرئيس الأمريكى ليندون جونسون بالدبلوماسى الأمريكى الشهير ريتشارد أندرسون إلى القاهرة فى ليلة ٣١ مايو ١٩٦٧ لاستطلاع نوايا عبدالناصر أى قبل تنفيذ خطة الحرب والعدوان بخمسة أيام فقط.

وعلى مدى ساعتين من المباحثات أكد الرئيس عبدالناصر لريتشارد أندرسون أكثر من مرة أن مصر لن تبدأ الحرب وأنه سوف ينتظر حتى تقوم إسرائيل بالضربة الأولى.

وقال أما بالنسبة لمضيق خليج العقبة فإنه جزء من المياه الإقليمية المصرية وإن كان عبدالناصر على استعداد لعرض القضية على محكمة العدل الدولية.

القبول بوجود إسرائيل

وحين سأله أندرسون سيدى الرئيس ناصر هل يمكنك أن تقبل بوجود إسرائيل كحقيقة قائمة فى الشرق الأوسط قال عبدالناصر أعتقد أننا لا يمكن أن نقبل بسلام دائم ومستقر مع إسرائيل دون إيجاد حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

وأضاف إذا كان للعرب وإسرائيل أن يعيشا معا جنباً إلى جنب فلابد أن تسمح إسرائيل لمليون لاجئ فلسطينى بالعودة إلى ديارهم.

وعرض عبدالناصر أن يبعث بنائبه زكريا محيى الدين إلى واشنطن للقاء الرئيس جونسون فى البيت الأبيض خلال الأسبوع المقبل أى فى السابع من يونيو ١٩٦٧.

ضمانات كيندى

فى ذلك الوقت كان ليفى أشكول يحاول الحصول على ضمانات أمريكية تقضى بقيام الولايات المتحدة بالتدخل وإجبار الرئيس عبدالناصر على التراجع بالقوة إذا لزم الأمر ولكن حتى الآن من يونيو لم يكن أشكول قد حصل على أى ضمانات أمريكية رغم أن الرئيس الراحل كيندى سبق له أن تعهد للسيدة جولدا مائير وزيرة خارجية إسرائيل السابقة بأن الأسطول السادس الأمريكى يمكنه التحرك من قواعده فى إيطاليا خلال ٣٠ ساعة فقط.. لإنقاذ إسرائيل من أى خطر!!

وكان إيقاع الأحداث قد تصاعد بقوة خصوصًا بعد أن هدد الجنرال أهارون باريف رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية فى ذلك الوقت بالقيام بعملية عسكرية إسرائيلية كبرى لغزو سوريا واحتلال دمشق وإسقاط حكومة نور الدين الأتاسى البعثية المتطرفة.

وحين بدأ العد التنازلى للحرب توجه الجنرال مائيرأميت رئيس جهاز المخابرات الإسرائيلية الموساد إلى واشنطن حيث التقى هناك على الفور مع ريتشارد هيلمز مدير جهاز المخابرات المركزية الأمريكية سى.آى.إيه من البداية دخل مائيرأميت فى سباق مع الزمن حتى يقطع الطريق على زكريا محيى الدين حتى لا يصل إلى واشنطن إلا بعد انطلاق الحرب والعدوان ضد مصر.. لإسقاط عبدالناصر.

الخوف من الحرب

كانت رسالة الجنرال مائيرأميت لرئيس المخابرات الأمريكية واضحة وهى أنه إذا فشلت إسرائيل وأمريكا فى هزيمة عبدالناصر فسوف تفقد أمريكا الشرق الأوسط لصالح السوفييت.. كما فقدت الصين من قبل فى الخمسينيات لصالح الشيوعيين.

بعد اللقاء بعث هيلمز بمذكرة عن لقائه مع أميت أكد له فيها أن قرار إسرائيل هو أن تبدأ الحرب ضد مصر خصوصًا وأن أميت على يقين من أن عبدالناصر لن يبدأ الحرب مما يجعل انتصار إسرائيل مؤكدا وطالب أميت باستمرار أمريكا فى تزويد إسرائيل بالسلاح.. مع تقديم التأييد الدبلوماسى لها وإبعاد السوفييت عن الأزمة!!

إسرائيل.. من نشوة النصر إلى مأزق الحرب!
أين مصر.. فى هذا العالم الذى يعاد بناؤه حالياً من جديد؟!

أغلب الظن أن مصر.. ومعها دول وشعوب عربية كثيرة.. توجد بأزماتها.. أكثر مما توجد بأسباب القوة والنفوذ!!

إن خريطة العالم تتشكل.. وتتغير خطوطها من جديد فى القرن الحادى والعشرين، فقد اتضح أن نهاية الحرب الباردة.. كان فيها من الأوهام.. أكثر مما كان فيها من الحقائق.

وأكدت أحداث التاريخ دائماً أن الخريطة السياسية لكوكب الأرض.. لا تعرف الثبات والجمود.. وأنها غير قابلة للاستقرار.. فى أى عصر.. وفى أى مكان.. حتى فى قلب القارة البيضاء العجوز أوروبا. ولا يوجد ما يفرض التغيير على خطوط وحدود وخرائط الدول والشعوب.. سوى الحروب.. والثورات والانقلابات.. وأيضاً المؤامرات! فقد كانت أوكرانيا دائماً هى درة الامبراطورية الروسية.. سواء فى العصر السوفييتى.. أو فيما قبله. ولذلك حرصت الولايات المتحدة الأمريكية ودول الاتحاد الأوروبى على عزل روسيا داخل حدودها القديمة.. بإغراء أوكرانيا "بالحلم الأوروبى العظيم".

لكن الأحداث خرجت فجأة عن سيطرة جميع الأطراف.. حين حدث الانقلاب الرهيب ضد روسيا فى كييف.. وهنا لم يتردد فلاديمير بوتين فى ضم شبه جزيرة القرم إلى روسيا الاتحادية.

وهكذا تغيرت قواعد اللعبة الدولية بين القوى الكبرى فى ساعات معدودة.. ومن المؤكد أننا الآن نقف على أعتاب نظام عالمى جديد.. سوف تتراجع فيه قوى كبرى.. وتصعد قوى أخرى.

ويبدو أنه يوجد فى واشنطن من يتصورون أن الأزمة فى أوكرانيا وبذلك تخف قبضة بوتين على ملفات خطيرة فى الشرق الأوسط.. مثل الأزمة فى سوريا.. والبرنامج النووى الإيرانى.. وحتى بشائر التعاون العسكرى مع مصر!!

وهذه هى "الورقة المتوحشة" التى يلعب بها الغرب الأمريكى الأوروبى مع روسيا. وحسب التقديرات الأمريكية.. فإن ضم شبه جزيرة القرم لروسيا.. ليس إلا ضربة البداية التى قام بها بوتين.. فى مواجهة أزمة بالغة الخطورة. ولا أحد يدرى إلى أين تتجه هذه الأزمة؟! فالعالم لا يتحمل مخاطر مواجهة نووية بين أمريكا وروسيا.. وأوروبا لا تتحمل مخاطر الحرب التقليدية فى أوكرانيا.

وإذا كانت ثورة ٣٠ يونيو فى مصر قد أحبطت المخطط الأمريكى للشرق الأوسط الجديد.. "العميل" للإمبراطورية الأمريكية الأوروبية.. فإن الأزمة فى أوكرانيا سوف تكشف حدود القوة الأمريكية بالذات فى القرن الجديد، ولن يتبلور دور روسيا الجديد فى أوروبا والعالم.. إلا إذا فازت بأوراق حاسمة.. خلال الأزمة الحادة القائمة فى أوكرانيا حالياً.

لقد تصاعد الصراع العالمى بين القوى الكبرى فجأة.. بعد طول انحسار منذ سقوط الاتحاد السوفييتى السابق. وهذا يعيدنا إلى الصورة القديمة التى لا تغادر خيالنا.. للصراع العربى الإسرائيلى بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ حيث كان هذا الصراع فى جوهره.. حالة من الصدام الحاد بين القوتين الأعظم فى ذلك الوقت.. وكان العالم العربى ساحة لهذا الصراع.. وجزءاً من هذا الصراع.. الذى جرى بالحديد والنار من يونيو ١٩٦٧ وحتى أكتوبر ١٩٧٣.

نشوة النصر الزائف

ربما كان هذا جزءاً من المأساة التى ترتبت على العدوان الإسرائيلى ضد العرب فى يونيو١٩٦٧ فقد تصور الجنرال موشى ديان أنه يقود المؤسسة العسكرية الإسرائيلية إلى قلب الأراضى العربية فى القدس والضفة الغربية وسيناء وغزة والجولان.

ويبدو أن الجنرال ديان ومعه رفاقه من صقور الجنرالات قد أخذتهم نشوة النصر الزائف فى يونيو١٩٦٧ ولم يفكر أحد منهم ولو للحظة واحدة فى معنى استمرار الاحتلال الإسرائيلى للأراضى العربية.. ولو ليوم واحد فقط.. ناهيك أن يستمر هذا الاحتلال لعشرات السنين. فقد خطط ديان وجنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية للتوسع واحتلال الأراضى العربية.. وبعد ذلك لم تجد إسرائيل ما يجبرها.. أو من يجبرها على الانسحاب.. وهذه هى القصة الطويلة التى يرويها الصحفى الأمريكى باتريك تايلر فى كتابه "إسرائيل القلعة".. الذى صدر مؤخراً فى واشنطن.. ليكشف من واقع الملفات السرية الإسرائيلية والأمريكية.. قصة صعود المؤسسة العسكرية الإسرائيلية.. والدوافع والأسباب التى تدفعها دائماً للحرب والصراع.. ورفض السلام.. أو حتى التفاوض مع العرب!

الروح الصهيونية التوسعية

تضاعفت مساحة إسرائيل ثلاث مرات بعد عدوان يونيو ١٩٦٧ وتصاعدت الروح الصهيونية التوسعية فى إسرائيل.. مما دفع الجنرالات إلى الإصرار على الاستمرار فى احتلال الأراضى العربية لأطول فترة ممكنة.

وفى النهاية اندفع العرب بكل مشاعرهم نحو الحرب.. مادامت أراضيهم محتلة. فقبل حرب يونيو ١٩٦٧ بعشر سنوات فقط.. وبالتحديد خلال أزمة السويس ١٩٥٦ قال الرئيس الأمريكى إيزنهاور إن منظمة الأمم المتحدة لن تبقى ولن يكون لها وجود إذا تم السماح لإسرائيل بتغيير حدودها بالقوة المسلحة والغزو.. وإذا استمر الاحتلال الإسرائيلى لسيناء. وجه أيزنهاور تهديداً واضحاً إلى ديفيد بن جوريون.. بأنه سيتم طرد إسرائيل من الأمم المتحدة.. بكل ما ينطوى عليه من خطر سحب الاعتراف الدولى بشرعية وجود إسرائيل.

لكن بعد حرب يونيو ١٩٦٧ رفض الرئيس الأمريكى ليندون جونسون ممارسة أى ضغوط على إسرائيل لإجبارها على الانسحاب من الأراضى العربية. ومازال هذا هو موقف أمريكا إلى اليوم بعد مرور ٤٧ عاماً على هذه الحرب.

ولهذا أعلنت إسرائيل بكل وقاحة أنها لن تعيد للعرب أراضيهم المحتلة إلا بعد توقيع معاهدات سلام مع مصر وسوريا والأردن.

وجلس الجنرال موشى ديان فى مكتبه بمقر وزارة الدفاع الإسرائيلية بجوار التليفون الأحمر.. فى انتظار مكالمة من عبدالناصر.

وهكذا تحققت صيغة الشلل السياسى والدبلوماسى بين العرب وإسرائيل.

صيف المفاجآت

وحدثت سلسلة من المفاجآت المتوالية فى نهاية صيف ١٩٦٧ ففى الحادى والعشرين من أكتوبر قامت زوارق الصواريخ المصرية بإغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات أمام شواطئ بورسعيد.

وتعرضت إسرائيل للطمة عسكرية حادة.. أكدت للجنرالات فى تل أبيب أن إسرائيل انتصرت فى معركة خاصة ولكن الحرب أبعد من أن تكون قد انتهت.

وجاءت المفاجأة الدبلوماسية فى نوفمبر ١٩٦٧ حين انعقدت القمة العربية الشهيرة فى الخرطوم.. وصدرت عنها اللاءات العربية الثلاث الشهيرة.. لا صلح ولا اعتراف ولا تفاوض مع إسرائيل.

قرار مع وقف التنفيذ

فى هذا الوقت اتضح أن العالم قد تغير تماماً، كما يحدث الآن.. وصدر قرار مجلس الأمن الدولى ٢٤٢ الذى نص على عدم جواز الاستيلاء على أراضى الغير بالحرب.. وطلب من إسرائيل الانسحاب من الأراضى العربية التى احتلتها فى النزاع الأخير.

وكان طبيعياً أن تظهر فى إسرائيل حركة صهيونية جديدة تدعو إلى إقامة إسرائيل الكبرى.. بما يعنى أن يتم ضم الأراضى المحتلة إلى إسرائيل.. وهكذا تأكدت من جديد الروح العسكرية داخل المجتمع الإسرائيلى.. الذى أصبح على اقتناع تام بأن الحل العسكرى والحرب والغزو.. هو الأفضل لصالح إسرائيل دائماً.

وأصبحت هذه هى السياسة القومية السائدة فى تل أبيب.. وتزايد إحساس الرأى العام الصهيونى بأن احتلال الأراضى العربية ضرورى من أجل إقامة إسرائيل الكبرى فى حدودها التوراتية.

وارتفعت أصوات صقور الجنرالات فى إسرائيل.. ووقف الجنرال إريل شارون أمام الصحفيين ليعلن أن الحدود الجديدة التى وصلت إليها قوات جيش الدفاع الإسرائيلى ليست هى حدود السلام.. لكنها الحدود التى تمنع الحرب. فقد أصبحت إسرائيل اليوم فى وضع مثالى.

هجرة الصقور

وهكذا أصبح للجنرالات صوت حاسم فى عملية صنع القرار السياسى فى إسرائيل، وبدأت الهجرة الجماعية لصقور الجنرالات فى إسرائيل من صفوف الجيش إلى الحياة السياسية العامة. فقد أنهى الجنرال إسحاق رابين رئيس الأركان الإسرائيلى فى حرب يونيو فترة خدمته فى منصبه.. وتوجه بعدها فى صفاقة مطلقة إلى مكتب رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى إشكول.. وطلب منه ضرورة إصدار قرار يقضى بتعيينه سفيراً لإسرائيل فى واشنطن.. وتم له ما أراد، وتولى من بعده الجنرال حاييم بارليف منصب رئيس الأركان الإسرائيلى.. وهو من مواليد العاصمة النمساوية.. فيينا.

وبدأ إشكول يشعر بالخوف من أن ديان يريد أن يقيم فى الأراضى العربية المحتلة إمبراطورية خاضعة للجيش الإسرائيلى.

وشاركت وسائل الإعلام والصحافة الأمريكية والأوروبية فى عملية التضليل

الواسعة لصالح إسرائيل وغزواتها.. ولم تعد تتحدث عن القدس والضفة الغربية وغزة وسيناء والجولان باعتبارها أراضى محتلة!

ومن البداية.. ظهرت المقاومة الفلسطينية للاحتلال الإسرائيلى.. وقام ياسر عرفات بنقل مقر حركة المقاومة الفلسطينية فتح من دمشق إلى الضفة الغربية.. لبدء الكفاح المسلح ضد الاحتلال الإسرائيلى.

بزوغ نجم عرفات

وحين ظهر اسم عرفات بقوة على سطح الأحداث.. خططت أجهزة المخابرات الإسرائيلية للتخلص منه سواء بالقتل.. أو بالأسر. وحين تصاعدت عمليات المقاومة الفلسطينية ضد قوات الاحتلال الإسرائيلى.. قام الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى بحشد قوة مدرعة كبرى تضم أكثر من مئة دبابة والعشرات من قطع المدفعية الثقيلة لتدمير قاعدة المقاومة الفلسطينية فى قرية الكرامة الأردنية على الضفة الشرقية لنهر الأردن.

وانتهت المعركة بفشل عسكرى كبير لقوة الهجوم الإسرائيلية التى خسرت أكثر من ٣٠ دبابة وعشرات القتلى والجرحى.

وكان طبيعياً بعد نجاح ياسر عرفات فى معركة "الكرامة" ضد القوات الإسرائيلية أن يتلقى دعوة من الرئيس جمال عبدالناصر لزيارة القاهرة.. حيث اصطحبه معه بعدها فى طائرته الخاصة خلال زيارته لموسكو.

ضربات المدفعية أذهلت إشكول

وفى سبتمبر ١٩٦٨ فتحت المدفعية المصرية نيرانها فجأة على طول جبهة قناة السويس ضد القوات الإسرائيلية.. فى ضربة عسكرية مفاجئة أذهلت رئيس الوزراء الإسرائيلى ليفى إشكول.. وهو يقاوم السرطان فى أيامه الأخيرة.

وبالفعل قام الإسرائيليون باستدعاء جولدا مائير من سويسرا.. حيث كانت فى رحلة علاجية هى الأخرى.. لكنها عادت لرئاسة الوزارة فى إسرائيل بعد وفاة إشكول.. وبذلك فشل ديان فى القفز على كرسى إشكول الخالى.

وفى واشنطن.. أجريت انتخابات الرئاسة الأمريكية فى نوفمبر ١٩٦٨ وفاز فيها الرئيس ريتشارد نيكسون.. الذى دعا خلال حملته الانتخابية إلى ضرورة أن تقوم أمريكا بتزويد إسرائيل بالسلاح.. بما يضمن لها التفوق العسكرى الدائم على جميع الدول العربية.

فى الماضى.. كان كل رؤساء أمريكا يقدمون ضمانات لأمن إسرائيل من خلال قوة الأسطول السادس الأمريكى فى شرقى البحر المتوسط.

الفانتوم فى السماء

لكن نيكسون.. كان أول رئيس أمريكى يبادر بتزويد إسرائيل بكميات هائلة من الأسلحة والطائرات الأمريكية.. حتى تحولت لقوة كبرى فى الشرق الأوسط.. تنظر باحتقار تام للدبلوماسية والتفاوض.. وترفض السلام.

وصدرت أول قرارات نيكسون فى البيت الأبيض.. بتزويد إسرائيل بخمسين طائرة مقاتلة ثقيلة بعيدة المدى من طراز فانتوم إف ٤ على أن يتم التسليم فى ١٩٦٩.

وتؤكد الملفات الإسرائيلية أن الرئيس الأمريكى جونسون خرج من البيت الأبيض وهو لا يعلم أن إسرائيل قد أصبحت قوة نووية فعلاً.. ومن بعده جاء نيكسون الذى لم يضع الملف النووى الإسرائيلى على جدول أعماله أبداً.

وتولت جولدا مائير رئاسة الوزارة فى إسرائيل وهى فى الحادية والسبعين من العمر.. وكانت مريضة أيضاً مثل إشكول.. وكانت امرأة ذات أفق صهيونى واسع.. تعلم من البداية أن السلطة الحقيقية فى إسرائيل فى أيدى جنرالات المؤسسة العسكرية بقيادة موشى ديان.

ومع ذلك لم يمض وقت طويل.. حتى تبددت أوراق النصر الإسرائيلى الزائف فى يونيو ١٩٦٧ وبدأ الجنرالات يدركون أن العرب لم ينهزموا فى الحرب.. والأهم من ذلك أن موقف الزعيم جمال عبدالناصر قد ازداد قوة.. خصوصًا بعد وقوف الملايين من المصريين والعرب خلف قيادته.

كما أن الأسلحة السوفيتية بدأت تتدفق بكثافة على مصر وسوريا. واكتشفت إسرائيل أن عدوان يونيو ١٩٦٧ لم يكن سوى معركة عابرة فى حرب طويلة لم تنته بعد مع العرب.

واعترف الجنرالات فى تل أبيب بأن إسرائيل تتعرض لحرب شاملة.. وأنها ستبقى فى حالة حرب ما لم تتمكن من إسقاط جمال عبدالناصر.. سواء بالقتل أو بأى وسيلة أخرى.

تدمير خط بارليف

فى ذلك الوقت كان القناصة من الجنود المصريين يقومون باصطياد رءوس الجنود الإسرائيليين بمجرد ظهورهم بين دشم وتحصينات خط بارليف على الشاطئ الشرقى للقناة.

وفى أوائل ١٩٦٩ بدأت مصر حرب استنزاف طويلة ضد القوات الإسرائيلية على شاطئ القناة.. وبدأت الحرب حين أطلقت المدفعية المصرية أكبر ستارة من النيران فى تاريخ الصراع العربى الإسرائيلى.. مما أدى إلى دمار واسع فى حصون ودشم خط بارليف، وبمرور الوقت أصبحت ضربات المدفعية المصرية.. مثل الخبز اليومى الذى ينهال بالموت والدمار على المواقع الإسرائيلية. وخلال أيام لقى أكثر من ثلاثين جندياً إسرائيلياً مصرعهم وأصيب مئات آخرون.

وهنا أدرك الجنرالات فى إسرائيل أنه لم يعد أمامهم أى اختيار.. إما النصر فى حرب الاستنزاف التى أعلنها عبدالناصر أو القيام بالانسحاب من سيناء. وهنا تدخل الجنرال القديم إسحاق رابين من موقعه كسفير لإسرائيل فى واشنطن.. خصوصًا بعد أن تمكن من إقامة علاقة تقارب مع الرئيس الأمريكى نيكسون.. الذى فتح أمامه أبواب البيت الأبيض.. ليتعرف على الذئب الأمريكى الأكبر.. الدكتور هنرى كيسنجر.. وهو يهودى ألمانى أصلاً.. يرتبط بعلاقة حب عميق تجاه إسرائيل.

بين نيكسون وكيسنجر

واتفق نيكسون مع مستشاره للأمن القومى كيسنجر فى أن إسرائيل تمثل رصيداً استراتيجياً للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط، ومن هنا بدأت شحنات الأسلحة الأمريكية إلى إسرائيل تزداد كثافة.. لضمان التفوق النوعى لإسرائيل على مصر والدول العربية.

وحدث توافق من نوع غريب بين كيسنجر ورابين.. فقد كان رابين يريد تدمير جمال عبدالناصر.. وكان كيسنجر يريد توسيع دور إسرائيل باعتبارها حليفاً لأمريكا فى الشرق الأوسط.

وبدأت رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير تتلقى برقيات خطيرة من سفيرها فى واشنطن إسحاق رابين.. يؤكد لها فيها أن العمليات العسكرية الإسرائيلية ضد مصر تشكل الهواء النقى الوحيد.. الذى تتنفسه فى واشنطن إدارة نيكسون كيسنجر. وقال رابين إن أمريكا تنظر باهتمام إلى إمكانية تصعيد العمليات والاعتداءات الإسرائيلية ضد مصر.. بهدف تقويض نظام جمال عبدالناصر وإسقاطه.

وذات مرة قال رابين فى برقياته إلى جولدا مائير.. إن بعض الدوائر الأمريكية تفكر فى إمكانية قيام إسرائيل بعملية هجومية واسعة ضد مصر.. وأضاف أن

رغبة واشنطن فى إمداد إسرائيل بالطائرات الحديثة تعتمد على قيام إسرائيل بالتصعيد العسكرى ضد مصر.

وفى واشنطن.. شارك كيسنجر بدوره فى تقارير السوء.. وكتب مذكرة إلى الرئيس نيكسون يقول فيها.. إن سقوط عبدالناصر تحت ضغط التصعيد العسكرى الإسرائيلى يبدو مفيداً.. فلن يكون خليفة عبدالناصر أسوأ منه بالنسبة لأمريكا وإسرائيل، ولن تتوفر لخليفته مهما كان شخصه.. كاريزما الزعامة التى يتمتع بها عبدالناصر فى مصر والعالم العربى.

ولم تتردد كلمة واحدة فى برقيات رابين وكيسنجر عن السلام.. أو استراتيجية إسرائيلية لصنع السلام.

كيف نجح عبدالناصر فى تغيير موازين القوى مع إسرائيل؟

احـتـرقت أيدى صـانـع القـرار الأمـريكى بنيـران الحـرب والغـزو فـى العـراق وأفغانستان.. ويبدو أن قرارًا سريًا قد صدر فى واشنطن بألا تعيد الولايات المتحدة الأمريكية التجربة مرة أخرى.. وأن تمتنع تماماً عن الدخول فى أى مغامرة غير محسوبة للتدخل العسكرى فى الشرق الأوسط.. هل أدركنا الآن.. لماذا تراجع الرئيس الأمريكى أوباما فى اللحظة الأخيرة.. ورفض ضرب سوريا؟!

العجيب أن يحدث ذلك الآن.. رغم أنه لاحت تصورات من نار فى واشنطن بعد سقوط بغداد فى٢٠٠٣ تقول ولماذا لا.. إن أمريكا يمكن أن تلجأ لاحتلال سوريا وإيران.. وربما السعودية ومصر!!

تغيرت اليوم الاستراتيجية الأمريكية.. واستبدلت التدخل العسكرى المباشر بالعمل السرى وبالمؤامرات ومخططات التلاعب بأقدار الشعوب العربية.. وهذا هو ما يعترفون به علناً فى واشنطن حالياً .. ويبدو أن المؤامرة على مصر والبلاد العربية كبيرة جداً.. ومتعددة الأطراف الأمريكية والأوروبية.. والمؤامرة قديمة جدا أيضاً.. فلم يحدث من قبل فى التاريخ أن جرى تفتيت وتمزيق العرب بأموال العرب.. وبأسلحة العرب كما يحدث اليوم والغريب وربما ما يثير الصدمة والغصة أن تتعرض النظم العربية للسقوط.. باسم الديمقراطية والحرية فى مؤامرة واسعة ومتشعبة.. جرى التخطيط لها جيدا فى واشنطن وبروكسل ولندن وباريس!

ربما لم تكن النظم السياسية فى مصر وتونس وليبيا نظماً مثالية.. وربما كان النظام فى القاهرة آيلاً للسقوط.. لكن العجيب أن تسقط النظم.. دون أن يظهر لها بديل سوى الفوضى والعنف والإرهاب والحرب الأهلية.. وامتد فراغ السلطة فى العالم العربى من بغداد حتى دمشق وليبيا وتونس واليمن ومازالت القاهرة تقاوم بقوة وشراسة فى وجه عدو إرهابى.. لا يعرف الرحمة.

نعم.. تتعرض مصر لمؤامرة إرهابية وحشية.. تسعى لتقويض أركان الدولة بهدف منع مصر من الصعود مرة أخرى على قمة المسرح السياسى فى الشرق الأوسط والعالم العربى ويدرك صناع المؤامرة جيدا أنه لو نجحت مصر.. فسوف تنجح كل الشعوب العربية فى الوقوف على أقدامها من جديد.. من هنا تأتى شراسة المؤامرة الإرهابية ضد مصر.

ويحاولون فى واشنطن أن يقرأوا كف المستقبل.. من الآن وحتى السنوات العشر المقبلة.. خصوصًا بعد سقوط محمد مرسى ونظام الإخوان العميل فى مصر.. واكتشف صانع القرار الأمريكى أن الوضع الحالى فى مصر بعد ثورة ٣٠ يونيو٢٠١٣ لا يبعث الطمأنينة فى قلب واشنطن وتل أبيب.. ويعترفون بوضوح بأن مصر خرجت من كارثة الهزيمة فى يونيو ١٩٦٧ لتتحول إلى وحش كاسر وقوة عسكرية كبرى عالية الكفاءة والقدرة فى حرب أكتوبر ١٩٧٣ .

ضعف الجيران

وبالحسابات الأمريكية الدقيقة يقولون إن إسرائيل دولة صغيرة وقوة ضعيفة.. لكن قوة إسرائيل العسكرية تبدو مضاعفة.. مقارنة بضعف كل جيرانها العرب ولكن ضعف الجيران ليس ظاهرة أبدية!

إن أحدًا لا يدرى ماذا يمكن أن يحدث من الآن.. وحتى عشر سنوات مقبلة.. لكن معطيات الحاضر تؤكد أن إسرائيل أصبحت فى وضع استراتيجى مثالى بعد ثلاث سنوات من انفجارات وتقلبات الربيع العربى ومازالت اتفاقية السلام مع مصر قائمة.. وسوريا فى حالة حرب أهلية تبدو بلا نهاية.. وغير قابلة للحل.. عمداً وعن قصد!!

ربما تعرضت إسرائيل لتهديد إرهابى من نوع ما.. لكن وجودها لا يتعرض لأى خطر أو تهديد استراتيجى.. ولا حتى من البرنامج النووى الإيرانى الوهمى!! لا يوجد حتى ما يدفع إسرائيل للسلام مع الفلسطينيين.

وفى هذا الكتاب "إسرائيل القلعة" يكشف الصحفى الأمريكى باتريك تايلر حجم المؤامرة الإسرائيلية - الأمريكية ضد مصر بالوثائق ومن واقع الملفات الإسرائيلية والأمريكية.. وكان العدوان الإسرائيلى فى يونيو١٩٦٧ هو قمة المؤامرة.. فقال الجنرال موشى ديان أمام مجلس الوزراء الإسرائيلى برئاسة ليفى إشكول: إن إسرائيل تشترى بالحرب عشر سنوات من الأمن!! وبعد أيام قليلة من الحرب والعدوان.. تبددت نشوة النصر والحرب فى إسرائيل خصوصًا

بعد إغراق المدمرة الإسرائيلية إيلات وبعد تصاعد ضربات المدفعية المصرية الثقيلة على جبهة قناة السويس.

خط بارليف

وفى مواجهة خطر القوة العسكرية لمصر.. وقرار الرئيس جمال عبدالناصر ببدء حرب استنزاف ضد الاحتلال الإسرائيلى لسيناء.. قررت هيئة الأركان الإسرائيلية بقيادة الجنرال حاييم بارليف إقامة خط تحصينات بالخرسانة المسلحة على طول جبهة القناة بامتداد ١٨٠ كيلو متراً تقريباً.

وقد رفضت السيدة جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل اقتراح الجنرال إريل شارون.. الذى طلب ضرورة أن تنسحب إسرائيل لمسافة عدة كيلو مترات فى عمق سيناء.. بعيدًا عن مدى نيران المدفعية المصرية الثقيلة.. وفى مقابل ذلك تقوم إسرائيل بالدفاع عن خط الجبهة الأمامى بقوة متحركة من الدبابات والمشاة تحت غطاء جوى كثيف من المقاتلات والقاذفات الإسرائيلية.

رفضت جولدا مائير اقتراح الجنرال شارون.. وقالت إن انسحاب القوات الإسرائيلية من خط القناة.. سوف ينطوى على تنازل سياسى كبير فى مواجهة الرئيس جمال عبدالناصر.. كما أنه ينطوى على تنازل عن أراض ومواقع احتلتها إسرائيل بالقوة ورفضت تقديم تنازلات سياسية أو عسكرية فى مواجهة جمال عبدالناصر الذى تمكن من إعادة بناء قواته المسلحة بسرعة أذهلت الإسرائيليين والأمريكيين.

ويقول الصحفى الأمريكى باتريك تايلر: إن المؤسسة العسكرية بقيادة الجنرال موشى ديان فى تل أبيب بدأت تدرك سريعاً أن إسرائيل لم تهزم العرب.. ولم تهزم جمال عبدالناصر والأهم من ذلك كله.. هو القدرة الفذة للقوات المسلحة المصرية على الاستيعاب السريع لشحنات السلاح السوفييتى التى تتدفق بكثافة على مصر وسوريا.

واعترف صقور الجنرالات فى تل أبيب خلال اجتماعاتهم مع موشى ديان بأن معارك يونيو ١٩٦٧ لم تؤد لسقوط عبدالناصر كما تصورنا.. ولم يبق أمام إسرائيل سوى السعى لتدمير جمال عبدالناصر بوسائل أخرى.. إضافة للحرب والهزيمة العسكرية!!

سلام روجرز

وحين طرح وزير الخارجية الأمريكى الأسبق ويليام روجرز مبادرة للسلام تقوم على أساس التوصل إلى تسوية سلمية بين العرب وإسرائيل تقوم على قرار مجلس الأمن الدولى رقم ٢٤٢ والانسحاب الإسرائيلى إلى خطوط يونيو١٩٦٧ شعرت إسرائيل بالصدمة وتوجه الجنرال إسحاق رابين السفير الإسرائيلى فى واشنطن إلى تل أبيب على جناح السرعة.. وخلال اجتماع عاجل للحكومة الإسرائيلية برئاسة جولدا مائير.. اقترح رابين ضرورة أن تقوم إسرائيل بعملية تصعيد عسكرى واسعة ضد مصر.. تستغل إسرائيل فيها المدى البعيد لطائرات الفانتوم فى القيام بغارات جوية فى عمق الأراضى المصرية ضد الأهداف العسكرية والمدنية على السواء.

غارات الفانتوم

وبدأت إسرائيل غارات العمق ضد مصر فى السابع من يناير ١٩٧٠ وعلى مدى ثلاثة آلاف طلعة جوية و٣٤ غارة رئيسية ألقت الطائرات الإسرائيلية ثمانية آلاف طن من القنابل والصواريخ ضد الأهداف العسكرية والمدنية وبعد مصرع أطفال مدرسة بحر البقر وعمال مصنع أبوزعبل شعر جمال عبدالناصر بمرارة هائلة من الموقف الأمريكى وقرر على الفور التوجه إلى موسكو فى زيارة سرية للقاء الزعيم السوفييتى ليونيد بريجنيف بالتحديد يوم ٢ فبراير ١٩٧٠.

ومنذ اللحظة الأولى خلال لقائه بالزعيم السوفييتى بريجنيف.. قال له جمال عبدالناصر: إننى لن أسمح بأن يتعرض الجيش المصرى للدمار.. وإذا لم يتصرف الاتحاد السوفييتى بحسم فإننى سوف أعلن استقالتى فى القاهرة لأقوم بتسليم السلطة لأى رئيس آخر ينحاز لأمريكا.

وخلال اجتماع عاجل للمكتب السياسى للحزب الشيوعى السوفييتى اتخذ بريجنيف قراراً تاريخياً بتزويد مصر بنظام شامل ومتكامل من صواريخ الدفاع الجوى بالإضافة إلى ١٥٠ طائرة متقدمة جديدة وتردد بعدها أن الطائرات الجديدة كانت من طراز ميج ٢٣ وسوخوى ١٧ وحين وصلت الأسلحة السوفييتية الجديدة إلى ميناء الإسكندرية فى وضح النهار ومعها الآلاف من المستشارين والخبراء السوفييت شعرت القيادة الإسرائيلية بصدمة قاسية.

خطة رابين الفاشلة

وشعر إسحاق رابين بأن خطته لإسقاط عبدالناصر قد فشلت تماماً.. ومع ذلك لم يتراجع وطلب من الكونجرس الأمريكى سرعة الموافقة على تزويد إسرائيل بخمسين طائرة أخرى من طراز فانتوم - إن ٤ وقال رابين للرئيس الأمريكى نيكسون: سيدى الرئيس إن رفض تزويد إسرائيل بهذه الطائرة.. سوف يكون مؤشر ضعف أمام السوفييت.

ويقول باتريك تايلر إن شحنات الأسلحة السوفيتية الجديدة لمصر ظهر تأثيرها سريعًا فى المعارك الدائرة على جبهة القناة وأسقطت الصواريخ المصرية ست طائرات فانتوم إسرائيلية خلال ثلاثة أيام وأسرت القوات المصرية ثلاثة من الطيارين الإسرائيليين.

الخوف من صواريخ سام

وفى أبريل ١٩٧٠ اضطرت إسرائيل مرغمة إلى وقف غارات العمق داخل الأراضى المصرية.. خوفا من صواريخ سام الجديدة.. وخوفاً من طائرات الميج التى بدأت التدخل فى المعارك الجوية بجرأة وتدهورت معنويات رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير خصوصًا بعد أن تلقت رسالة نشرتها الصحف الإسرائيلية من شباب المدارس العليا فى إسرائيل يرفضون الخدمة فى الجيش الإسرائيلى وهو يواجه حرب استنزاف طويلة المدى ضد القوات المصرية فى جبهة القناة.

وتعرضت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية ذاتها لصدمة كبرى لأن الجيل القادم فى إسرائيل تساوره الشكوك فى كل شىء.. لأن نصر يونيو ١٩٦٧ الزائف.. جاء لإسرائيل بالحرب والمعارك المتصاعدة ولم يأت بالأمن كما كان يحلم الجنرال موشى ديان وزير الدفاع الإسرائيلى فى ذلك الوقت.

ويقول باتريك تايلر إن جمال عبدالناصر نجح فى تغيير موازين القوى فى الشرق الأوسط بعد زيارته السرية لموسكو والتى حصلت مصر بعدها على شحنات الأسلحة المتقدمة التى لم يسبق لها مثيل فى مسرح عمليات الشرق الأوسط وبعد السقوط السريع لطائرات الفانتوم على جبهة القناة سارع الرئيس الأمريكى نيكسون بإيفاد وزير خارجيته ويليام روجرز للقاء الرئيس عبدالناصر فى القاهرة وعرض تفاصيل مبادرته للسلام التى تدعو لوقف إطلاق النار بين مصر وإسرائيل والتفاوض بوساطة أمريكية لتطبيق قرار مجلس الأمن الذى يدعو لانسحاب إسرائيل من الأراضى المحتلة.

وقف النار

وبالفعل بدأ تنفيذ المبادرة الأمريكية بعد أسابيع وبدأ تطبيق وقف إطلاق النار فى جبهة القناة فى منتصف ليلة ١٨ أغسطس ١٩٧٠ وفى ليلة وقف إطلاق النار المشهودة أصدر جمال عبدالناصر أوامره باستغلال الساعات الأولى لوقف إطلاق النار فى تحريك ونقل شبكة صواريخ سام إلى مواقع جديدة على طول جبهة القناة من بورسعيد وحتى السويس وحين ظهرت طائرات الاستطلاع الإسرائيلية فى السماء عند ساعات النهار الأولى أصيب الطيارون الإسرائيليون بالذهول ورفضوا الاقتراب من شاطئ القناة بعد الانتشار الكثيف لصواريخ سام على الجبهة واعترف جنرالات إسرائيل بأن جمال عبدالناصر نجح مرة أخرى فى تغيير موازين القوى فى جبهة القناة بخطوة واحدة.. وبصورة حاسمة كانت المقدمة الرهيبة التى أقامت مصر بناء عليها خطة اقتحام وعبور قناة السويس فى أكتوبر ١٩٧٣

وفى الحساب الختامى اعترف جنرالات إسرائيل بأن حرب الاستنزاف انتهت بانتصار مصرى واضح.. خصوصًا وأن إسرائيل لم تعد قادرة على السماح لطائراتها بالاقتراب من قناة السويس.. كما أن خسائر إسرائيل فى معارك حرب الاستنزاف بلغت نحو ٧٠٠ قتيل وآلالاف الجرحى.

عبدالناصر.. وداعاً

لكن الرئيس جمال عبدالناصر توفى فجأة فى ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ بعد إصابته بأزمة قلبية حادة وبعد انتهاء القمة العربية التى عقدها فى القاهرة لوقف نزيف الدم بين الجيش الأردنى والمقاومة الفلسطينية وهى أحداث أيلول الأسود.

وهكذا مات أكبر أعداء إسرائيل وصمت صوت العرب فى الإطاحة به والتخلص منه بالحرب والوسائل العسكرية.. استسلم عبدالناصر للموت وأسلم الروح إلى بارئه.. بعد أن ضعف قلبه بسبب أعراض السكر الجسيم الذى كان يعانى منه.. وبسبب الإسراف فى التدخين وبسبب مشاعر القلق والتوتر الحاد التى تعرض لها وهو يقود مصر.

مأساة وفاة جمال

وحقا كانت وفاة عبدالناصر مأساة كبرى بالنسبة للمصريين لكن المأساة التى تعرضت لها إسرائيل كانت أكبر ولم تدرك إسرائيل أبعاد الكارثة التى تعرضت لها إلا حين تفجرت معارك حرب أكتوبر ١٩٧٣ فقد أدى غياب عبدالناصر عن

مسـرح الأحـداث بالوفـاة إلى فـتح صـفـحـة جـديـدة فى تاريخ الصـراع العـربى الإسـرائيلى.. فـقـد لاحت فـى الأفق خطوة اسـتـراتيـجـيـة للسـلام بين العـرب وإسـرائيل بعـد غيـاب عـبـدالناصـر.. لكن جولدا مـائيـر رئيـسـة وزراء إسـرائيل رفضت انتهاز فـرصـة وفـاة عبـدالناصر للتوصل للسلام مع العـرب.. ولن نتـحدث عن شـبـهـة المؤامـرة فـى وفـاة عـبـدالناصـر.. التى جـاءت فى توقـيت غـريب.. بعـد نجاحـها فـى تغيير مـوازين القوى على جبهة القنـاة وبالفعل بعد وفـاة عبـدالناصر قامت رئيسة الوزراء الإسرائيلية جولدا مائير بضغوط رهيبة على إدارة الرئيس الأمريكى نيكسون حتى أعلنت أن مبادرة روجرز للسلام قد ماتت.

وبدأ إسـحـاق رابين مسـاعـيـه لدفـع الرئيس نيكسـون لتـزويد إسـرائيل بالمزيد من الطائرات والأسلحـة خـصوصًا طائرات الفـانتوم وسكاى هوك وبدأ ديان يخطط لإقـامـة المسـتـوطنـات فى الضـفـة الغـربيـة لأول مـرة.. بل وبدأ مـشـروع إقـامـة مستوطنة ياميت على البحر المتوسط شرقى العريش.

مبدأ الحرب

وتزايد اقتناع صقور الجنرالات فى إسـرائيل بمبدأ الحـرب والصـراع مع العـرب باعـتبـارهـا الوسيلة الوحيدة للتعـايش مع العـرب وأدلت جولدا مـائيـر بحـديث لصحيفة صنداى تايمز البريطانية أعلنت أن الشعب الفلسطينى ليس له وجود.. ولم يكن له وجود!

وفى هذه الأثناء تلقى هنرى كيسنجر مستشار الرئيس الأمريكى للأمن القومى تقريراً من المخابرات المركزية الأمريكية يؤكد أن إسرائيل قد أصبحت قوة نووية بعـد أن أصـبح لديهـا فى أواخـر ١٩٧٠ نحـو ١٢ قنبلة ذرية يمكن أن تحـملهـا صواريخ أريحـا بعـيـدة المدى إلى داخل المدن المصرية والسـورية وبعـد أن توفـرت الأسلحـة والطائرات الأمـريكية لإسـرائيل بصورة كثيفـة.. توفـرت أيضا الأسلحـة النووية مما جعل إسرائيل جولدا مائير تشعر بأنها دولة لا تقهر.

القمة الفارغة

وشعرت إسـرائيل أن العـرب فقدوا القدرة على الحرب بوفاة جمـال عبدالناصـر.. وتردد فى تل أبيب وواشنطن أن مبادرة روجرز كانت موجهة لعبدالناصر باعتباره الزعـيم القـادر على الفـعل والذى سـعى بكل قـوة إلى تغـيـيـر مـوازين القـوى بين مصر وإسرائيل وتمكن من الحصول على أكبر شبكة لصواريخ الدفاع الجوى فى العالم.

وحسب التقديرات الإسرائيلية.. فإن غياب عبدالناصر ترك فراغاً هائلاً فى قمة صنع القرار السياسى فى مصر والعالم العربى وبدعم من السفير الإسرائيلى فى واشنطن نجح هنرى كيسنجر ليس فقط فى إحباط مبادرة روجرز ولكن فى الإطاحة بروجرز شخصياً الذى خرج من إدارة نيكسون وتولى كيسنجر منصب وزير الخارجية بدلاً منه وجرى اغتيال روجرز معنوياً وسياسياً فى واشنطن وتل أبيب.

وتوجه الملياردير الأمريكى ديفيد روكفلر لزيارة إسرائيل خلال النصف الثانى من عام ١٩٧١ وكان يشعر بالدهشة من تصريحات الرئيس الراحل أنور السادات المتكررة بأن عام ١٩٧١ هو عام الحسم سلماً أو حرباً بين مصر وإسرائيل.

وكان روكفلر من الأصدقاء المقربين من الرئيس نيكسون لكنه كان أيضاً أول من اكتشف موهبة الشاب اليهودى هنرى كيسنجر الذى كان جنديًا بسيطًا فى الجيش الأمريكى بعد الحرب العالمية الثانية وقد فتح روكفلر الأبواب واسعة أمام كيسنجر ليستكمل تعليمه فى جامعة هارفارد حتى حصل على درجة الدكتوراة بتفوق من قسم التاريخ فى هارفارد.

من روكفلر.. للسادات

وفى إسرائيل تساءل روكفلر: هل السادات جاد فى تهديداته بأن عام ١٩٧١ هو عام الحسم.. أم أنها مجرد خدعة منه لإسرائيل ولاستهلاك غضب الرأى العام فى مصر؟ وكان السادات قد بعث بإشارات عديدة لإسرائيل عبر القنوات السرية الأمريكية - المخابرات الأمريكية - يؤكد فيها رغبته فى السلام مع إسرائيل ورفضت جولدا مائير المبادرة التى طرحها السادات فى ١٩٧١ وقالت إن إسرائيل لن تنسحب إلى حدود يونيو ١٩٦٧ مرة أخرى.

تتلاحق الأحداث وتتصاعد أمامنا ومن حولنا.. حتى أصبحت مصر والشعوب العربية فى قلب عاصفة عالمية شديدة تهز أركان الدول من الداخل.. وتحطم القيم والأسس التى تقوم عليها المجتمعات.. لا شك فى أنه نوع جديد من الصراع العالمى الحاد والساخن.. وتبدو المشاهد والصور القادمة من كييف واضحة صارخة.. تكشف كيف تحولت دولة مثل أوكرانيا إلى ساحة مفتوحة للصراع بين روسيا والشعوب السلافية من جهة.. وأوروبا والولايات المتحدة من جهة أخرى.. وقد لا تعطينا الأحداث الساخنة المتلاحقة فرصة.. حتى لنأخذ أنفاسنا فى شىء من الهدوء.. لنقرأ خريطة الحاضر بصورة صحيحة.. أو لنراجع دروس ما قد مضى وفات من تاريخنا القديم والحديث ولن نبالغ كثيرًا إذا اعترفنا بأن حاضر الدول والشعوب العربية يتبدد من بين أيدينا كما أن الأمل فى أى مستقبل يبدو اليوم بعيد المنال.. إذا لم نتماسك ونلتزم برباطة الجأش والأطماع فى الواقع الجغرافى وفى الثروات الطبيعية لمصر والدول العربية لا تعرف الرحمة.. والضربات منا استباقية.. ودائمًا تحت الحزام ويبدو أن الولايات المتحدة وحلفاءها فى أوروبا يريدون حسم الصراع العالمى لصالحهم سريعا فى أوائل القرن الحادى والعشرين سواء هنا فى الشرق الأوسط.. أو هناك فى أقصى شرق أوروبا فى أوكرانيا.. حتى يتم التفرغ للحلقة القادمة من الصراع العالمى فى أقصى جنوب شرق آسيا مع الدين.. وأصبح واضحا اليوم أن تمويل مؤسسات المجتمع المدنى وجمعيات حقوق الإنسان والحريات العامة.. هو السلاح الأمريكى الأوروبى "العبقرى" الذى يستخدم الآن لهزيمة الدول من الداخل.. وإسقاط الحكومات ونشر الفوضى وإثارة الصراعات العرقية والدينية لتقسيم الدول والشعوب باسم الحريات وحقوق الإنسان!!

لم يعد هناك حدود أو عوائق تمنع الأجهزة السرية للدول الكبرى وإسرائيل من اختراق الدول والمجتمعات ودخلنا فى عصر جديد للجاسوسية المفتوحة سواء

بأحدث تكنولوجيا المعلومات أو عن طريق الشبكات البشرية الموجودة على الأرض وكم منا من جواسيس وهم لا يعلمون.. وقلوبهم مطمئنة لوجودهم فى جمعيات المرأة وحقوق الإنسان!! وليس فى هذا اتهام لأحد ولكنها مخاوف فى عصر تتعرض فيه الأوطان لعواصف عاتية من الحصار بهدف الاستسلام التام للهيمنة الأمريكية والأوروبية وأصبحت إسرائيل هى السيف الحاد لأمريكا وأوروبا فى هذا الجزء من العالم.

وبدءًا من العام القادم وبالتحديد خلال النصف الثانى من ٢٠١٥ سوف يبدأ الطيارون الإسرائيليون تدريباتهم على الجيل الخامس من الطائرات المقاتلة الخفية الأمريكية من طراز إف - ٣٥ المزودة بأحدث تكنولوجيا لخداع أجهزة الرادار وخداع الطائرات المعادية بالإضافة إلى أحدث صواريخ وأسلحة المعارك الجوية والهجوم الأرضى وأصبحت إسرائيل فى سباق التسلح الاقليمى بالشرق الأوسط.. تحلق بعيدًا وحيدة.. منفردة بالتفوق العسكرى الذى لم يسبق له مثيل "بالسلاح وليس بالسلام".

ومن سخريات القدر أن تقوم إسرائيل فوق أرض فلسطين بالحرب وبالمؤامرات العالمية.. ومازالت إسرائيل تعتمد فى وجودها على قوة السلاح التى لا تقهر.. سواء أحدث الأسلحة التقليدية أم الترسانة النووية التى لا مثيل لها إلا لدى فرنسا والصين مثلا.

وحتى فى عصر السلام والدعوة إلى التعايش السلمى.. مازالت إسرائيل تلجأ للقيام بأقذر العمليات السرية والمخابراتية ضد جيرانها.. أو من تتصور أنهم أعداء لها ويعترفون فى أمريكا وأوروبا بأن أحدًا لا يسلم من العمليات الإسرائيلية وليس من تقاليد السلام أن يمنع التجسس والعمليات السرية القذرة ومن المدهش أن تتجسس إسرائيل حتى على أمريكا وعلى مشروعات أمريكا السرية لإنتاج الأجيال الجديدة من الصواريخ والقنابل النووية!!

ويضحك الأمريكيون فى سخرية لا تخفى على أحد.. وهم يرون العرب مقبلين على موائد مفاوضات السلام برغبة وإرادة حقيقية ومخلصة فى حين أن إسرائيل لا تريد السلام.. ولا وجود لبند اسمه "السلام" فى جدول أعمال الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة.. ببساطة لأن السلام لا يخدم مصالح إسرائيل ورغبتها فى التوسع والامتداد بحدودها داخل أراضى جيرانها العرب.

السر الأعظم

وفى هذا الكتاب "إسرائيل القلعة" يؤكد الصحفى والباحث الأمريكى باتريك تايلر.. أن طبقة الجنرالات وكبار قادة المؤسسة العسكرية هم الذين ينفردون بإدارة شئون دولة إسرائيل وأن هذه الطبقة من الجنرالات لا تحب السلام ولا ترغب فى السلام.. ولا يمكنها صنع السلام.. ببساطة لأن إسرائيل قامت بالحرب واحتلال أراضى الغير.. ولا يوجد ما يضمن لإسرائيل الأمن والبقاء فى خريطة الشرق الأوسط.. سوى التوسع بحدودها داخل أراضى جيرانها العرب وليس لهذا سوى معنى واحد.. هو أن وجود إسرائيل ذاته يتناقض مع كل قيم السلام ومبادئ التعايش السلمى!! وتعترف الأوساط الرسمية والفكرية فى أمريكا وأوروبا بأنه إذا كان للشر دولة فوق كوكب الأرض.. فهى دولة إسرائيل وحدها ومن وراءها من يرون فى بقائها مصالحهم الاستراتيجية.

ويكشف هذا الكتاب "السر الأعظم" فى تاريخ المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بقيادة ديفيد بن جوريون الذى أخفاه الرجل العجوز بعيدا وطويلا.. فى صحراء النقب حين أقام مفاعل ديمونة النووى بالقرب من بئر سبع على بعد ٤٥ كيلو مترا من الحدود المصرية الإسرائيلية ولم يكن المفاعل النووى وحده ولكن إلى جواره تحت الأرض أقامت إسرائيل بمساعدة فرنسا معامل فصل البلوتنيوم عن قضبان الوقود النووى وهى العملية التكنولوجية الحاسمة فى صنع وتطوير الأسلحة الذرية.

ويبدو أن تاريخ العالم العربى والشرق الأوسط أصبح مشحونا بالأحداث الكبار فبعد انتصار مصر فى معركة السويس ١٩٥٦، أصبح جمال عبدالناصر هو بطل العروبة المتوج وقام بحملة سياسية واسعة لإسقاط النظم العميلة لبريطانى وأمريكا فى العالم العربى.. وحدثت المفاجأة الكبرى حين قامت ثورة ١٤ يوليو ١٩٥٨ فى بغداد.. وأسقطت النظام الملكى واسقطت حكومة نورى السعيد.. عميل بريطانيا القديم الذى طلب من إيدن ذات يوم ضرورة توجيه ضربة قاسية لعبدالناصر بعد قراره بتأميم قناة السويس.

المارينز على شواطئ بيروت

وحين تصاعد المد القومى العربى ضد حكومة كميل شمعون فى بيروت.. شعر الرئيس الأمريكى دوايت أيزنهاور بالخوف والفزع واتهم عبدالناصر بأنه ينشر الفوضى فى الشرق الأوسط ويشتعل الشارع العربى لإشعال الثورات ضد الحكومات والنظم العربية العميلة للاستعمار الفرنسى والبريطانى القديم والاستعمار الأمريكى الجديد!!

وفى هذه الأجواء أصدر إيزنهاور أوامره إلى سفن الأسطول السادس الأمريكى فى البحر المتوسط.. بالتحرك فى اتجاه شواطئ لبنان حيث قام جنود مشاة البحرية الأمريكية بالنزول على شواطىء بيروت بقوة من ١٤ ألف جندى تحميهم قوة جوية تزيد على ٢٠٠ طائرة ووضع إيزنهاور القوات الأمريكية فى ألمانيا فى حالة تأهب قصوى استعدادا لاحتمالات التدخل فى الشرق الأوسط ولم ينس أيزنهاور أن يعلن التأهب النووى فى تحذير واضح للاتحاد السوفييتى السابق بألا يتدخل ورأى المراقبون حول العالم فى الخطوة الأمريكية إجراء حادا من إيزنهاور يستهدف ترويض جمال عبدالناصر وإخماد رياح القومية والتحرر الوطنى التى تناهض الهيمنة الأمريكية فى العالم العربى.

حلم بن جوريون

فى هذا الوقت شعر رئيس الوزراء الإسرائيلى ديفيد بن جوريون بالإحباط لأن إسرائيل فشلت حتى ذلك الوقت فى التحالف المباشر مع الولايات المتحدة وأخذ بن جوريون يفكر فى الوسائل التى من خلالها يمكن لإسرائيل أن تحقق مكاسب سياسية وعسكرية من وراء مثل هذه الأحداث وسعى بن جوريون بوضوح من أجل صدور قرار سياسى فى واشنطن يقضى بتزويد إسرائيل بالأسلحة الأمريكية وحتى ذلك الوقت لم تكن هناك ضمانات أمريكية رسمية تجاه أمن إسرائيل وكان بن جوريون يقود خطط المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لاستغلال الفوضى فى الشرق الأوسط للتوسع والامتداد بحدود إسرائيل خارج خطوط الهدنة فى ١٩٤٨.

كانت عملية نزول القوات الأمريكية على شواطئ بيروت عملية استعراض أمريكى للقوة.. تزامنت مع قيام بريطانيا بإرسال وحدات لقوات المظلات البريطانية إلى عمان لحماية نظام الملك حسين بن طلال.

الهيمنة الأمريكية

أثارت العملية الأمريكية فى بيروت ردود فعل غاضبة فى العالم العربى وفى مختلف أنحاء العالم لكن أيزنهاور أظهر فى النهاية أن أمريكا هى قوة الهيمنة العالمية فى الشرق الأوسط كما أن أمريكا لن تتسامح مع عبدالناصر وتهديداته للحكومات والأنظمة الموالية لأمريكا وقد تلقى بن جوريون هذه الرسالة الأمريكية بقلب لا يخلو من الفرح واستوعب أبعادها بشكل كامل لكنه كان يضع يده على قلبه خوفًا من احتمالات كشف أسرار البرنامج النووى الإسرائيلى.. مما قد يضطر إسرائيل فى النهاية إلى إغلاقه وتفكيكه تحت ضغوط من

إيزنهاور الذى أعلن أن أمريكا ستقف بحزم ضد انتظار الأسلحة النووية فى العالم.

فى ذلك الوقت كان جهاز المخابرات الإسرائيلى - الموساد - يقوم بعمليات سرية قذرة فى العديد من العواصم العربية بالاشتراك مع المخابرات الفرنسية.. لكن بن جوريون حرص أيضًا على أن يبعث بمدير جهاز الموساد فى ذلك الوقت - أيسر هاريل - إلى واشنطن حيث عرض على مدير المخابرات المركزية الأمريكية القيام بعمليات سرية مشتركة ضد عبدالناصر وفى العالم العربى.

الميراج فى سماء إسرائيل

كان عبدالناصر بعد الانتصار فى معركة بورسعيد.. قد بدأ جهوده الرامية إلى إعادة تسليح القوات المسلحة المصرية.. وبالفعل قام الاتحاد السوفييتى بتزويد مصر بالسلاح وتعويض خسائرها فى الحرب ورغم أن إسرائيل كانت تحصل على شحنات كبيرة من الأسلحة الفرنسية وخصوصا طائرات السوبر ميستير والميراج المتطورة فإن بن جوريون كان يتطلع دائمًا للحصول على أسلحة أمريكية لكن إيزنهاور كانت لديه حسابات أخرى وأبلغ بن جوريون بأنه لا يريد أن تكون أمريكا هى المصدر الرئيسى لتزويد إسرائيل بالسلاح خصوصًا وأن أمريكا تريد الاحتفاظ بحلفاء لها فى العالم العربى.

ولذلك اتخذ أيزنهاور قرارًا مصيريًا بتسليح إسرائيل ولكن من خلال حلفاء أمريكا.. وبخاصة فرنسا وبريطانيا.. وتصور الرئيس الأمريكى أيزنهاور.. أن تزويد إسرائيل بالسلاح.. سوف يجعل منها دولة قوية.. واثقة من نفسها وقادرة على تقديم التنازلات اللازمة لإقامة السلام مع العرب وبالطبع اصطدم هذا المنطق الأمريكى الوهمى دائما بالطموحات العسكرية الإسرائيلية.. فقد اتضح أن إسرائيل مثل إسبرطة القديمة.. كلما حصلت على المزيد من السلاح تصاعدت طموحاتها العسكرية.. ورفضت الاعتدال ورفضت السلام وتنازلاته!!

جولدا مائير.. فى مهمة سرية

فى هذا الإطار طلب بن جوريون من وزيرة خارجيته جولدا مائير أن تقوم بزيارة سرية إلى لندن.. حيث التقت هناك برئيس الوزراء البريطانى هارولدى كميلان الذى وافق على تزويد إسرائيل بصفقة من دبابات سنتريون البريطانية الحديثة بالإضافة إلى صفقة من الغواصات والمدمرات.. ولم ينس الرئيس الأمريكى إيزنهاور أن يفتح لإسرائيل قناة سرية فى نيويورك لتمويل مشترياتها من

الأسلحة الفرنسية والبريطانية.. أى أن إسرائيل كانت تحصل على السلاح من باريس ولندن بأموال أمريكية.. دون إعلان وأغلب ما يتم بين أمريكا وإسرائيل يجرى حتى اليوم سرًا.. ودون إعلان.

الوحش المفترس

وبدأ جنرالات المؤسسة العسكرية الإسرائيلية يتحدثون بصراحة وأعلن الجنرال موشى ديان رئيس الأركان الإسرائيلى أمام مجموعة من صغار الضباط الإسرائيليين.. أن حرب السويس ٥٦ أوضحت أن قوة إسرائيل ودورها فى الشرق الأوسط هو أن تقوم بدور "المفجر" لأى حرب أو نزاع فى المنطقة!!

وقال إن القوى الكبرى تتحرك فى المنطقة من واقع إدراكها لحقيقة دور إسرائيل وقوة إسرائيل.. أضاف ديان أن إسرائيل يجب أن تقوم بدور الوحش المفترس.. القادر على إثارة أى أزمة فى أى وقت وأى مكان فى الشرق الأوسط ودائمًا فيما وراء حدود إسرائيل.. خصوصًا حينما تشعر إسرائيل أن مصالحها معرضة للخطر.

وحرص تلميذ بن جوريون.. الشاب شيمون بيريز على بلورة المفهوم الإسرائيلى المتوحش للأمن فى رحلة ما بعد معركة السويس وقال إننا يجب أن نتطلع إلى تغيير حدود دولة إسرائيل بالتوسع واحتلال المزيد من الأراضى العربية وأضاف أن إسرائيل لا يجب عليها مطلقا أن تسعى للسلام أو التصالح مع العرب.

ورغم قيام الجمهورية العربية المتحدة بين مصر وسوريا فى ٢٢ فبراير ١٩٥٨ فإن الجيش الإسرائيلى كان يتفوق.. خصوصًا بعد صفقات السلاح الجديدة التى حصلت عليها إسرائيل من فرنسا وبريطانيا.

مفاجآت واتفاقات

وبقى "السر الأعظم" فى حياة بن جوريون.. فى تاريخ إسرائيل وهو مفاعل ديمونة النووى الذى خضع لإدارة بن جوريون المباشرة ولم يكن معه سوى تلميذه شيمون بيريز الذى أقام بصفة شبه دائمة فى باريس.. فى مكان ما بالقرب من مقر الحكومة الفرنسية فى قصر الماتنيون.. بشارع الشانزليزيه الشهير.

وفى يوم ٣ أكتوبر ١٩٥٧ استيقظ العالم على مفاجأة كبرى أصابته بالذهول الكامل وذلك حين قام الاتحاد السوفييتى السابق بإطلاق أول قمر صناعى فى التاريخ يدور فى الفضاء حول كوكب الأرض وحدث ذلك قبل يوم واحد من توقيع

اتفاقية سرية بين إسرائيل وفرنسا بقيام شركات فرنسية بإقامة مفاعل نووى لإسرائيل فى صحراء النقب مع تزويد إسرائيل بالكميات اللازمة من اليورانيوم لتشغيل المفاعل حتى ١٩٦٠ وكان البند الخطير فى الاتفاقية ينص على قيام فرنسا بإقامة معامل تحت الأرض فى ديمونة.. لفصل البلوتنيوم عن قضبان الوقود النووى ولا يوجد معنى لذلك سوى أن إسرائيل تستعد لإنتاج الأسلحة النووية.

وحرص بن جوريون على إقامة المفاعل النووى سرا.. حتى دون إبلاغ مجلس الوزراء الإسرائيلى.. حيث أعرب الكثيرون من أعضاء الحكومة الإسرائيلية فى ذلك الوقت ومنهم السيدة جولدا مائير.. عن معارضتهم الشديدة لدخول السلاح النووى فى الصراع العربى الإسرائيلى باعتبار أن ذلك سيكون كارثة على الشرق الأوسط والعالم كله.

وقالت جولدا.. إننى لا أعرف كيف يمكن لنا أن ننظر فى عيون الأمريكيين ونحن نكذب عليهم وندعى أن ما يجرى بناؤه فى صحراء النقب.. ليس إلا مصنعًا للنسيج!!

فيل بن جوريون

وقال آخرون إن المشروع النووى سيكون مثل الفيل الضخم الذى يلتهم موازنة الدولة فى إسرائيل ويؤدى بها إلى الإفلاس!! مع ذلك رفض بن جوريون أن يتراجع عن بناء مفاعل ديمونة واستبد الخوف بقيادات أجهزة المخابرات الإسرائيلية خصوصًا الموساد وجهاز المخابرات العسكرية - أمان - وقالوا إن أمريكا أو الاتحاد السوفييتى.. قد يقومان معا أو قد تقوم واحدة منهما بغزو إسرائيل لتدمير هذا المفاعل قبل أن ينتهى بناؤه ومع ذلك لم يجرؤ أحد فى إسرائيل على الاعتراض علنًا على المشروع خوفا من اتهام بن جوريون له بخيانة الشعب اليهودى وقال الرجل العجوز إن حصول إسرائيل على السلاح النووى لن يكون له سوى معنى واحد هو أن محارق النازية لليهود لن تتكرر مطلقا!!

استجواب ابنة ديان ليلاً

وتمكن بن جوريون من توفير الاعتمادات المالية اللازمة للإنفاق على بناء المفاعل النووى بعيدا عن الموازنة العامة لإسرائيل.. وذلك من خلال تبرعات وأموال كبار رجال الأعمال من الأمريكيين اليهود ورغم أن المشروع كان سرياً

فـإن ذلك لم يمنع من قـيـام المئـات من العلمـاء والمهندسـين فى إسـرائيل بالاشـتراك فى بناء المشـروع مع الآلاف من العـمال وقـامت أجهـزة المخـابرات الإسـرائيلية بتـوفيـر الحمـاية اللازمـة للمشـروع وكـانوا يقـومـون باسـتدعـاء أى شـخص للتحقيق ليلا أو نهارا لمجرد الاشتباه حتى ابنة ديان - يائيل ١٤ عـاما - التى جرى استدعاؤهـا ليلا للاستجواب حول قصة صداقتها بشاب من دولة أجنبية!!

ولكن بعد التجربة النووية الفرنسية الأولى فى صحراء الجزائر عام ١٩٦٠ قرر الرئيس الفرنسى شارل ديجول إلغاء الاتفاقية النووية بين فرنسا وإسرائيل.. ما لم يتم فتح المنشآت النووية الإسرائيلية للتفتيش من جانب خبراء الوكالة الدولية للطاقة الذرية.

مصنع للنسيج

وهنا لم يتردد بن جـوريون فى اللجوء إلى الابتـزاز السـياسـى.. وأوفد مـبعـوثه السرى لباريس شيمون بيريز الذى هدد كبار المسئولين الفرنسيين بأن إسرائيل سـوف تفضح فـرنسـا أمام العالم وتعلن قائمة الشـركات الفرنسـية التى أسـهمت فى بنـاء مـفـاعل ديمـونة وحـين قـامت السـفـارة الأمـريكيـة فى تل أبيب بإبلاغ الرئيس إيزنهاور بالشائعات التى تتردد فى إسرائيل حول برنامجها النووى لجأ بن جوريون للكذب رسميًا وادعى أن ما يجرى بناؤه فى صحراء النقب ليس إلا مصنعاً للنسيج!!

وحين قامت طائرات التجسس الأمريكية بتصوير المفاعل من الجو فى أغسطس ١٩٧٠ قـال الشـاب الصـهيـونى الغليظ شـيـمـون بيـريـز إن الطائـرات الأمـريكيـة يمكنهـا تصـوير المبنـى من الداخل.. لكنهـا لن تصـور مـا بداخل المبنى النووى الرهيب القابع بين الرمال الصفراء وفى صحراء النقب وهنا اضطر بن جوريون للحـديث أمـام الكنيـسـت - البـرلمان - الإسـرائيلى وادعى كـذبًا مـرة أخـرى أن مفـاعل ديمـونة مـخـصـص فقـط للأغـراض السلميـة الطب والزراعـة وأنه ليس مشروعًا عسكريًا.

فى هذه الأثناء كان قد صعد نجم الشـاب الأمـريكى الوسـيم جـون كينـدى فى سمـاء أمريكا.. وتولى الرئاسـة فى البيت الأبيض خلفـاً للرجل العجـوز إيزنهاور.. ومن اللحظة الأولى أعطى بن جوريون مهلة ٣٠ يومـاً للسـمـاح لبعـثة من خبـراء النووى الأمريكى بزيارة مفاعل ديمونة للتفتيش!!

أحط أنواع الخداع

فى هذه اللحظة لم يجد بن جوريون ما يفعله سوى اللجوء لأحط أنواع الخداع والدهاء السياسى.. وقدم استقالته من الحكومة وادعى أنه يدير شئون الدولة لحين تشكيل حكومة جديدة وعلى مدى ستة أشهر كاملة ظل بن جوريون يراوغ حتى جرى السماح لبعثة أمريكية بزيارة المفاعل بعد أن تم إغلاق الأبواب السرية للمنشآت الموجودة تحت الأرض بعد تغطيتها بلوحات فنية لكبار الفنانين كنوع من أنواع التمويه والإخفاء وانطلت الحيلة على بعثة الخبراء الأمريكيين الذين قدموا لكيندى تقريرًا يؤكد أن مفاعل ديمونة ليست به أنشطة لإنتاج الأسلحة النووية.. على الأقل فى الوقت الراهن.

وحين اعتزل بن جوريون الحياة السياسية وهو فى السابعة والسبعين عام ١٩٦٣ كان مفاعل ديمونة قد اكتمل بناؤه وتركه لرئيس الوزراء الجديد من بعده ليفى إشكول الذى وضع المشروع النووى الإسرائيلى تحت إدارته المباشرة وحين تصاعدت الأحداث بين مصر وإسرائيل بدءًا من منتصف مايو ١٩٦٧ حدثت المفاجأة وطلب ليفى إشكول من العلماء الإسرائيليين سرعة إنتاج وتركيب قنبلتين على الأقل ليكون لدى إسرائيل سلاح لردع مصر وعبدالناصر.. إذا ساء سيناريو الحرب فى غير صالح إسرائيل!

وحين قامت المقاتلات المصرية باستطلاع الحشود الإسرائيلية فى صحراء النقب قبل حرب يونيو ١٩٦٧ بأيام.. وقامت بتصوير المفاعل النووى فى ديمونة.. شعر ليفى إشكول بالفزع وفى هذه اللحظة قال له بعض مستشاريه إن إسرائيل يمكنها أن تقوم بتجربة نووية فى صحراء النقب أمام عيون الجنود المصريين ليتم ردع عبدالناصر دون حرب لكن جنرالات إسرائيل لهم حسابات أخرى خصوصًا بعد أن جرى تزويد إسرائيل بأحدث الأسلحة الفرنسية والأمريكية على مدى عشرة أعوام كاملة بعد معركة السويس ١٩٥٦ وقال أهارون باريف رئيس المخابرات العسكرية الإسرائيلية إن حقبة الهدوء مع مصر قد انتهت ولم يعد ممكنا لإسرائيل التراجع بعد أن بدأ العد التنازلى للحرب والعدوان فى الخامس من يونيو ١٩٦٧ حتى بعد إصابة الجنرال إسحاق رابين رئيس الأركان الإسرائيلى بالانهيار العصبى!! وفرض الجنرالات كلمتهم.. ودائمًا تنفرد المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بالقرار.

الفهرس

الفهرس

رقم الإيداع : ٢٠١٧/٧٦٥
الترقيم الدولى : I.S.B.N -918-977-236-923-2
طبع بمطابع دار الجمهورية للصحافة



الثمن ٢٠ جنيهاً